الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب- قسم التاريخ

الدور الجهادي للعلماء في الأندلس

(422-609هـ = 1031-1212م)

إعداد الطالب
محمود محمد أبو ندى

إشراف
الدكتور خالد يونس الخالدي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
(بحث تكميلي) في قسم التاريخ بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية

1426هـ = 2006م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza
عمادة الدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم Ref. ج س غ/35/
التاريخ Date 2007/03/04

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمود محمد عبد القادر أبو ندى** لنيل درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/ قسم التاريخ** وموضوعها:

"الدور الجهادي لنساء في الأندلس 422-609هـ/1031-1212م"

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الثلاثاء 16 صفر 1428هـ، الموافق 2007/03/06م الساعة العاشرة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. خالد الخالدي	مشرفاً ورئيساً	.....
د. طالب أبو شعر	مناقشاً داخلياً	.....
د. يوسف الأزاملي	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/ قسم التاريخ**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

عميد الدراسات العليا

د. مازن إسماعيل هنية

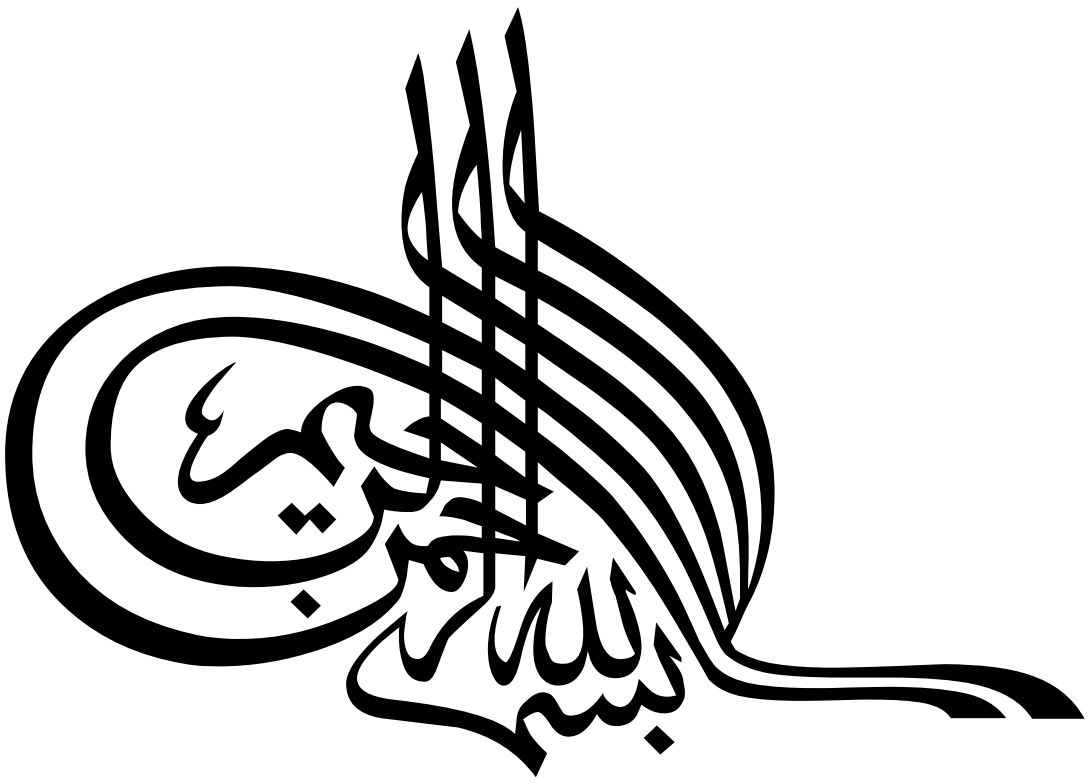
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال الرسول ﷺ (مَن لم يشكر الناس لم يشكر الله)[1]

الحمد لله رب العالمين والمنة والشكر لمولانا عز شأنه الذي أعانني وأخذ بيدي لإنجاز هـذا العمل المتواضع، وعلى سيدنا محمد أفضل الصلاة وأتّم التسليم وبعد:

إنه لمن دواعي العرفان – بعد شكر الله – أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور خالد يونس الخالدي، لإشرافه المتواصل والدقيق على هذه الرسالة، فله الشكر والتقدير لطول صبره ومتابعته المتأنية لتقويم عملي وتصحيحه، دون أن يبخل عليَّ بعلمه أو نصيحته، وتوجيهاتـه الكريمة، وآمل أن يتقبل أستاذي شكري وتقديري وأنا أنضم إلى الـصفوف الطويلـة التـي تخرّجت على يديه، والتي تعترف له بالفضل وتكنّ له كل التقدير والاحترام.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل للعاملين في مكتبة الجامعة الإسـلامية ومكتبـة جامعـة الأقصى، وأخص بالذكر عميد المكتبة الذي كان يبحث لي عن الكتب بنفسه وأمدني بخبرتـه وعلمه، والشكر للعاملين في مكتبة جامعة الأزهر ومكتبة البلدية في غزة.

وأشكر كل من أسهم في إخراج هذه الرسالة.

---

[1] الترمذي، سنن الترمذي، ج4، ص339، حديث رقم 1954.

الإهداء

* إلى أمي الغاليـــة

صاحبة **الدعوة** لمواصلة مشوار العلم، **والدعاء** بالتوفيق.

* إلـــى الشهـــداء العلمـــاء...

وعلى رأسهم شهداء فلسطين الحبيبة الشيخ أحمد ياسين

والمهندس إسماعيل أبو شنب.

* إلى العلمـــاء المجاهـــدين في فلسطـــــــين...

الذين سخروا علمهم خدمةً لدينهم رافضين حياة الدعة.

الباحث

قائمة الرموز والمختصرات

أشير إلى الرموز في الهوامش حسب النمط التالي:

ت	تـــــوفي
تح	تحقيق
ج	جـــــــزء
د. ت	دون تاريخ
ر. ن	المرجع نفسه
س	سفـــــــر
ص	صفحـــــة
ق	قســـــم
ع	عـــــدد
م	ميـــــلادي
مج	مجلـــــــد
م. ن	المصدر نفسه
هـ	هجـــــري

المقدمـــــة

تعد الحقبة التاريخية، التي سيطر المسلمون فيها على مقاليد الحكم في الأندلس، ذات أهمية كبيرة في التاريخ الإسلامي، فقد شكلت الأندلس الرئة اليسرى التي يتنفس بها العالم الإسلامي.

ومنذ أن وطئت أقدام الفاتحين المسلمين أرض الأندلس إلى أن خرجوا منها، فإنها تعرضت لموجات متتالية من الهجمات الضارية سواءً من نصارى شمال الأندلس أو من حلفائهم الفرنجة، فغدت هذه البلاد ميداناً جهادياً يرتاده الراغبون في نيل أجر وثواب الرباط والجهاد.

ولقد ازدادت وتيرة الهجمات النصرانية بشكل ملحوظ بعد انفراط عقد الوحدة السياسية للدولة الإسلامية، والتي ورثتها مجموعة من الوحدات السياسية المستقلة عن بعضها البعض، وهو ما عرف بعصر الطوائف، واستأنفت الهجمات في عصري المرابطين والموحدين، وخلال هذه الحقبة كان للعلماء في الأندلس دورٌ بارزٌ في محاولة إعادة وحدة الأندلس ودورٌ واضحٌ في تحريض المجتمع وإعداده للجهاد، ولهم موقفٌ من المتقاعسين عن الجهاد، فضلاً عن مشاركتهم في المعارك الحربية حيث استشهد عدد منهم.

وهناك أسباب عديدة دفعت الباحث إلى دراسة هذا الموضوع وأهم هذه الأسباب:

1- خلو المكتبة العربية من دراسة أكاديمية علمية تغطي هذا الموضوع بالرغم من أهميته.

2- الرغبة في معرفة جهاد ورباط العلماء في الأندلس.

3- الرغبة في إبراز الدور الكبير الذي قام به علماء الأندلس في مجال توحيدها تحت قيادة سياسية واحدة .

4- لمعرفة موقف العلماء من الحكام الأمويين خاصة بعد سحب زمام الحكم من أيديهم.

5- الرغبة في معرفة الطرق والأساليب التي استخدمها العلماء من أجل توحيد الأندلس والقضاء على أنظمة حكام الطوائف.

6- للتعرف على أهم العلماء الذين نشطوا في بناء مشروع توحيد الأندلس.

7- للتمكن من عقد مقارنة بين واقع الأندلس في عهد حكام الطوائف وعهد حكم دولة المرابطين.

8- للتعرف على دورالعلماء في التحريض على الجهاد، وأهم أدوات هذا الدور ونتائجه.

9- لمعرفة موقف العلماء من الحكام المتخاذلين عن الجهاد.

10- للتعرُّف على أهم التوجيهات العسكرية التي أسداها العلماء إلى القادة والجند.

11- لمعرفة هل فعلاً شارك العلماء في المعارك والحروب؟ وهل سقط منهم شهداء؟

12- لإظهار النتائج الإيجابية التي تعود على الأمة عندما يقوم العلماء بدورهم في الجهاد، والنتائج السلبية التي تحل بها عندما يغيبون أو يتقاعسون عنه .

وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وسبعة فصول، وخاتمة، أما المقدمة فقد تضمنت لمحة موجزة عن الموضوع، والأسباب التي دفعت الباحث لدراسته.

وتناول التمهيد الأوضاع السياسية في الأندلس في عهد الطوائف والمرابطين والموحدين حتى معركة العقاب، وهي الحقبة التي يتناولها البحث، وأما الفصل الأول فقد أشار إلى أهم فضائل بلاد الأندلس، كونها أرض رباط وأرض جهاد، ومظاهر من حياة المرابطين والمجاهدين في الأندلس.

وقدم الفصل الثاني جهود علماء الأندلس من أجل توحيدها، وقد بين أهم الطرق والأساليب التي استخدمها العلماء؛ لذلك تحدث عن المحاولات المختلفة لتوحيد الأندلس والخطوات التي اتبعها العلماء في طريق الوحدة.

وقد بحث الفصل الثالث دور علماء الأندلس في تحريض الحكام على الجهاد، مبيناً أهم العلماء الذين أسهموا في هذا المجال، ونتائج هذه الدعوات في عهد الطوائف والمرابطين والموحدين.

وعن تحريض العلماء للمجتمع فقد عالج الفصل الرابع ذلك، وقدم أهم المناسبات التاريخية التي استغلها العلماء لتحريض المجتمع على الجهاد.

وقد عالج الفصل الخامس موقف العلماء من المتخاذلين عن الجهاد؛ حيث أوضح أنهم لم يتوانوا في ذم وتقريع المتقاعسين، ودرس الفصل السادس دور العلماء في نشر الوعي العسكري، من خلال المؤلفات والقصائد الشعرية التي نظمت لذلك.

أما الفصل السابع فقد كان بعنوان علماء الأندلس في ميادين الجهاد؛ حيث بيَّن الفعاليات الجهادية للعلماء، وأهم العلماء الذين نالوا شرف الشهادة.

وقد انتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وكذلك التوصيات التي يوصي بها الباحث.

تمهيـــــــد

الأندلس في عهد حكام الطوائف

أدى ضعف السلطة المركزية في الأندلس، وتلاشي مؤسسة الخلافة، إلى تفرق البلاد إلى دويلات عديدة عرفت باسم دول الطوائف،[1] واتسمت العلاقة بين هذه الدويلات بالعداء الشديد والتصارع المستمر مما أدى إلى إنهاك قوتها[2]، في الوقت نفسه كانت قوة النصارى في الشمال تتوحد تحت قيادة سياسية واحدة[3]، وكان النصارى يستغلون انشغال الدويلات الإسلامية في حروبها الداخلية فيهاجمون المناطق الحدودية ويسيطرون عليها، فتتوسع الممالك النصرانية على حساب الدويلات الإسلامية الأندلسية[4].

ولقد ارتبط بحالة النزاعات بين هذه الدويلات عامل كان له أسوأ النتائج على الأندلس ألا وهو دخول الدويلات الأندلسية المتنازعة في سلسلة من التحالفات مع القوات النصرانية الشمالية، ويقوم هذا التحالف على استعداد إحدى الدويلات لدفع كافة ما تحتاجه القوات النصرانية من أموال مقابل هجومها على دويلة أخرى متنازع معها[5]، ولقد دخل جميع حكام الطوائف في تحالفات من هذا النوع[6]، وكانت الإتاوة هذه تجمع من السكان، حيث فرضت ضرائب جديدة عليهم للتمكن من دفع الأموال لنصارى الشمال [7]، كما كان النصارى يعملون على إدامة النزاع والتفريق بينهم[8].
وفي خضم هذه الأحداث سقطت مدينة بَرْبَشْتَر[9] في يد النصارى (456هـ=1064م) بعد حصار لها دام أربعين يوماً وبالرغم من ضروب البسالة والشجاعة التي أبداها أهلها لكنها استسلمت في النهاية، ولم يقدم أحدٌ من حكام الطوائف أي مساعدة لأهلها، ولقد ارتكب النصارى في هذه المدينة أفظع ألوان المجازر والتدمير والاغتصاب[10].

---

[1] ومن أهم هذه الدويلات دويلة بني جهور في قُرْطُبَة (422هـ–462هـ)، ودويلة بني عباد في إِشْبِيْلِيَة (414هـ–484هـ)، ودويلة بني الأفطس في بَطَلْيُوس (413هـ–487هـ)، ودويلة بني ذي النون في طليطلة (400هـ–478هـ)، ودويلة بني زيري في غَرْنَاطَة (403هـ–483هـ) ودويلة بني هود في سَرَقُسْطَة (481هـ–504هـ). ينظر: السحيباني، الضعف المعنوي، ص1 (هامش)؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص168.

[2] عودات، تاريخ المغرب والأندلس، ص37.

[3] توحدت الدويلات النصرانية على يد الملك سانشو وخلفه ولده فرديناند الذي وجه اهتمامه إلى السيطرة على المناطق الإسلامية وبعد وفاته (463هـ = 1065م) انقسمت الدولة بين أبنائه، لكن ألفونسو السادس تمكن من توحيدها من جديد وتقرب من البابوية في روما لدعمه في حربه ضد المسلمين. ينظر: أشباخ، تاريخ الأندلس، ص68.

[4] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص281.

[5] م. ن، ج3، ص280.

[6] المراكشي، المعجب، ص193.

[7] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص238.

[8] ابن بلقين، التبيان، ص73.

[9] بَرْبَشْتَر: وهي مدينة أندلسية حصينة تقع شمال الأندلس على نهر إبرة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص370 ؛ الحميري، الروض المعطار. ص41.

[10] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص181؛ ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص224، 225.

وكانت خطة ألفونسو السادس[1] ترمي إلى جباية الضرائب السنوية من دول الطوائف لإضعافها، ومع مرور الوقت لم يعد يقنعه شيء سوى الاستيلاء على البلاد، بعد أن مل من أخذ الجزية منهم[2]، وتوجه ألفونسو السادس بقواته وحاصر طليطلة[3] لمدة ستة شهور، وضيق الخناق عليها، مما مكنه من احتلالها سنة (478هـ =1085م)، وحكام الطوائف ما زالوا في تخاذلهم إلى حد أن عدداً منهم أرسلوا الجزية المالية لألفونسو خلال حصاره طليطلة [4]، ووصل تخاذل بعضهم إلى حد إرسال الرسل لتهنئة ألفونسو السادس على احتلال طليطلة[5].

وكان سقوط طليطلة بيد النصارى يمثل حدثاً خطيراً، وإيذاناً بتفوق القوى النصرانية، نظراً لما كانت تمثله طليطلة بموقعها الجغرافي وحصانتها ومناعتها، كسد منيع أمام مطامع النصارى[6]؛ لذا بادرت مجموعة من العلماء، وقامت بالدور المنشود لتوحيد كلمة حكام الطوائف،[7]

غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل، وفي مسار آخرتمكن العلماء من إقناع حكام الطوائف بضرورة الاستعانة بالمرابطين[8]، وهناك جماعة أخرى من العلماء بدأت تفد على يوسف بن تاشفين، مستعطفين مجهشين بالبكاء طالبين المساعدة[9] فقرر تلبية النداء، واستنفر سائر قواته للجهاد، فأقبل إليه الجنود والمتطوعون للجهاد من مختلف نواحي المغرب[10]، وعبر هذا الجيش إلى الأندلس واشتبك مع النصارى في معركة الزلاقة[11]، وكان ذلك يوم الجمعة (رجب 479هـ= أكتوبر1086م)[12]

---

[1] هو ابن الملك فرديناند بن سانشو، دخل في نزاع بينه وبين إخوته علي الإرث السياسي لوالده، وانتهى هذا النزاع بسيطرة ألفونسو على الأقاليم التي كانت تحت حكم أخويه، وهكذا توحد نصارى شمال الأندلس تحت حكمه، ثم بعد ذلك بدأ بمشروع السيطرة على جميع الولايات الإسلامية مستغلاً تفرقهم، وتمكن من السيطرة على طليطلة وهاجم إشْبِيْلِيَة وسرَقُسْطَة لولا تدخل المرابطين ينظر: أشباخ، تاريخ الأندلس، ص22.

[2] ابن بسام، الذخيرة، ق4، مج1، ص131؛ ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص239.

[3] طليطلة: تقع في جبل عالٍ، وحولها سبعة جبال منيعة، يجري فيها نهر التاجة، كانت عاصمة النصارى قبل الفتح الإسلامي للأندلس، وكانت بمثابة الحاجز أمام القوات النصرانية الشمالية وتقع وسط بلاد الأندلس . ينظر الإصطخري: مسالك الممالك، ص32؛ الحموي، معجم البلدان، ج4، ص39 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص130-134.

[4] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص43.

[5] أرسلان، الحلل السندسية، ج2، ص103.

[6] البشرى، جهود البابوية في دعم الحروب الصليبية في الأندلس، مجلة العصور(ع1، مج7، 1992م)، ص26.

[7] للإطلاع على هذه الجهود ينظر الفصل الثاني.

[8] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص99.

[9] ابن بلقين، التبيان، ص122؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص141.

[10] المراكشي، المعجب، ص131.

[11] الزلاقة: موضع من إقليم بَطَلْيُوس غرب الأندلس، شهدت حدوث معركة بين المسلمين والنصارى. الحميري، الروض المعطار ص83.

[12] ابن بسام، الذخيرة ق3، مج1، ص242.

الأندلس في عهد المرابطين

يعد عبد الله بن ياسين[1] هو المؤسس الفعلي لدولة المرابطين، وكان أبرز حكام دولة المرابطين هو الأمير يوسف بن تاشفين[2] [3].

بعد معركة الزلاقة عقد الأمير يوسف بن تاشفين مؤتمراً دعا إليه رؤساء الطوائف ونصحهم بالاتحاد والاتفاق ضد عدوهم المشترك الذي استغل تشتتهم، فأجابه الجميع بقبول وصيته،[4] لكن ما إن عاد الأمير يوسف إلى بلاد المغرب حتى عاد حكام الطوائف إلى سيرتهم الأولى من الاختلاف فيما بينهم والاستعانة بالنصارى الذين استجمعوا قواهم، ووصلتهم الإمدادات، وباشروا عدوانهم على الإمارات الإسلامية الواقعة شرقي الأندلس، حتى أوشكت على السقوط، وتمكن ألفونسو السادس من إحتلال حصن لييط المنيع وشحنه بالرجال والسلاح والمؤن، واتخذه قاعدة لشن هجمات على مناطق مختلفة من الأندلس عام (481هـ=1088م)،[5] وهنا بادر العلماء ودعوا يوسف بن تاشفين لنجدتهم من النصارى، فلبى الأمير يوسف نداءهم وعبر إلى الأندلس، وبعث إلى رؤساء الأندلس يدعوهم إلى الجهاد لطرد ألفونسو السادس من حصن لييط، وبالفعل شرع الجميع في مهاجمة الحصن واستمر الحصار مدة أربعة أشهر دون جدوى،[6] وخلال الحصار تبين للأمير يوسف بن تاشفين حقيقة حكام الطوائف؛ فقد برزت الخلافات بينهم أثناء الحصار، وبعضهم خانه فقطعوا عنه الإمدادات،[7] كما إن أفواج الشاكين من أهل الأندلس وصلت الأمير يوسف تشكو خيانة وفساد الحكام[8]، فتركت هذه الشكاوى انطباعاً سيئاً عند يوسف بن تاشفين عن

---

[1] عبد الله بن ياسين بن مكوك الجزولي المصمودي، صاحب الدعوة المرابطية، قام بتفقيه قبيلة صنهاجة بعد أن شاعت فيهم البدع، وبنى لمريديه رباطاً للعبادة وتعليم الفروسية، وسمى أتباعه بالمرابطين، وقد تمكن المرابطون من فتح بلاد المصامدة ونشر فيها التعاليم الإسلامية السليمة، وتقدم إلى قبائل برغواطة لنشر الإسلام فيها، ولقد استشهد بعد أن صار سكان بلاد المغرب الأقصى يدينون بتعاليم الإسلام الصحيحة، بعد أن كاد أن يتقلص. الزركلي، الأعلام، مج4، ص144.

[2] كان يوسف ابن تاشفين يجمع بين جمال الطلعة وجمال الجسم، وبين أبدع المواهب، وكان بطلاً شجاعاً نجداً حاذقاً، جواداً كريماً، زاهداً في زينة الدنيا، عادلاً متورعاً متقشفاً، لباسه الصوف، وطعامه خبز الشعير. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص79 ؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص184.

[3] بيضون، الدولة العربية في أسبانيا ، ص376.

[4] ابن بلقين، التبيان، ص106.

[5] ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص67.

[6] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص66. ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص70.

[7] ابن بلقين، التبيان، ص112؛ ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص70.

[8] ابن بلقين، التبيان، ص112.

هؤلاء الحكام، لذا اتخذ قراره الصعب، وهو القضاء على أنظمة حكام الطوائف، وبالفعل تمكنت قوات المرابطين من القضاء على إمارات الطوائف [1].

توفي الأمير يوسف بن تاشفين عام (500هـ=1106م) [2]، وخلفه ابنه علي الذي لم يكن قد تجاوز الثالثة والعشرين من عمره إلا أنه أحسن تولي مقاليد الحكم وقد كان حسن السيرة، نزيه النفس[3]، اشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء[4]، كما أولى اهتماماً كبيراً بالأندلس[5]، وتوفي الأمير علي عام (537هـ=1142م) [6] وفي عهده ظهر الموحدون في المغرب، وكثر أتباعهم، وقاموا بثورة عارمة أثرت كثيراً على أوضاع المرابطين في المغرب، حيث تم استدعاء كبار قادتهم وجيوشهم إلى المغرب لمجابهة الموحدين[7]، ثم بويع لابنه تاشفين سنة (537هـ = 1142م)[8]، ودام حكمه سنتين وشهرين، وكانت نهايته حين قُتل في حربه ضد الموحدين، ثم بويع لابنه إبراهيم[9]ثم إسحق بن علي[10] الذي قتل أيضاً في حروبه ضد الموحدين (541هـ=1146م)[11] وبمقتله سقطت الدولة المرابطية، ونشأت على أنقاضها دولة الموحدين في بلاد المغرب، أما حال الأندلس فنتيجة انشغال المرابطين في حروبهم مع الموحدين ضعف حكمهم في الأقاليم وأدى ذلك إلى ظهور حكام خرجوا عن السلطة المركزية، وهكذا عادت الأندلس منقسمة وعادت اعتداءات النصارى من جديد، ومن لم يخضع لاحتلالهم خضع لدفع الجزية لهم[12]، وسمي هذ العهد" الطوائف الثاني"[13]

---

[1] خضعت غَرْنَاطَة لدولة المرابطين عام (483هـ=1090م) ثم سقطت قُرْطُبَة في(484هـ = 1090م) ثم سقطت إشْبِيْلِيَة بعد استعانة حاكمها المعتمد بألفونسو ووعده المعتمد بأن يعطيه مدناً وقرى، وخاب الحلف بسقوط إشْبِيْلِيَة في (484هـ = 1091م) وسقطت المَرِيَّة (484=1091م)، ثم سقطت بَطْلَيُوس (487هـ = 1094م)، واستردت القوات المرابطية بَلَنْسِيَة من النصارى عام (495هـ = 1099م) . ينظر:ابن بلقين، التبيان ص154. ابن أبي زرع، روض القرطاس،ج2، ص68-78.

[2] ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص60.

[3] المراكشي، المعجب، ص171.

[4] م. ن، ص252.

[5] ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص70.

[6] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص125.

[7] ابن القطان، نظم الجمان، ص233. المراكشي، المعجب، ص208.

[8] تاشفين بن علي بن يوسف يكنى أبا إبراهيم، وكان بطلاً شجاعاً، ولاه أبوه على الأندلس، فخاض حروباً عديدة، وتمكن من فتح الكثير من الحصون، وحينما تولى سدة حكم الدولة المرابطية، كانت قوات الموحدين في ازدياد، وحاربهم تاشفين عامين وشهرين، سقط قتيلاً عام (539هـ= 1144م). ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص121؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص184.

[9] إبراهيم بن تاشفين بن يوسف بن تاشفين، لم يحكم طويلاً، حيث عزله عمه اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين . ينظر: ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص135.

[10] إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين، كان شجاعاً بطلاً، حاول إيقاف زحف الموحدين في بلاد المغرب العربي، لكنه فشل، وقتل وهو يدافع عن مراكش آخر معقل للمرابطين. ينظر: ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص139.

[11] ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص119. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص187.

[12] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج4، ص103.

[13] شرف الدين، تاريخ السيادة على الأندلس، ص235.

الأندلس في عهد الموحدين

مؤسس دعوة الموحدين هو محمد بن تومرت[1] وبعد وفاته (524هـ=1160م) [2] انتقلت زعامة الدعوة إلى عبد المؤمن بن علي[3] الذي تمكن من دخول مراكش عاصمة المرابطين، وبدخوله سقطت دولة المرابطين (541هـ= 1146م) [4]، أما الأوضاع في الأندلس فقد كثرت فيها الثورات ضد المرابطين، وقد استغل النصارى ضعفهم فاستولوا على كثير من القرى والحصون المجاورة لهم[5] ، وهنا تحرك العلماء للذهاب إلى بلاد المغرب لمقابلة الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي، لطلب النصرة من الموحدين ضد النصارى، وللقضاء على حالة الفوضى والتمزق السياسي،[6] وتمكن جيش الموحدين من إخضاع غربي الأندلس[7]، ومرض عبد المؤمن فجأة، ولم يلبث أن توفي عام (558هـ = 1163م) وبويع ليوسف بن عبد المؤمن[8] (558هـ=1162م) [9] وفي عهده دخلت إمارات شرق الأندلس في طاعة الموحدين[10]، ووجه جل جهوده لدعم النشاط الجهادي في الأندلس، وقاد بنفسه حملات عدة استشهد في إحداها وهو يحاصر النصارى في شنترين (579هـ=1183م)[11]، ثم تولى مقاليد الحكم خلفاً له ابنه يعقوب [12] (580هـ= 1184م) [13] الذي توج جهاده

---

[1] ينسب إلى قبيلة مصمودة التي تسكن جنوب المغرب بخلاف قبيلة صنهاجة، طلب العلم صغيراً حيث توجه إلى بغداد لدراسة العلوم الدينية ثم بلاد الشام ومنها إلى مصر ثم عاد إلى بلاد المغرب العربي، ثم أخذ يطوف بلاد المغرب وكلما شاهد أعمالاً تتعارض مع العقيدة يقوم بإصلاحها بيده وبالقوة، ثم استقر في ضيعة يقال لها ملالة وأقام مسجداً فأقبل إليه المريدون من مناطق عديدة. البيذق، أخبار المهدي، ص52؛ ابن خلكان وفيات الأعيان، ج5، ص53؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص4.

[2] الزركشي، تاريخ الدولتين، ص7؛ المقري، نفح الطيب ج2، ص30.

[3] كان عبد المؤمن حازماً شجاعاً، جواداً معظماً للشريعة، وكان حسن الصلاة ذا طمأنينة، كثير الخشوع، وكان عالماً وحازماً، يجمع إلى علو الهمة حدة الفكر واتقاد الفطنة وصدق العزيمة وقوة الإرادة.الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص8.

[4] الزركشي، تاريخ الدولتين، ص8.

[5] المراكشي، المعجب، ص300.

[6] ابن السماك العاملي، الحلل المُوشية، ص148،147.

[7] سيطرت قوات دولة الموحدين على إشْبِيْلِيَة عام (541هـ=1147م) وقُرْطُبَة وجيان عام (543هـ =1148م) وغَرْنَاطَة عام (549هـ =1154م) ، ثم استردوا المَرِيَّة من النصارى عام (552هـ =1157م) . ينظر: ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِيةج2، ص105؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص105.

[8] وكان يوسف من أعظم خلفاء الموحدين ملماً بكلام العرب حافظاً لأيامها ومآثرها وأخبارها، وكان من أحسن الناس قراءة للقرآن وحفظاً للغة وتبحراً في النحو وكان ضليعاً في الفلسفة والفلك والطب. ينظر: المراكشي، المعجب، ص237.

[9] المراكشي، المعجب، ص236.

[10] أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية، ص142.

[11] المراكشي، المعجب، ص261، ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج4، ص72 ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص193.

[12] وكان هذا الخليفة ديناً حسن السيرة، صحيح السريرة، وكان كثير الجهاد وكان يؤم الناس في الصلوات الخمس، وكان قريباً إلى المرأة والضعيف كما وكان شجاعاً مقداماً محباً للعلوم، من أهل الخير والصلاح، وكانت مجالسه تفتح بالتلاوة ثم الحديث ويتكلم في الفقه، فصيحاً، مهيباً. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص22 ؛ ابن عماد، شذرات الذهب، ج4، ص321.

[13] المراكشي، المعجب، ص237.

المتواصل بانتصاره العظيم في معركة الأرك[1] عام (591هـ=1194م) [2] ، والتي أوقفت زحف النصارى، وتوفي المنصور عام (595هـ=1198م).

وتولى بعده ابنه محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن[3] الملقب بالناصر لدين الله عام (595هـ=1198م) [4]، في وقت حاول النصارى الثأر لهزيمتهم في موقعة الأرك؛ حيث وحد النصارى جبهتهم الداخلية ووجهوا دعوة لنصارى أوروبا لحرب صليبية فحركت تلك الدعوة جموع النصارى من أوربا بجيوش جرارة[5] ، وفي عام (609 هـ =1212م) التقت قوات النصارى مع قوات الموحدين في معركة العقاب[6] فكان النصر في البداية للموحدين[7] غير أن جند الأندلس انسحبوا من المعركة؛ لأن الخليفة قد قتل أحد أكبر زعمائهم قبل المعركة،[8] كما إن الخليفة نفسه قد نكب بعض أشياخ الموحدين فغضبوا منه فلم يخلص أبناء قبيلتهم في القتال[9]، أما الخليفة فإنه توفي بعد عام من المعركة حيث مات كمداً وغماً[10].

خلف الناصر ابنه يوسف، وكان فتى ضعيفاً، وتوفي فجأة في مراكش (620هـ =1224) [11] وخلفه عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن بيد أنه عزل بعد أشهر عده[12]، وبايع الموحدون عبد الله بن يعقوب ثم بايعوا أخاه إدريس[13] ومن بعده بايعوا ابنه محمد الملقب بالرشيد عام (640هـ = 1243م) [14] وتعد غزوة العقاب بداية انهيار الدولة الموحدية في الأندلس، وكذلك بداية انهيار الوجود الإسلامي فيها[15].

---

[1] وقعت هذه المعركة بالقرب من حصن الأرك وهو حصن منيع في مدينة رباح. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص13.

[2] المراكشي، المعجب، ص282؛ ابن عذاري، ج3، ص235.

[3] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص235.

[4] وقد كان شاباً طموحاً معتزاً بنفسه وبرأيه، قليل الذكاء ولا يحترم أصحاب الخبرات الواسعة واستبد بالأمور. أبو خليل، معركة العقاب، ص20.

[5] المراكشي، المعجب، ص322 .

[6] وقعت عند حصن العقاب وهو يقع بين مدينتي جيان وقلعة رباح. الحميري ص137.

[7] المراكشي، المعجب، ص322 ؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص199.

[8] المراكشي، المعجب، ص322 ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص158.

[9] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص236.

[10] ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص161.

[11] م. ن، ص162.

[12] م. ن، ص192.

[13] كان عالماً وكاتباً، وأديباً فصيحاً، ذا نجدة ورأي وحزم، وحكم مدة خمس سنين وثلاثة أشهر. ابن السماك العاملي، الحلل المُوشية، ص163.

[14] الحجي، عبد الرحمن، التاريخ الأندلسي، ص465.

[15] سقطت قُرْطُبَة بيد النصارى (633هـ =1236م)، وفي (636هـ = 1238م) سقطت بَلَنْسِيَة كما سقطت إشْبِيْلِيَة عام (646هـ = 1248م). ينظر: السامرائي، تاريخ العرب، ص291.

الفصل الأول

مكانة الأندلس عند المسلمين

المبحث الأول: تعريف الرباط وفضله .

المبحث الثاني : الأندلس أرض رباط .

المبحث الثالث: تعريف الجهاد وفضـــله.

المبحث الرابع :لأندلس أرض جهـــاد .

المبحث الأول
تعريف الرباط وفضله

اقتضت إرادة الله أن تتمتع بعض الأقاليم بمزايا البركة والفضل، ومن هذه المزايا ميزة الرباط، ويقصد بالرباط بمعناه الاصطلاحي "هو ملازمة الثغور[1] لحراسة من فيها من المسلمين"[2] والمرابط في سبيل الله هو الشخص "الذي يشخص إلى ثغر من الثغور ليرابط فيه مدة ما"[3]، والرباط مأخوذ من الربط؛ لأنه إذا لازم الثغور فكأنه قد ربط نفسه بها[4] ، وجمع الرباط رباطات أو ربط[5]، والرباط نوعان : إما أن يكون حماية وحراسة حدود الدولة الإسلامية من أي خطر وشيك، سواء كان العدو موجوداً أم غير موجود، وهنا تكون الغاية من المرابطة حقن دماء المسلمين[6]، أي لها هدف وقائي، وإما أن يكون الرباط لتمركز القوات الإسلامية مواجهة لقوات العدو لحراسة بيضة الدين من أجل إقامة شعائر الإسلام[7].

ولقد حث الله تعالى على الرباط حين قال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون"[8] وفي موضع آخر من سورة الأنفال "وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ"[9].

وقد ورد في فضل الرباط أحاديث كثيرة توضح فضائل الرباط، والتي منها، أن النبي ﷺ قال:" رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها"[10] وروى مسلم عن سلمان الفارسي قال

---

[1] المقصود بالثغور في الأندلس: تلك الأقاليم القريبة من الحدود مع الممالك المسيحية في الشمال، والتي اتخذها المسلمون كمعاقل للاعتصام بها عند الخطر، أو تنظيم وسائل الغزو عندما يتقرر القيام به، وهذه الثغور ثلاثة هي:-

1- الثغر الأعلى، وقاعدته مدينة سرقسطة ويواجه مملكة نبارة.

2- الثغر الوسط، وقاعدته مدينة سالم، ثم تحولت إلى مدينة طليطلة ويواجه مملكة قشتالة وليون.

3- الثغر الأدنى، وقاعدته مدينة ماردة ثم انتقلت إلى مدينة بطليوس. ينظر: حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، ج1، ص355.

[2] ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص263.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص324.

[4] ابن رشد الجد، المقدمات الممهدات، ج1، ص364.

[5] المناوي، فيض القدير، ج4، ص45.

[6] ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص364.

[7] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص266، ج4، ص324.

[8] سورة آل عمران، آية 200.

[9] سورة التوبة، آية 120.

[10] البخاري، صحيح البخاري، ج10، ص1509، رقم الحديث2735 ؛ صحيح ابن حبان، ابن حبان، ج10، ص483، رقم الحديث 4623.

أن رسول الله ﷺ قال "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه"[1]، وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر"[2]، يعلق الإمام القرطبي الأندلسي على هذين الحديثين أن الرباط أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت، فالمرابط يضاعف أجره إلى يوم القيامة؛ لأنه لا معنى للنماء إلا المضاعفة وهي غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه، بل هي فضل دائم من الله تعالى إلى يوم القيامة؛ وهذا لأن أعمال البر كلها لا يمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منه بحراسة بيضة الدين وإقامة شعائر الإسلام، وهذا العمل الذي يجري عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة[3].

---

[1] مسلم، صحيح مسلم، ج11، ص1520، رقم الحديث 1913؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج4، ص188، رقم الحديث 1664؛ النسائي، سنن النسائي، ج6، ص39، رقم الحديث 3169.

[2] ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج10، ص484، رقم الحديث 4624؛ الهيثمي، موارد الظمآن، ج1، ص391، رقم الحديث 1624

[3] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص324.

المبحث الثاني

الأندلس أرض رباط

إن ظاهر التعريف السابق للرباط توحي بأن أرض الأندلس أرض رباط، فكما هو معلوم أن الأندلس تعرضت لهجمات نصارى الممالك الشمالية، ومن خلفهم نصارى أوروبا، سواءً كانت الأخطار برية أم بحرية، وقد أدركت الدولة الإسلامية هذه الخطورة؛ لهذا رسموا لأنفسهم سياسة دفاعية تتمثل في إنشاء ثكنات عسكرية في المناطق الحدودية الساحلية منها والبرية، من أي غارات مفاجئة وهي ما عرفت بالرباطات[1]

ولقد أكد بعض المؤرخين بأن الأندلس ميدان للرباط، فقد قال المقري في وصفه الأندلس: "ولو لم يكن بهذه الجزيرة الفريدة من الفضيلة إلا ما خصت به من بركة الرباط ورحمة الجهاد، لكفاها فخراً على ما يجاورها من سائر البلاد"[2] وحين سقطت الأندلس بيد النصارى خسر المسلمون فضيلة الرباط كما يقول الفقيه[3] إبراهيم بن خلف القرشي العامري[4]

أَلا مُسْعِدٌ مُنجِدٌ ذو فِطَنْ ... يُبكّي بدمع معينٍ هَتِنْ[5]

جزيرة أندلسٍ حَسْرة ... لما غالَها من خُطوب الزَّمَنْ

وينْدب أطلالها آسفاً ... ويرثي من الشَّرع ما قد وهَنْ

كَأنْ لمْ تَكُنْ سُلّماً للجهادِ ... ورَغْم الأعَادِي كَأنْ لمْ تَكُنْ

وكانت رباطاً لأهل الهُدى ... فعادت مَناطاً لأهل الوَثَنْ[6]

---

[1] الحميري، الروض المعطار، ص183.

[2] المقري، نفح الطيب، ج5، ص124.

[3] كانت كلمة عالم تتصرف عادة إلى الفقهاء، ولم يكن الفقيه عالم دين وحسب، وإنما كان واسع الثقافة متشعب ألوان المعرفة، آخذاً من كل منها بطرف، له مشاركة في الأدب من شعر ونثر، ولكن الصفة العلمية التي يتحلى بها كانت الصفة الفقهية، وكان الأندلسيون إذا أرادوا تكريم حاكم عظيم أطلقوا عليه لقب فقيه، ولقد حرص كل حكام الأندلس على مختلف الأزمنة أن يكون في مستوى من الثقافة الدينية التي تسمح له بمجالسة الفقهاء الذين كانوا زينة مجالس الأمراء ومستشاريهم، وكانت ثقافة الحكام تدفع بهم على الأغلب إلى احترام العلماء وإجلالهم . الشكعة، الأدب الأندلسي، ص97.

[4] إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن عمر بن فرقد القرشي العامري، وسكن إشْبِيْلِيَة، كان متفنناً في معارفه، محدثاً، راوية، عدلاً فقيهاً، حافظاً، شاعراً، كاتباً، بارعاً، حسن الأخلاق، جميل المشاركة لإخوانه وأصحابه، وكان من أصح الناس كتباً، وأتقنهم ضبطاً وتقييداً، وكان شديد الحنان على الضعفاء والمساكين واليتامى، صليباً في ذات الله تعالى، لا يقبل ثواباً عليها إلا من الله تعالى في أعماله، دونّ برنامجاً ممتعاً ذكر فيه شيوخه، وكيفية أخذه عنهم، (ت:572هـ=1176م). الرُّعيني، شيوخ الرعيني، ص133؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص364.

[5] المطر المتتابع. المنجد، ص854.

[6] الرعيني، شيوخ الرعيني، ص133؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص366.

ويذكر ابن سعيد[1] حديثاً راويه هو سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال" لا يزالُ أهلُ الغربِ على الحقِ لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة"[2] ويعلق الضبي على هذا الحديث فيقول" هذا الحديث – وإن كان تماماً غير محدود – فللأندلس منه حظ وافر لدخولها في العموم ولوقوع الأندلس غرباً وهي آخر المعمورة فيه، وبعض ساحلها الغربي على البحر المتوسط، وليست بعده مسلك، وبالتالي ليس غريباً اعتبار بلاد الأندلس ثغراً لمجاورتهم للروم واتصال بلادهم ببلادهم"[3]، وبسبب مجاورة الأندلس للنصارى بدأ الصراع المستمر بين المسلمين والنصارى، ولهذا عدت الأندلس – في نظر المسلمين – ثغراً للدولة الإسلامية وأرضاً للجهاد والمرابطة، ولقد فرض هذا الوضع عليها أن تستقبل المتطوعين من القبائل العربية والبربرية التي تمد الدولة بالجيوش اللازمة للجهاد[4] .

ولحماية البر الأندلسي من الأخطار الخارجية فإن الدولة الإسلامية قامت بإنشاء تحصينات ورباطات في المدن المهمة التي كانت بمثابة قواعد عسكرية مثل سَرَقُسْطَة [5]وطليطلة ، ومدينة سالم وقُرْطُبَة[6] ولاَرِدَة[7] وطُرْطُوشَة [8] وغيرها من المدن[9]، الى جانب الرباطات البرية كان هناك رباطات على السواحل؛ حيث أنشئت على سواحل الأندلس الرباطات وانجفل إليها المرابطون والمتطوعة ليرابطوا حرساً على شواطئ المسلمين، وأنشئت دور لصناعة السفن ونهضت البحرية الأندلسية نهضة سريعة[10] ومن المدن الساحلية الواقعة على الساحل الشرقي رباط

---

[1] المغرب، ج1، ص14.

[2] مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص 1525، رقم الحديث 1925؛ العسقلاني، فتح الباري، ج13، ص294، رقم الحديث 6882.

[3] بغية الملتمس، ج1، ص30.

[4] السامرائي، تاريخ العرب، ص400، نقلاً عن السامرئي، التعبئة العسكرية، ص40.

[5] سَرَقُسْطَة: مدينة عظيمة تقع في الشمال الشرقي للأندلس وتعني كلمة سَرَقُسْطَة "المدينة البيضاء" لكثرة جصها وقيل لأنها تشتهر بالملح، وهي إحدى قواعد الأندلس الكبيرة، تقع على ضفة النهر الكبير. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص240 ؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص150؛ الحميري، الروض المعطار، ص97.

[6] قرطبة: عاصمة الخلافة الأموية في الأندلس، وتقع وسط الأندلس وهي أعظم مدنها، وهي مدينة محصنة ، وتقع على سفح الجبل يتراوح ارتفاعه بين 100– 123متراً، وتبعد عن ساحل البحر المتوسط مسيرة خمس ليالٍ، وتطل على نهر كبير، وخرج منها أعلام العلماء. ينظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص82 ؛ الحموي، معجم البلدان ج4، ص368 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص150؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص219؛ سالم، قُرْطُبَة حاضرة الخلافة، ص15.

[7] لاَرِدَة: بنيت لاَرِدَة على نهر شقر، وتقع في منطقة إلى الشرق من سرقسطة، في منتصف الطريق بينها وبين برشلونة، وتقع شمال شرق قرطبة، ويحدها من الجنوب الغربي إشبيلية، ومن الجنوب الشرقي غرناطة، وهي مدينة خصبة ولها بساتين كثيرة، وفواكه غزيرة، ويجود في أرضها الكتان الذي تصدره إلى جميع نواحي الثغور. الذهبي، الأمصار ذو الآثار، ص184؛ حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، ج2، ص928 .

[8] طُرْطُوشَة: من الثغور الشمالية الشرقية للأندلس، وتقع على النهر الكبير، ولها قلعة حصينة، ويكثر فيها خشب الصنوبر. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص734 .

[9] العبادي، صور من حياة الحرب، ص20.

[10] مؤنس، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، ص95.

المَرِيَّــة[1]؛ حيث كان الناس يرابطون في هذه المدينة لحمايــة الــسكـــــان مــن أي اعتــداء خارجي[2]، ويفهم من البكري[3] أن الساحل الشرقي للأندلس كانت ثغوره عامرة بالنشاط احتــشدت فيها جماعات من المرابطين[4] ، وما يقال عن المَرِيَّــة يقال أيضاً عن المدن الساحلية الأخرى في شرق الأندلس، مثل مرسية[5] ودانية[6] ومَالَقَة[7] وبَلَنْسِيَة[8] وشاطبة[9]، حيث أصبحت هذه المــدن رباطاً للمجاهدين وثغراً من ثغور شرق الأندلس وقاعدة ينطلقون منها للجهــاد[10] ، أمــا ســاحل الأندلس الغربي المطل على المحيط الأطلسي فقد ذكرت مرابطات عــدة منهــا ربــاط شــلب[11] وبَطْلْيُوس[12] [13].

لقد زودت هذه المرابطات سواء البرية منها أو البحريــة بتحــصينات عــسكرية تــسمى الحصون، وغالباً ما تُــبنى هذه الحصون حول المرابطات لتساعد على تدعيم النظام الــدفاعي[14]، وهي مليئة بالمؤن والسلاح، ولها فائدة عظيمة يستفيد منها المرابطون إذا ما تعرضــوا للحــصار

---

[1] المَرِيَّــة: تقع على الساحل الشرقي للأندلس أمر ببنائها الأمير عبد الرحمن بن محمد عام(344هـ = 955م)، وهي تقع فــي الجنــوب الشرقي للأندلس، وتقع بين مدينتي مالقة ومُرْسِيَة على ساحل البحر، واتصفت بالحصانة وبنشاطها التجاري. أبو الفــضل، تــاريخ مدينــة المَرِيَّــة، ص33.

[2] الحميري، الروض المعطار، ص183.

[3] عبد الله بن عبد العزيز البكري، صاحب المؤلفات اللغوية البارعة مثل شرح الأمالي وفصل الخطاب، والكتب الجغرافية مثــل المــسالك والممالك، ومعجم ما استعجم، (ت:487هـ = 1094م). ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ج3، ص614؛ ابن بسام الــذخيرة، ق2، مــج1، ص232؛ الأصفهاني، خريدة القصر، ج2، ص504.

[4] المسالك والممالك، ص96.

[5] مُرْسِيَة: مدينة أندلسية تقع جنوب شرق الأندلس بنيت بأمر من الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، وتقع على نهــر كبيــر. ينظــر: الحميري، الروض المعطار ص182 ؛ الحموي، معجم البلدان، ج5، ص126.

[6] دانية: تقع على ساحل البحر المتوسط، وتقع شرق الأندلس وجنوب بلنسية ، استقل بها مجاهد العامري في عصر الطوائــف واســتولى عليها المرابطون عام(484هـ = 1092م). ينظر: الحميري، الروض المعطار ص76.

[7] مالقة: مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط، عليها سور صخر وهي حسنة عامرة كثيرة البنيان، وهي في غاية الحصانة، وتقــع بــين اشبيلية وغرناطة. ويكثر بها شجر التين. ينظر: ابن سعيد، الحميري، الروض المعطار، ص177.

[8] بَلَنْسِيَة: من مدن شرق الأندلس وهي مدينة سهلية كثيرة الحصون والقلاع وتعرف بمدينة التراب، وأهلها خير أهــل الأنــدلس يــسمون عرب الأندلس، وبلنسية من أقدم مدن الأندلس، يحدها من الشمال طُرْطُوشَة، ومن الجنوب دانية ومرسية، ومن الغــرب طليطلــة، وتطــل بوجهها الشرقي على البحر المتوسط. أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص48.

[9] شاطبة: تقع شرقي الأندلس، وتقع إلى الجنوب الغربي من مدينة بلنسية على الطريق إلى مرسية، وهي مدينة داخلية غير ساحلية وتمتاز عن غيرها من مدن شرق الأندلس بأنها تقع في سند جبل. العذري، ترصيع الأخبار، ص18.

[10] سالم، شاطبة الحصن الأمامي، ص ب (المقدمة).

[11] شلب: تقع غرب الأندلس، وهي إحدى القواعد العسكرية، سكنها عرب اليمانية، ومعظم سكانها فصحاء يقولــون الــشعر، ويمتــازون بالكرم الشديد، بينها وبين بَطْلَــيُــوس مسيرة 3 أيام. الحميري، الروض المعطار ص106، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص152.

[12] بطليوس: مدينة عظيمة تقع غربي الأندلس وغربي قُرْطُبَة قد بنيت زمن الأمير الأموي عبد الله بن عبد الرحمن الأوسط واتخذها بنــو الأفطس حاضرة لدولتهم حتى سيطر عليها المرابطون. ينظر: الحموي، معجم البلــدان، ج1، ص531 ؛ الحميــري، الــروض المعطــار، ص46؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص21.

[13] ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص267.

[14] م.ن، ج2، ص95.

الطويل، لدرجة أن بعض الحصون يبقى محاصراً من العدو ما يقارب عشرين سنة صامداً لكثرة ما تم تخزينه من عدة وعتاد[1]، ويفضل بناء الحصون المبنية فوق منطقة عالية لكشف العدو القادم من بعيد، وإبلاغ الجموع المرابِطة بأخذ الحيطة والاحتياط، وتبنى بداخلها عدد من الأبـــراج لمراقبـــة العدو والإنذار بهجومه،[2] وفي حالة رصد العدو من بعيد كان يتم إيقاد النيران فوق الأبراج،[3] ولا تخلو الرباطات من السراديب، يمتنع المرابطون بها من العدو كما يمكنهم الخروج من تحت الأرض إلى الخارج،[4] وأكثر مدن الأندلس مسوّرٌ من أجل الاستعداد للعدو، وكانت هذه المرابطات تغص بكميات كبيرة من المرابطين؛ حيث إن أهل الأندلس كانوا شديدي التحمس للرباط والجهـــاد ضـــد أعداء الإسلام،[5]وكانت الحراسة تعد صفة أساسية من صفات المرابطة، وقـــد عـــرف الحـــراس الليليون باسم السمار[6] وكانت هذه المرابطات عامرة بالسكان، آهلة بالأسر الكاملة المكونة مـــن الآباء والأجداد والأطفال، وكان لهذه الأسر دور إيجابي في الدفاع عن مدنهم حين تتعرض لهجمات خارجية،[7] وهؤلاء السكان المحليون لم يكونوا في نظر أهل الأندلس مرابطين، وإنما المرابط من خرج من منزله معتقداً الرباط في موضع الخوف[8]، وكان المرابطون محل أنس وطمأنينة للسكان المحليين[9]، ومن الحرف التي كثر امتهانها من السكان صناعة الأسلحة خاصة السيوف[10] ، ولقـــد اهتم السكان المحليون بتربية الخيول وتدريبها، واهتموا بسلامتها وتغطية أجسامها بدروع، وكانت الدولة تفرض عليهم في أوقات الأزمات تقديم عدد من الخيول للمساهمة في الجهاد[11]

أما عن حياة المرابطين، خلال مدة المرابطة، فقد كان المرابطون يلزمون العبادة بمختلـــف أشكالها من صيام، وتلاوة للقرآن، وقيام الليل، ودراسة العلوم الدينية، كما كان هناك منهج تربـــوي خاص يخضع له المرابطون في الثغور، وهي كتب الجهاد بمواضيعها المختلفة والنظم الإســـلامية الحربية[12]، وكان للمرابطين بعض النشاطات اليومية التي هي أشبه بـــالطقوس، "حيـــث كـــانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير في المرابطات بحضرة العدو أو بغير حضرته، وكان يتقـــدمهم مـــرابط بالتكبير أو التهليل، ثم يجيبه الآخرون بنحو من كلامه جمعاً غفيراً، وكانوا يفعلون هذه العادة دبـــر

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج1، ص206.

[2] م. ن، ج5، ص95.

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص192.

[4] الحميري، الروض المعطار169.

[5] ابن خلدون، العبر، ج3، ص839.

[6] ابن صاحب الصلاة، المن بإمامة، ج2، ص373؛ ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص103.

[7] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج3، ص17.

[8] ابن رشد، المقدمات الممهدات، ح1، ص365.

[9] م. ن، ج1، ص365.

[10] ابن النحاس، مشارع الأشواق، ص35 .

[11] المقري، نفح الطيب، ج1، ص185.

[12] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص176.

كل صلاة وفي أوقات أخرى غير دبر كل صلاة، وفي رباطات أخرى كانوا يكبرون ثلاثاً عقب كل صلاة عشاء وفجر في المرابطات"[1].

وكان المرابطون أحياناً ينتقلون من رباط إلى آخر طلباً للأجر؛ حيث إن الأجر في الرباط على قدر الخوف، وحاجة أهله إلى حراستهم،[2] فإذا ما وجدوا قدراً من الأمان في ثغر ما، انتقلوا إلى آخر أشد خطورة وأكثر عرضة للأخطار لحماية السكان من تلك الأخطار[3].

أما عن كيفية حضور الراغبين في المرابطة فكانوا إما فرادى أو على شكل جماعات،[4] ولعل السبب في حضورهم على شكل جماعات هو سبب نفسي وذلك لتشجيع الأفراد بعضهم بعضاً، وإما أن تكون هذه الجماعات جاءت نتيجة استجابة لنداء العلماء، الذين تكررت دعواتهم لمسلمي الأندلس على الجهاد، وهم في طريقهم للمرابطة ومن ثم ينطلقون سوية،[5] وكانت الأيام التي يرابط بها المرابطون غالباً أربعين ليلة لما روي، أن رسول الله ﷺ قال: "تمام الرباط أربعون ليلة"[6] ، هذا على صعيد المتطوعين، أما الجنود المكلفين بحماية الثغور فينتمون إلى جيش الثغور، وهو تشكيل عسكري كان يرابط باستمرار في المناطق الحدودية المتاخمة للممالك النصرانية، وكان يُعهد بقيادة هذه الفرقة إلى شخصية عسكرية قوية تتولى إمرة الثغر، وتدافع عنه[7] وقد كان المرابطون المتطوعون يخضعون لإدارة قيادة جيش الثغور،[8] التي وقعت على عاتقها مسؤولية الاهتمام بشئون المرابطات وتجهيزها، بحيث تكون على مستوى عالٍ من الحصانة والمتانة؛ لهذا تكررت الزيارات الميدانية لرموز الدولة الإسلامية في الأندلس بدءاً من الخلفاء والحكام والقواد والوزراء لتفقد الثغور[9]، وهذا يدخل من باب الزيارات التفقدية، لمراقبة أحوال الثغور والمرابطات الحدودية والاطلاع عليها[10]، وفي أثناء الزيارات كان الحكام يبدون إعجابهم وتقديرهم للمتطوعين المرابطين، كما كانوا يطلبون المزيد من دعائهم للحكام بالمغفرة والتوفيق[11]، وفي حال انشغال الحكام بشئون الحكم الداخلية أو الخارجية، كانوا يرسلون من ينوب عنهم " للإشراف عليها

---

[1] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج2، ص537.

[2] ابن رشد، المقدمات، ج1، ص364 ؛ ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص23.

[3] ابن رشد، المقدمات، ج1، ص364.

[4] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج2، ص551.

[5] ابن الأبار، المعجم، ص172.

[6] الطبراني، المعجم الكبير، ج8، ص133، رقم الحديث 7606؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج5، ص528، رقم الحديث9503.

[7] المجالي، تطور الجيش العربي في الأندلس (138- 422هـ = 756 – 1031م)، "رسالة دكتوراه منشورة"، (الجامعة الأردنية 1996م).
ص113.

[8] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص64.

[9] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص43، 48.

[10] التسولي، البهجة، ص100 ؛ الكشناوي، أسهل المدارك، ص4.

[11] ابن حيان، بلد الأندلس، ص262.

وللإعلام بمصالحها ، والبنيان لحصونها ، وترتيب مغازيها ، وإدخال جيوشها إلى الحرب"[1] ، ولم يكن الحكام يرسلون إلا من يثقون بهم وبقدراتهم العسكرية والإدارية من الوزراء والقواد والقضاة.[2]

وكما إن الحكام وقعت عليهم مسؤولية الإعداد العسكري من أسلحة وحصون ومؤن، فإن العلماء وقعت عليهم مسؤولية الإعداد النفسي والمعنوي للمقاتلين المرابطين، فقد كان العلماء يتجولون في الثغور والرباطات بهدف التعبئة النفسية، وتحريض المرابطين على الصبر والثبات، وغرس القيم العسكرية كالشجاعة والإقدام، بهدف تقوية العزائم وإلهاب روح الشجاعة في النفوس[3].

ومن نتائج وجود العلماء في الرباطات – فضلاً عن رفع الروح المعنوية للمرابطين أيضاً – زيادة النسبة العددية للراغبين في الرباط خاصة من طلبة العلم[4]؛ حيث إن وجود العلماء المرابطين يعوضهم عما فقدوه من الإقامة في المدن للتعلم، لكن وجود العلماء في المرابطات يعطي الفرصة للمرابطين للعلم والرباط، ولم يكن العلماء المرابطون من شريحة اجتماعية واحدة، بل من مختلف الشرائح والفئات الاجتماعية فكان منهم المحدثون،[5] والشعراء،[6] والنحاة،[7] والأدباء،[8] والمختصون بالعلوم الدينية،[9] والقضاة،[10] والوزراء،[11] والأمراء،[12] والحكام،[13]، وكما تفاوت المرابطون في أوضاعهم الاجتماعية، فإنهم تفاوتوا من حيث جنسياتهم؛ فلم يكن الرباط محصوراً على علماء الأندلس فحسب، بل وفدت الجموع الراغبة في الرباط من العلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ولم يكن يدفعهم للسفر إلى الأندلس سوى الرغبة في الرباط[14] ثم العودة إلى أوطانهم،[15] وهناك جماعة من العلماء فضلت الموت في المرابطات على العودة إلى ديارهم[16]

---

[1] النباهي، المرقبة العليا، ص60.

[2] م. ن، ص60.

[3] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص68.

[4] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج2، ص598.

[5] ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص62.

[6] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص103.

[7] م. ن، ص114.

[8] م. ن، ص172.

[9] ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص140.

[10] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص134.

[11] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص37 ؛ ابن عذري، البيان المُغْرب، ج2، ص84.

[12] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص8.

[13] ابن السماك العاملي، الحلل المُـوشِـية، ص121.

[14] ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص140.

[15] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص146.

[16] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص176،172؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص14.

ليجسدوا – على الواقع – الحديث الشريف "من مات مرابطاً مات شهيداً، ووقي من فتان القبر، وغدي عليه وريح برزقه من الجنة وجرى له عمله"،[1] ومن هذا الباب طلب الخليفة الموحدي يعقوب بن يوسف "المنصور" حينما شعر بدنو أجله، أن ينقلوه إلى الأندلس ليموت مرابطاً فيها[2]، وكان بعض العلماء يتكرر حضورهم للرباط، بحيث كانوا يفدون عليها في حقب متعددة،[3] ولقد ظهرت بطولات نادرة للعلماء وشجاعة فائقة في قتال النصارى، حتى أن بعضهم كان يلقب بالبطل، [4] وبرغم أن الدولة تُكلف بتوفير احتياجات المرابطين المادية، من سلاح، وخيول، وطعام، ومأوى، إلا أن عدداً من العلماء كان يعتمد في توفير هذه المتطلبات على نفقته الخاصة،[5] حتى لو أدى ذلك لبيع الحلي، لشراء متطلبات الرباط كالفرسان والسلاح بأنواعه المختلفة،[6] وإذا ما نفد ماله حال وجوده في الرباط فإنه يقوم بكراء فرسانهم مقابل مبلغ محدد من المال، وبيع الخيول والفرسان وقت الرباط من الأمور التي تدخل في إطار الكراهية،[7] إلا أن يشتري بثمنه غيره،[8]وهناك صنف آخر من المرابطين العلماء لم يكن ينضوي تحت أجهزة الدولة العسكرية، كما أن ظروفه المادية لم تؤهله لشراء عدة القتال، فكان يعتمد على تلك النفقات التي يخرجها أهل الخير، سواء كانت نفقات مادية، أو عينية كالسلاح والفرسان، فإذا ما انتهت مدة رباطه، وتبقى معه أموال الصدقة فإنه يعطيها لغيره من المرابطين،[9] وكان عدد من سكان الثغور(السكان المحليون) يصنعون طعاماً كثيراً للمرابطين،[10]يحدوهم الأمل في أن يكونوا ممن جهزوا غازياً، فقد ورد في الحديث الشريف "من جهز غازياً فقد غزا "[11]، هذا جانب عن طبيعة العلاقة بين السكان المحليين والمرابطين العلماء، أما من جانب المرابطين العلماء فلم يكونوا ذوي نزعة سلبية تقوم على اعتزال السكان المحليين، واجتنابهم وعدم الاكتراث بأمورهم، لكنهم كانوا ذوي نزعة إيجابية نشيطة وفعالة، فكانوا يعلمونهم أمور دينهم ويفقهونهم في علوم الدين، ويأمرونهم بالمعروف، وينهونهم عن المنكر،

---

[1] ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج10، ص484، رقم الحديث 4624؛ الهيثمي، موارد الظمآن، ج1، ص391، رقم الحديث 1624.

[2] الزركشي، تاريخ الدولتين، ص14.

[3] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص115.

[4] م.ن، 349.

[5] م.ن ، ص228.

[6] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج2، ص551.

[7] م. ن، ج2، ص537.

[8] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج2، ص598 ؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص185 ؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج5، ص98.

[9] م. ن، ج2، ص589،546.

[10] ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص27.

[11] البخاري، صحيح البخاري، ج3، ص1045، رقم الحديث2688؛ مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص1506، رقم الحديث 1895؛ أبو داود، سنن أبي داود، ج2، ص15، رقم الحديث 2509.

بعد أن يسلكوا هم أنفسهم الطريق القويم فيكونوا أسوة حسنة للناس يتأسون بها[1]، وكان المرابطون في كثير من الأحيان يقومون بإصلاحات طرق ومساجد وحصون الرباطات[2].

وفي حالة تعرض هؤلاء المرابطين لخطر داهم فإنهم كانوا يتصدون له لإبعاده ، وفي بعض الأحيان يضطرون للاحتماء بالحصون، ويقاتلون العدو من داخله حتى ينفد صبر الأعداء وتنفد ذخيرتهم وطعامهم،[3] وفي حالات عديدة كانت مجموعة من المرابطين يقومون بعمل فدائي فيه ضرب من الشجاعة والجسارة، حين تخرج مجموعة من المجاهدين من الحصن بأعداد قليلة، ويباغتون العدو الذي يحاصرهم مدة طويلة فيظفرون بقتل عدد من أعدائهم، ويعودون محملين بالجنود والفرسان والأسرى، وفي مثل هذه الحالة كانت الغنائم تقسم على جميع المقاتلين في الحصن، "لكون من لم يقاتل منهم ردءاً عن من قاتل وعوناً لهم على الغنيمة، لأن نفوسهم تقوى بوقوفهم وتزيد من جرأتهم على العدو، والعدو يرهبهم"[4] ، وجميع هذه الأعمال والتحركات تكون صادرة عن الهيئة القيادية العسكرية لمتابعتها، ولا يسمح القيام بأي نشاط حربي دون أخذ الإذن من القيادة الميدانية إلا إذا داهم النصارى ثغور المرابطين، وكان القائد بعيداً عنهم، فعندئذٍ يجب عليهم قتال العدو[5]، ولم تكن المرابطات ثكنات عسكرية بغرض الدفاع عن حدود الدولة فحسب، بل كانت قواعد تنطلق منها الجيوش لحرب طويلة الأمد أو لغارات سريعة وقصيرة [6].

ولقد شارك المرابطون في العديد من الحروب البحرية، فقد كان لهم الدور الأكبر في الفتوحات الإسلامية لجزر البليار[7].

ولم تتوقف وتيرة حركة الرباط طيلة العهد الإسلامي في الأندلس لكن يبدو أن المرابطة زمن حكام الطوائف أصابها بعض التغيرات من الناحية الإدارية؛ حيث يوجد إشارات توضح أن المرابطة في الثغوركانت تحتاج لموافقة حاكم الولاية، فقد "استأذن جماعة من المتطوعين المعتمد بن عباد[8]في الرباط في الأندلس ومجاهدة العدو والكون ببعض الحصون المصاقبة للروم إلى أن

---

[1] ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص14 ؛ ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص649.

[2] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص59.

[3] المقري، نفح الطيب، ج1، ص206.

[4] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج3، ص10.

[5] م. ن، ج3، ص591.

[6] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ص64.

[7] مؤنس، " المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط "، المجلة التاريخية المصرية، (ع1، م4 ، مايو 1951) ص121.

[8] هو محمد بن عباد بن محمد بن عباد اللخمي، يكنى أبا القاسم، وكان هذا الأمير شاعراً، أديباً، وتولى حكم إشْبِيْلِيَة بعد والده المعتضد، ثم ضم قُرْطُبَة إلى نفوذه من بني جهور، وكان يدفع الجزية للنصاري ثم طمعوا في مملكته، فاستنجد بيوسف بن تاشفين، وشارك في معركة الزلاقة، وأبلى بلاءً حسناً، لكنه عاد وتحالف مع النصارى ضد المرابطين، مما حدا بهم القيام بخلعه، واعتقاله، ثم نفيه إلى مدينة أغمات في بلاد المغرب العربي، (ت: 488هـ = 1095م). ينظر: ابن بسام ق2، مج1، ص41 ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء ج2، ص52 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص39؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص157.

يموت فيها"[1] وكذلك يذكر الذهبي أن يوسف بن تاشفين استأذن المعتمد في جماعة من الصالحين قد رغبوا في الرباط فسمح لهم[2].

وقد جرت العادة عندما يقترب الجيش من أرض العدو، أن ينضم إليه قواد الثغور بجيوشهم وعتادهم، ثم يتقدم الجميع لملاقاة العدو، وكان يتقدم الجيش عيونه وجواسيسه لمعرفة أخبار العدو وعدد شجعانه، وجنوده، وكانت مناطق الثغور مرتعاً خصباً لأعمال التجسس وجمع المعلومات من كلا الجانبين[3]؛ إذ كان يعيش فيها عدد كبير من المسلمين الذين يتقنون اللغة الإسبانية، وإلى جانب العيون والجواسيس[4] كان هناك الأدلاء الذين يتقدمون الجيش لإرشاده إلى المسالك والطرقات الصحيحة بين الجبال الوعرة، ولهذا كان يختار لهذه المهمة الرجال الموثوق بأمانتهم وإخلاصهم[5]، وكذلك كان يلحق بالجيش الخطباء والشعراء لوعظ الجنود وتقوية روحهم المعنوية[6] إلى جانب الأطباء لعلاجهم، وقاضي الجند لحل قضاياهم والفصل في منازعاتهم[7]، ويذكر ابن خلدون" أن الجيوش الإسلامية في الأندلس كان الشاعر يتقدم صفوفها، ويتغنى فيحرك بغنائه الجبال الرواسي ويبعث على الاستماتة من لا يظن بها وتنبعث عنه الشجاعة "[8] .

---

[1] المراكشي، المعجب، ص138.

[2] تاريخ الإسلام، ج1، ص340.

[3] العبادي، صور من حياة الحرب، ص75.

[4] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص688؛ ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3ص189.

[5] البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص99؛ ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص52.

[6] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص481.

[7] النباهي، المرقبة العليا، ص60.

[8] المقدمة، ص258.

المبحث الثاني

تعريف الجهاد وفضله

الجهاد في سبيل الله أصل متين في الإسلام، وهو روحه وسر قوتـــه، وعنـــوان وجـــوده وحيويته، وهو أحد السبل التي يسلكها المؤمنون الصادقون، ويصلون به إلى جنات النعيم، وينالون رضوان رب العالمين، وبه حافظت الدول الإسلامية عامة، والأندلس خاصة على كيانها ووجودها وثقافتها، وتصدت لأعدائها النصارى في داخل الدولة وخارجها، ففشلوا في تحقيق مآربهم، وحـــين تركوا الجهاد أصيبت الدولة الإسلامية بنكسة وتراجـــع علـــى المـــستوى الـــسياسي والحـــضاري والاقتصادي؛ حيث نجح النصارى في القضاء على الدولة الإسلامية في الأندلس، التي كانت مظلة الأمان للمسلمين وغير المسلمين فيها.

ولكي يتضح معنى الجهاد كاملاً وجب تعريفه بمعناه اللغوي والاصطلاحي "فالجهاد لغة: بذل الجهد واستفراغ الوسع [1] .

والجهاد اصطلاحا: " المبالغة في إتعاب الأنفس في ذات الله وإعلاء كلمته التي جعلها الله طريقاً إلى الجنة وسبيلاً إليها" [2] والجهاد ينقسم إلى أربعة أقسام: جهاد بالقلب وجهاد باللسان وجهـــاد باليـــد وجهاد بالسيف[3].

أما جهاد القلب فهو جهاد الشيطان ومجاهدة النفس عن الشهوات المحرمات، [4] " (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى)[5]، وجهاد اللسان هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك ما أمر الله به من جهاد المنافقين، حين قال (عز وجل): " (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِـــدِ الْكُفَّـــارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [6] ، وجهاد اليد زجـــر ذوي الأمـــر عـــن المنكر والأباطيل والمعاصـــي والمحرمـــات، وعـــن تعطيـــل الفـــرائض والواجبـــات، بـــالأدب والضـــــرب، وأيضاً إقامة الحدود على العاصين، وأما جهاد السيف فهو قتال المـــشركين عـــن الدين[7]، فكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف والقتال[8]، وحديث القرآن الكريم عن الجهـــاد فـــي سبيل الله كثير، قال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[9]، وقال أيضاً فـــي

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، جزء3، ص135.

[2] ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص341.

[3] ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص341 ؛ الكشناوي، أسهل المدارك، ج2، ص3.

[4] ابن رشد، المقدمات الممهدات ج1، ص341 ؛ الكشناوي، أسهل المدارك، ج2، ص3.

[5] سورة النازعات، آية 40.

[6] سورة التوبة، آية 73.

[7] الكشناوي، أسهل المداري، ج2، ص3.

[8] ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص342.

[9] سورة البقرة، آية 216.

موضع آخر (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ)"[1]، وفي آية أخرى (قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [2]، وقال تعالى:(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [3] ، والآيات في الأمر بالجهاد وقتال أعداء الدين كثيرة، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة التي تقرر حقيقة الجهاد، وتحث عليه، وترغب فيه، وتوضح فضائله والتي منها، عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: "أتى رجلٌ رسول الله ﷺ فقال: أي الناس أفضل ؟ قال: مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله"[4].

والجهاد لا يعدله شيء، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: "يا رسول الله: ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال ﷺ : لا تستطيعونه، مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع في سبيل الله"[5]، كما إن للمجاهد في الجنة درجات علا، قال ﷺ : "إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين الدرجتين، كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن"[6].

وإن سياحة الأمة الإسلامية في الجهاد، فعن أبي أمامه الباهلي: أن رجلاً استأذن رسول الله ﷺ في السياحة، فقال :"إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله"[7].

الجهاد في الشريعة الإسلامية إما فرض كفاية أو فرض عين، ويكون فرض كفاية عندما تقوم مجموعة من المسلمين بدفع الأعداء وغزوهم في عقر دارهم وحماية ثغور المسلمين، ففي هذه الحالة تسقط فريضة الجهاد عن الباقين وتكون لهم نافلة وقربة، [8] ويكون فرض عين إذا احتل العدو بلداً أو جزءاً من بلاد المسلمين، فعندئذ يتعين على جميع أهلها قتالهم[9]، وعلى المجاهد أن يراعي مسائل مهمة تتعلق بالجهاد مثل:-

---

[1] سورة التوبة، آية 5.

[2] سورة الحج، آية 40.

[3] سورة الحجرات، آية 15.

[4] البخاري، صحيح البخاري، ج3، ص1026، رقم الحديث2786، يذكر ابن رشد أنما كان الجهاد من أفضل الأعمال لأن فيه بذل النفس في طاعة الله ومن بذل نفسه في طاعة الله فقد بلغ الغاية التي لا يقدر على أكثر منها، ولذلك جازى الله الشهداء في سبيله لما بذلوا حياتهم في طاعته بأن أحياهم أفضل من حياتهم التي بذلوها في طاعته. ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص343.

[5] مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص1498، رقم الحديث 1878.

[6] ابن حبان: صحيح ابن حبان، ج10، ص471، رقم الحديث 4611

[7] أبو داود، سنن أبي داود ج2، ص7، رقم الحديث2486، الطبراني، المعجم الكبير، ج8، ص183، رقم الحديث7760.

[8] ابن حزم، المحلى، ج5، ص340 ؛ ابن رشد، المقامات الممهدات، ج1، ص347 ؛ ابن رشد (الحفيد) بداية المجتهد، ج2، ص941.

[9] ابن حزم، المحلى، ج5، ص340 ؛ ابن عبد البر، الكافي، ص 205؛ ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص347.

1-إخلاص النية في الجهاد: أي "أن يجاهد الرجل ويقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وابتغاء الثواب، فينبغي أن يعقد نيته على ذلك، فإنه إذا عقد نيته على ذلك لم تضره -إن شاء الله- الخطرات التي قد تقع في القلب ولا تملك"[1].

2- استئذان الأبوين: فلا يصح التحاق الابن إلى قوافل المجاهدين بغير إذن أبويه معاً إن كانا موجودين، أو بغير إذن أحدهما إن كان الآخر ميتاً، وذلك إذا كان الجهاد على الكفاية[2] أما إذا كان الجهاد على الفرض فله الخروج من غير إذنهما[3] ؛ لأنه إنما يلزمه أن يطيع أبويه في ترك النافلة وأما في ترك الفريضة فلا[4].

3- قضاء الدين: فمن عليه دين لا يجوز له أن يغزو إلا بإذن صاحب الدين، إلا أن يكون الدين لم يحل عليه، وعليه أن يوكل من يقضي عنه دينه عند حلوله[5] وإن كان عديماً فقيراً لا شيء معه فله أن يغزو بغير إذن من له الدين، إذ لا منفعة للذي له الدين في تركه الغزو وقد يرزق في الغزو ما يؤدي به الدين عن نفسه، ففي الجهاد منفعة للمجاهد ولصاحب الدين[6].

كما إن هناك شروطاً للمجاهدين وهي " ستة شروط لا بد من توفيرها، متى انخرم واحد منها سقط وجوبه ، وهي الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورة والاستطاعة بصحة البدن وما يحتاج إليه من مال[7]

1- **الإسلام:** حيث أن الله (عز وجل) يوجه في الخطاب إلى المؤمنين دون الكفار على معظم آيات الجهاد[8] .

2- الحرية: الجهاد لا يجب على العبيد الرقيق[9]، وقال تعالى: (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [10] .

3- **العاقل:** يسقط الجهاد عن المجنون لعدم تكليفه[11].

---

[1] ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص354.

[2] ابن حزم، المحلى، ج5، ص341 ؛ ابن عبد البر، الكافي ص206؛ ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص354.

[3] ابن حزم، المحلى، ج5، ص341 ؛ ابن رشد (الحفيد)، بداية المجتهد، ج2، ص931.

[4] ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص351.

[5] ابن رشد، البيان والتحصيل ج1، ص351.

[6] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج1، ص351 ؛ ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص351.

[7] ابن رشد، المقدمات، ج1، ص353.

[8] ابن رشد، المقدمات، ، ج1، ص353.

[9] م. ن، ج1، ص353.

[10] سورة التوبة، آية 91.

[11] ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص353.

4- الذكورية: لا يجب الجهاد على المرأة وذلك لضعفها؛ ولأن المرأة أمرت بالستر والقرار في بيتها[1].

5- السلامة من العيوب: كل من كان مريضاً به علة لا يستطيع النهوض معها، أو معاقاً حركياً، فلهم العذر في عدم الالتحاق ضمن قوافل المجاهدين[2] لقوله تعالى: "لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ"[3].

6- القدرة المالية: وهي النفقة التي يحتاج إليها ذهاباً وإياباً ، ونفقة السلاح ولوازم الحرب، فلا يجب على من لا قدرة له على النفقة[4] قال تعالى: "لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ"[5]، وتشير بعض النصوص إلى اشتراك النساء[6] والعبيد[7] والصبية[8] والمعاقين حركياً بإحدى أيديهم واقدامهم [9]في بعض العمليات العسكرية، ولعل ذلك يكون في حالة أن الجهاد فرض عين حيث تخرج المرأة دون إذن زوجها والعبد دون إذن سيده والابن دون إذن أبيه[10].

و لم يفضل الرباط على الجهاد؛ إذ لا يصح أن يقال إنّ أحدهما أفضل من الآخر على الإطلاق، وإنما ذلك حسب الأوضاع السياسية التي تمر بها الدولة، فالرباط أفضل عند شدة الخوف وتعرض حدود الدولة لهجوم خارجي، ويكون الجهاد أفضل عند الأمن وقلة الخوف من العدو[11]، ويعد الرباط أفضل من طلب العلم[12] .

---

[1] م. ن، ج1، ص353.

[2] ابن عبد البر، الكافي، ص206.

[3] سورة الفتح، آيه 15.

[4] ابن عبد البر، الكافي، ص206.

[5] سورة التوبة، آية 91.

[6] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج2، ص523.

[7] م. ن، ج3، ص14.

[8] م. ن ، ج2، ص523.

[9] م. ن، ج2، ص523.

[10] ابن حزم، المحلى، ج5، ص340 ؛ ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص351.

[11] ابن رشد، االبيان والتحصيل، ج2، ص522.

[12] م.ن، ج2، ص587.

المبحث الرابع

الأندلس أرض جهاد

ونالت بلاد الأندلس شرف الجهاد في سبيل الله فكانت ميداناً للكثير من المعارك بين القوات الإسلامية والقوات النصرانية؛ لهذا يورد المقري هذه الحقيقة بقوله: "واعلم أنه إن لم يكن للأندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد لكفاها "[1]، أما الضبّي فيؤكد هذه الفضيلة "حيث إنها ميدان للجهاد واستقبلت خير العباد وفتحت في خير القرون، ولو لم يكن للأندلس إلا هذا لكفاها[2]

والواقع أن الأندلس كانت أشبه ما تكون بقاعدة حربية، قضت حياتها في جهاد مستمر، ولقد نجحت الأندلس في أن تذود عن حياض الإسلام زمناً طويلاً، وأن تصد هجمات الأعداء بكل قوة وبسالة، ولم يقدر لها أن تستريح من الجهاد يوماً ما، فمنذ أن دخلها المسلمون وهم حريصون على التمسك بها، وكانوا يتخذونها قاعدة لمواصلة فتوحاتهم وتحقيق مزيد من الانتصارات، وكان النصارى يدركون مدى ما تسبب لهم هذه الجزيرة من متاعب وقلق، فعملوا على ضربها، وشنوا هجمات كثيرة عليها وخاض المسلمون معارك ضارية ضد هؤلاء الطامعين[3]

ولما كانت الأندلس أرض رباط وجهاد فإنها جذبت إليها أعداداً من مسلمي العالم طلباً للجهاد فيها، فقد شملت القوة الأولى التي فتحت الأندلس على أيديهم، مجموعة من التابعين وصل عددهم إلى ثمانية وعشرين[4] رجلاً، [5]كما إن هناك بعض المصادر التاريخية [6] تذكر أن واحداً من الصحابة دخل الأندلس وهو المنيذر الأفريقي[7] الذي دخل مع موسى بن نصير .

ولقد بشر رسول الله ﷺ بفتح الأندلس بإشارة غير مباشرة، فعن أنس بن مالك عن أم حرام "أن النبي ﷺ نام يوماً في بيتها فاستيقظ وهو يضحك، فقالت: يا رسول الله ما يضحكك؟ قال: عجبت من قوم من أمتي يركبون البحر كالملوك على الأسرة، فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني فيهم قال: فإنكِ منهم، قالت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال أنت من الأولين"[8] ولقد استشهدت أم حرام

---

[1] نفح الطيب، ج1، ص186.

[2] بغية الملتمس، ج1، ص10.

[3] محمود، اتجاهات الشعر الأندلسي، ص148.

[4] مثل: أوس بن ثابت الأنصاري، وحنش بن عبد الله الصنعاني، وعلي بن رباح وزيد بن قاصد السككي ، وفضالة بن عبيد الله، وابو عبد الرحمن الحنبلي، وابن شماسة، وعياض بن عقبة، وموسى بن نصير، وحبان بن أبي جبلية القرشي، والمغيرة بن أبي بردة الكناني وابنه عبد الله، ورجاء بن حيوة، وعبد الجبار بن أبي سلمة، ومنصور بن خزامة، وعلي بن عثمان بن خطاب.الحميري، الروض المعطار، ص97؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص67.

[5] ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ج1، ص30،31 ؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص283 ؛ المراكشي، المعجب ج1، ص14 ؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص66.

[6] م.ن، ج1، ص278.

[7] المنيذر الإفريقي رجل من أصحاب النبيﷺ ، روى عنه عبد الرحمن الحنبلي وسكن أفريقيا ودخل الأندلس. ابن قانع، معجم الصحابة، ج3، ص105؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج1، ص279، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ج6، ص227

[8] مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص1518، رقم الحديث 1312.

زمن الخليفة عثمان بن عفان في فتح قبرص سنة ثمان وعشرين[1]، وأورد الفقيه الضبي تعليقاً على الحديث السابق "أن رسول الله ﷺ الذي أوتي مجامع الكلم، وهو لا ينطق عن الهوى، استخدم لفظ الأولين، إذاً بالضرورة وجود التالين فيكون الذين فتحوها، تالين في العدد، لمن يعد من الأولين الذين ركبوا البحر، هذا الجيش المبشر في مدته"[2]

وتذكر بعض المصادر[3]بعضاً من الكرامات التي رافقت عملية الفتح الإسلامي للأندلس، ومن ذلك أن طارق بن زياد[4] غلبته عيناه قبل خوضه المعركة الفاصلة، فرأى النبي ﷺ ومعه مجموعة من المهاجرين والأنصار قد تقلدوا السيوف، فقال رسول الله: يا طارق تقدم لشأنك، وأمره ببعض الإرشادات المهمة، ثم دخل الرسول ومعه أصحابه الأندلس، فاستيقظ طارق مبشراً الجند مما زاد في عزمهم، ورفع الروح الجهادية للجند.

ولقد شهدت أرض الأندلس الكثير من الحروب والمعارك، من أجل الحفاظ على سلامة المجتمع الإسلامي، من أي اعتداء خارجي عليها، فقد أولى الكثير من الحكام عناية خاصة بكل ما يتعلق بقضايا الجهاد، سواء كان ذلك في حالة الدفاع أو الهجوم [5] ؛ لأن الجهاد من أهم متطلبات الحكم ومسؤوليات الحاكم[6].

ومثلما اختلفت الفئة العمرية للمرابطين على الثغور، كذلك اختلفت أعمار الذين التحقوا بالجهاد، إذ التحق عدد من صغار السن [7]، وكان بعض المجاهدين يخرج للغزو حتى ولو كان معاقاً في إحدى قدميه أو يديه، فضلاً عن الرجال والشيوخ[8] ، ولا يسمح للصبيان بالاتحاق بالمجاهدين دون إذن الأبوين، إلا إذا وقع جزء من البلاد الأندلسية في يد النصارى، ففي هذه الحالة يُسمح لهم بالانضمام إلى المجاهدين[9].

ووفدت على بلاد الأندلس جموع كبيرة من أصقاع العالم الإسلامي، ومن مختلف الأعراق والجنسيات، سواء من المشرق الإسلامي ومروراً بالجزيرة العربية[10] أو من مصر[11] وانتهاءً

---

[1] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص437.

[2] بغية الملتمس، ج1، ص24.

[3] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص34؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص268 ؛ المقري، نفح الطيب،ج1، ص268.

[4] اختلف المؤرخون حول شخصية طارق بن زياد، فالبعض يرى أنه فارسي وأنه مولى لموسى بن نصير، والبعض الآخر أنكر ولاءه لموسى وقال إنما هو رجل صدف أو مولى لهم، والبعض الثالث يرى أنه مغربي من نفزة وهو الرأي الراجح. ينظر ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج2، ص6؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص133 .

[5] ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص121.

[6] المقري، نفح الطيب، ج7، ص98.

[7] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج2، ص32.

[8] ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص351.

[9] ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص140.

[10] الضبي، بغية الملتمس، ج1، ص88.

[11] الحميدي، جذوة المقتبس، ص6.

بالشمال الأفريقي[1] فضلاً عن سكان الأندلس[2]؛ حيث إن ما أصاب الأندلس من أخطار خارجية واعتداءات تهدد عقيدتهم وحريتهم، أثارت المسلمين في مناطق عدة؛ وتنفيذاً لفريضة التضامن الإسلامي، فقد كانت قوافل المجاهدين تتدفق من الشمال الإفريقي عبر القرون لعون المسلمين في دفع أخطار النصارى ومن والاهم من أمم الغرب[3].

والفئات التي استجابت لنداء الجهاد هي من أوساط اجتماعية وثقافية مختلفة فمنهم المحدثون[4] ، والشعراء[5]، والأدباء[6] ، والفقهاء[7]، والقضاة[8] ، والوزراء[9] ، والأمراء[10] والحكام[11]، واختلف المؤرخون في وصف هذه الجماعات المتطوعة للجهاد فقد وصفها الحميري "بأنجاد الفرسان"[12] ، وسماهم صاحب كتاب التبيان "أهل المكارم والبأس"[13]، ومما يثير الانتباه انتقال حكام دولة الأدارسة[14] إلى الأندلس "برسم الجهاد للروم" برغم الاختلاف السياسي بين دولتهم والدولة الإسلامية في الأندلس؛ حيث استأذن أبو العيش[15] الخليفة الناصر في الجهاد، فأذن له وأمر أن يبنى له في كل منزل ينزله قصر من الجزيرة الخضراء إلى الثغر، واستشهد أبو العيش في الأندلس عام(343هـ = 955م)[16].

وتشير بعض المعلومات أن الكثير من المجاهدين كانوا يسألون الله الشهادة مقبلين غير مدبرين[17] ، أما أولئك الذين إذا رزق أصحابهم بالشهادة ولم ينالوها هم،

---

[1] ابن بلقين، التبيان ص16 ؛ ابن بشكوال، الصلة ج1، ص88 ؛ ابن خلدون العبر ج7، ص85.

[2] ابن فرحون، الديباج المذهب ج1، ص460.

[3] حومد، محنة العرب في الأندلس، ص224،425.

[4] ابن أبي زرع، روض القرطاس ج1، ص35 ؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص219.

[5] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة ج1، ص19،22.

[6] ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، 114.

[7] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص481.

[8] النباهي، المرقبة العليا، ص60.

[9] م. ن، ص54.

[10] ابن القطان، نظم الجمان ص215.

[11] ابن خاقان، قلائد العِقيان ص51 ؛ ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص70.

[12] م. ن، ص114.

[13] ابن بلقين، التبيان، ص16.

[14] دولة الأدارسة أسسها إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في المغرب الأقصى عام(172هـ= 788م)، وقد استمرت في عقب إدريس حتى سنة (374هـ = 984م) ومما يفيد ذكره أن الأدارسة بالرغم من كونهم من آل البيت فإنهم كانوا على المذهب السني، وللأسف الذي قضى على هذه الدولة العادلة هم الشيعة الفاطميون. ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج 1، ص16؛ ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص90؛ إسماعيل، الأدارسة، ص165.

[15] هو الأمير أحمد بن القاسم بن كنون بن محمد بن القاسم بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان عالماً فقيهاً ديناً حليما شجاعاً عالماً بالتاريخ وأيام الناس، ورث حكم دولة الأدارسة في الشمال الأفريقي. ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2 ص128.

[16] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص131.

[17] ابن بشكوال، لصلة، ج1، 118.

فكانوا يظنوا في أنفسهم شراً ويبدأون مراراً في معالجة الأخطاء التي يعتقدون أنها حالت بينهم وبين الشهادة، ويتقدمون في ساحات القتال وفي أصعب المواقف خاصة المبارزة لينالوا شرف الشهادة[1]، أضف إلى ذلك أن مِنْ المجاهدين مَنْ جمعهم السفر في طلب العلم وفي تأدية فريضة الحج وفي رحلة الجهاد وكانت خاتمتهم الشهادة معاً في المعركة [2] .

وظهرت محبة بعض المسلمين للجهاد من خلال كثرة تكرارهم وترددهم على ساحات القتال حيث كانوا يجاهدون عاماً بعد عام، [3] وربما وافتهم المنية على الصورة التي يحبونها وهم في طريقهم للجهاد والغزو[4] ، ومن أجل زيادة الأجر كان بعض هؤلاء المجاهدين يذهبون إلى الثغور وإلى ساحات القتال مشياً على الأقدام[5]، وكان للمجاهدين فعاليات عديدة فضلاً عن القتال، فقد كانوا يشتغلون في تسوية الأرض، وقطع الشجر، وإصلاح المواضع التي فيها ضرر على المسلمين، ورفع الحجارة عن الطريق، ورصد تحركات الأعداء، أما في المعارك البحرية فكانوا يرفعون الصواري، وإمساك الحبال، والتجديف. [6]

وفي أثناء مسير الجيش وقبل القتال فإن للمجاهدين التزمات وتبعات كانوا يلتزمون بها، ومنها طاعة أمير الجيش والسمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا، فإن الطاعة للأمير من فرائض الغزو سواءً كان هذا الأمير براً أو فاسقاً[7] ، سواء كان أميراً لكتيبة أو سرية أو جيش، والجيش يقسم إلى سرايا عدة، والسرية إلى كتائب عدة، والكتيبة إلى مجموعات عدة[8] ، وغالباً ما يكون هذا القائد له معرفة بالحرب وفنونها؛ لذا فإن أوامره واجبة التنفيذ وعلى الجند طاعته، لكن إذا ما حدث ورفضت مجموعة من الجند تنفيذ أوامر القائد فهنا تعرض نفسها للعقاب كما هو الحال في سرية دنت من أرض العدو، فعرض لهم نهر فأمر القائد الميداني بعبور النهر فرفض بعضهم الأمر وأطاعه آخرون فأكمل سيره بمن أطاعه فغنم غنائم كثيرة فوزعت على من أطاع قائده وحرم من رفض الأوامر، "لأنهم قد رضوا بترك حقوقهم فيما غنموه؛ إذ لا عذر لهم في ترك عبور النهر"[9]

ويذكر الطرطوشي بعض الأساليب القتالية التي استعملها المجاهدون ويبين أنها متنوعة ومتعددة، فمنها الاصطفاف واللقاء المباشر مع الأعداء، والمبارزة قبل الالتحام[10]، ومنها استخدام

---

[1] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص182.

[2] م. ن، ص207.

[3] م. ن، ص83.

[4] م. ن، ص115.

[5] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة س5، ص222.

[6] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج2، ص571.

[7] ابن حزم، المحلى ج5، ص352 ؛ ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص355،350.

[8] ابن رشد، ج2، ص576.

[9] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج3، ص8.

[10] سراج الملوك ج2، ص698.

الكمائن، حيث ترابط قوات قليلة من المجاهدين في الأماكن التي يتوقع أن يمر منهـــا الأعـــداء[1]، وكان الترتيب المتبع غالباً في مهاجمة الحصون وقلاع العدو أن يتوجه القائد في عدد قليـــل مـــن المجاهدين، فحينما يرى العدو قلة أعدادهم يستهينون بهم، ويخرجون لملاقاته، فتنقض عليهم الكمائن من جميع الجهات[2]

[1] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج2، ص147.

[2] م. ن، ج2، ص95،96.

الفصل الثاني

الدور الجهادي لعلماء الأندلس من أجل الوحدة

المبحث الأول: دور العلماء في توحيد الأندلس تحت خليفة أموي.

المبحث الثاني : دور العلماء في توحيد المغرب والأندلس في عهد الطوائف الأول.

المبحث الثالث : دور العلماء في إسقاط حكام الطوائف.

المبحث الرابع: دور العلماء في توحيد المغرب والأندلس في عهد الطوائف الثاني.

لقد حث الإسلام على الاتحاد والألفة، واجتماع القلوب، والتئام الصفوف، والبعد عن الاختلاف والفرقة، وكل ما يمزق الجماعة أو يفرق الكلمة، من العداوة الظاهرة، أو البغضاء الباطنة، ويؤدي إلى فساد كيان الدولة وتمزقها[1]، قال تعالى:(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [2]، وفي الآية الكريمة دعوة قوية إلى توحيد الكلمة واجتماع الصف لأنه يؤدى إلى النصر والتمكين، بخلاف الفرقة التي لا يتأتى معها الائتلاف على الجهاد وحماية الدين[3]، ويعلق القرطبي على الآية السابقة قائلاً: "إن الله تعالى يأمر بالألفة وينهي عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاة "[4] ويضيف أن "اتفاق الكلمة وانتظام الشتات يتم به مصالح الدنيا والدين "[5]، ويرى ابن العربي[6] أن التماسك ووحدة الكلمة تؤدي إلى طمأنينة القلوب، فإذا ائتلفت القلوب على الأمر، استتب الوجود[7]، وقد حذر الله (عز وجل) من الاختلاف بقوله تعالى: (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[8] وقال تعالى: (وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)[9] ".

أما السنة النبوية الشريفة فقد قررت وأكدت ما جاء به القرآن الكريم من الدعوة إلى الاتحاد والائتلاف، وحذرت من التمزق والاختلاف، والأحاديث في هذا السياق كثيرة منها قول رسول الله ﷺ : "أوصيكم بأصحابي... عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة، فليلزم الجماعة"[10]

---

[1] القرضاوي، الصحوة الإسلامية، ص27.

[2] سورة آل عمران، آية 103.

[3] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص484.

[4] القرطبي، أحكام القرآن، ج4، ص102.

[5] م. ن، ج4، ص105.

[6] هو الفقيه الحافظ محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري، المعروف بابن العربي، ولد بإشبيلية سنة (468هـ= 1067م) رحل إلى المشرق، برع في الحديث والفقه والأدب وتفسير القرآن الكريم، من تصانيفه كتاب أحكام القرآن، والعواصم من القواصم، والناسخ والمنسوخ، أحكام القرآن الكريم، (ت:542هـ = 1146م). ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص297؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص249؛ ابن كثير، البداية والنهاية ج12، ص228، ابن عماد، شذرات الذهب، ج4، ص141 .

[7] أحكام القرآن، ج2، ص859.

[8] سورة آل عمران، آية 105.

[9] سورة الأنفال، آية 46.

[10] الترمذي، سنن الترمذي، ج4، ص465 حديث رقم 2165؛ النسائي، المجتبى من السنن، ج2، ص106، رقم الحديث 847.

المبحث الأول

دور العلماء في توحيد الأندلس تحت خليفة أموي

كانت الأندلس في عهد بني أمية أكبر قوة في شبه جزيرة إيبريا، واعترف لهم نصارى الشمال بالسيادة على الأندلس ودفعوا لهم الجزية، بل كان أغلب حكام بني أمية يتدخلون في الشئون الداخلية للممالك النصرانية، لكن في عهد حكام الطوائف(422هـ -484هـ=1031هـ- 1090م) تبدلت الأوضاع تماماً ، حيث انفرط عقد الوحدة في الأندلس، فضلاً عن المشاحنات والصراعات بين حكام هذه الدويلات الممزقة، وعملت كل دويلة على تحقيق مصالح وهمية، وإن ألحقت الضرر بمصالح الإمارات الإسلامية الأخرى[1].

وأمام هذا الوضع اليائس كان الأمل معلقاً على العلماء لكونهم أئمة الناس وملاذهم وقت الشدائد والمحن، ولكن من خلال الإشارات التاريخية يظهر أن هناك عدداً من العلماء لم يأخذوا دورهم في الإصلاح، فالمؤرخ ابن حيان[2] يتهمهم بالتواطؤ مع حكام الطوائف والسكوت عن سوء أعمالهم ويخلص إلى القول بأنه " لم تَزَلْ آفةُ الناس منذ خُلقوا في صِنْفين منهم، وهم كالملح فيهم: الأمراء والفقهاء، قلَّما تتنافر أشكالهم، بصلاحهم يَصْلحون، وبفسادهم يُرْدَوْن، فقد خصَّ اللهُ تعالَى هذا القرنَ الذي نحن فيه اعوجاج صنفيْهم هذين لدينا بما لا كفايةَ له ولا مَخْلص منه، فالأمراء القاسطون[3] قد نكَّبوا بهم عن نهج الطريق، ذياداً[4] عن الجماعة، وحوشاً[5] إلى الفرقة، والفقهاء أئمَّتهُم صموتٌ عنهم، صدوفٌ عما أكَّد اللهُ عليهم في التبيين لهم، قد أصبحوا بين آكلٍ من حلوائهم، خائضٍ في أهوائهم، وبين مستشعرٍ مخافَتهم، آخذٍ بالتَّقية في صدقهم، وأولئك هم الأقلُّون فيهم"[6]، ويتحدث ابن حيان عن وجهٍ آخر من وجوه فساد بعض الفقهاء في زمنه، إذ عند دخول هشام المؤيد قُرْطُبَة زاد في أرزاقهم، ففرض لكل واحد منهم 15 ديناراً وهي من أموال أحد القضاة الذين سلبهم الخليفة أمواله[7].

---

[1] السحيباني، الضعف المعنوي، ص45.

[2] هو حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي، يكنى أبا مروان، ولد عام (377هـ=987 م) في قُرْطُبَة، ويلقب شيخ المؤرخين الأندلسيين، من حيث كونه من أكثر العلماء نبوغاً وتفوقاً وتخصصاً، اهتم به والده صغيراً، فشجعه على العلم على يد خيرة علماء عصره، فنشأ متعدد الثقافة راوياً، مفسراً، فقيهاً، أديباً، مؤرخاً، ألف في التاريخ كتاب" المقتبس " في عشرة أجزاء ويشتمل على تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى خلفة الحكم المستنصر، ولم يعثر إلى الآن إلا على أربعة أجزاء، وألف كتاب " المتين " في ستين مجلداً، وكتاب البشطة الكبرى وأخبار الدولة العامرية، و(ت:269هـ = 1076م). ينظر: الشكعة، المغرب والأندلس، ص349- 355؛ الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ الأندلس، ص55-57.

[3] هم الباغون الظالمون ومضادها المقسطون. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص290.

[4] طرداً عن الجماعة . ينظر: م.ن، ج3، ص167.

[5] حوش الفؤاد أي قاسي القلب.م.ن، ج6، ص290.

[6] ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج3، ص180 ؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص454.

[7] ابن بسام، الذخيرة ق3، ج1، ص518.

وهناك بعض الفقهاء ممن قال فيهم ابن حزم[1] "ولا يغرنك الفساق والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرون لهم على فسقهم"[2]، ويعبر ابن حزم عن سخطه على مجموعة من فقهاء عصره بقوله: " إن هؤلاء القوم ليسوا من أهل الفقه، ولا من أهل الكلام ولا يحسنون غير القول الفاسد"[3] كما إن هناك من العلماء من ركز فكره على الجزئيات والفروع مع ضيق الصدر وسرعة التكفير على حساب الكليات والمقاصد والغايات ووسائل توحيد الأمة، وكأن الأصل هو التفرق لا الأخوة والوحدة [4].

وبرغم تخلي جمهرة من العلماء والدعاة عن رسالتهم، وخيانتهم للإسلام عقيدة وحضارة وانغماسهم في متابعة الظالمين[5]، فإن عدداً من العلماء قد انبروا وشمروا ساعد الجد من أجل تأدية الرسالة المنوطة بهم في نصيحة الحكام وتقديم الإرشادات والمواعظ الدينية الداعية للتوحيد ونبذ الفرقة والنزاع لمجابهة الخطر النصراني.

ولقد ظهر بعض العلماء في عصر الفتنة، كانوا أمويي النزعة، أي لديهم الإيمان بأن الوحدة الأندلسية التي انفرط عقدها لن تلتئم إلا على يد بني أمية برصيدهم الديني والتاريخي والشعبي في الأندلس[6]، ومن أبرز من يمثل مبادئ العمل لوحدة الجماعة الأندلسية والتعاطف مع بني أمية كرمز لهذه الوحدة ابن حزم وابن حيان وابن جهور. [7]

أما ابن حزم فقد كان ميالاً لبنى أمية في عهد العامريين وكان يميل إلى إعادة السيادة الأموية في بداية ظهور الفتنة، كما إنه كان رافضاً لخلافة هشام لضعف شخصيته؛ لذا أمر المؤيد باعتقال ابن حزم ووالده وتغريمهما مبلغاً كبيراً،[8]ولما تغلب البربر على قُرْطُبَة فإنهم هاجموا بيت ابن حزم ونهبوه؛ لأنه يميل إلى الحكم الأموي القوي فخرج ابن حزم من قُرْطُبَة[9] وهاجر إلى

---

[1] هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن خلف بن سعيد، اختلفت المصادر في أصله فمنها من جعل أصله عربياً، أوفارسياً، أو أندلسي، ولد في قُرْطُبَة عام (384هـ = 994م)، وكان والده يعمل وزيراً للمنصور بن أبي عامر، وقد عهده والده إلى أعظم علماء قُرْطُبَة لتدريسه، وكان ابن حزم محباً للعلوم كلها، شغوفاً بالمطالعة في شتى العلوم الدينية والعلمية والأدبية، وكانت الحياة العلمية بلغت أوجها في االعصر الذي عاش فيه فكان ابن حزم ابن عصره، ووليد بيئته فكان سياسياً، وكان اجتماعياً منتبهاً لمجتمعه، وكان فقيهاً متحمساً، أصبح عالماً في شتى علوم عصره، وألف فيها ما يقارب أربعمائة مجلد، وكان يطوف في البلدان الأندلسية لنشر علمه، وحجم تواليفه ثمانية آلاف ورقة، وهذا الحجم من التأليف لم يؤلف مثله سوى أبو جرير الطبري، (ت:465هـ = 1064م). ينظر: أبو وافية، "ابن حزم من أعلام الفكر الإسلامي بالأندلس"، مجلة الدراسات الإسلامية، (ع 1-2، الربيع والصيف،1991)، ص326-344.

[2] ابن حزم، رسائل، ج3، ص173.

[3] م.ن، ج3، ص174.

[4] عويس، أربعون سبباً في سقوط الأندلس، ص14.

[5] ر، ن، ص11.

[6] جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي ج4، ص227 (هامش).

[7] الخولي، الفكر التربوي، ص50.

[8] ابن حزم، طوق الحمامة، ص111.

[9] م. ن، ، ص112.

المَرِيَّـــة وحاكمها خيران العامري[1]، فنقل الوشاة إلى خيران أن ابن حزم يدعو إلى حكم بني أمية، فاعتقله أشهراً ثم غربه عن المَرِيَّـــة[2]، ويبدو أن ابن حزم ظهر منه ما ينبئ بنزعته الأموية سواء في حلقاته التعليمية أو خطبه في المساجد، وأياً كان الأمر فقد هاجر ابن حزم إلى بَلَنْسِيَة عندما سمع بظهور عبد الرحمن بن محمد الأموي (المرتضى)، [3]وبالفعل التقى به وسار معه في محاصـــرته لغَرْنَاطَة[4]، وفيها البربر، غير أن آماله عادت فتحطمت لإخفاق المرتضى أمام البربر[5]، وعنـــدما بويع للمستظهر[6] عاد ابن حزم إلى التشبث بالوحدة الإسلامية تحت قيادة الأمويين؛ لهـــذا ضـــمه المستظهر إلى حاشيته وأصبح وزيراً عرفاناً بجهوده الوحدويـــة المتكـــررة[7]، غيـــر أن الخليفـــة المستكفي[8] قام بسجن ابن حزم، وهنا أدرك اليأس نفس ابـــن حـــزم، فتـــرك الـــساحة الـــسياسية ومرارتها، وتفرغ للعلم والتأليف[9].

ولم يكن تعاطف ابن حزم للأمويين تعصبا لهم ورضا بأخطائهم، وإنما كان اتجاهاً سياســـياً يعنـــي "الاعتداد بالجماعة"[10]، والعودة إلى ذلك المجد الأموي الذي ازدهر فـــي الأنـــدلس قرابـــة ثلاثـــة قـــــرون، ووجدت فيه الأندلس أرقى مراحل قوتها وعظمتها.[11]

---

[1] خيران العامري من موالي العامريين حكم المَرِيَّـــة في حقبة حكام الطوائف، كان داهية شجاعاً حسن التدبير، وبايع المرتضي وأرســـل خيران إلى بقية الولايات يطلب منهم البيعة له، وبالفعل بايعته أغلب ولايات شرق الأندلس، والتقى مع البربر في معركة حامية قتـــل فيهـــا. المرتضي عام (408هـــ = 1017م). وهرب خيران وبقي يحكم المَرِيَّـــة حتى وافته المنيـــــــة عـــام (419هـــ = 1028م) . ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج8، ص98–100 ؛ ابن خلدون، العبر ج4، ص208.

[2] ابن حزم، طوق الحمامة ص117.

[3] هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، كان أصلح من بقي من بني أمية، وفي عهده بايعه خيـــران العـــامري بالخلافة وبايعه سكان شَاطِبَة وبَلَنْسِيَة وطُرْطُوشَة عام (408هـــ = 1017م) في وقت كانت الأندلس تعاني من ظلم قـــوات البربـــر فجهـــز جيشاً لمحاربة البربر لكنه قتل في معركة حدثت بالقرب من غَرْنَاطَة وتفرق جيشه. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التـــاريخ، ج8، ص99 ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام ص131 ؛ ابن خلدون، العبر، ج 8، ص100.

[4] غرناطة: يقال غرناطة ويقال إغرناطة، وكلاهما أعجمي، تمتاز بكثرة الفقهاء والعلماء وكانت إحدى كور إِلْبِـــيرَة، ولكن بعـــد االحـــرب الأهلية هاجر سكانها إلى غرناطة، فصارت من أعظم مدن الأندلس، تقع شرق قُرْطُبَة وهي تساوي في الطول مدينة قُرْطُبَة والمَرِيَّـــة وفـــي العرض كعرض إشبيلية وشاطبة، بينها وبين قُرْطُبَة تسعون ميلاً. ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص3–6 .

[5] ابن حزم، طوق الحمامة ص118.

[6] هو عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله، بويع له سنة (414هـــ= 1423م) وكان عمره 22 عامـــاً، وكـــان شـــديد الذكاء، غاية في الأدب والبلاغة، يكنى أبا مطرف، ولم تطل مدته بل قتل بعد أيام ، توثب عليه ابن عمه المستكفي بالله بن عبـــد الـــرحمن وسفلة العوام. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص138

[7] المقري، نفح الطيب، ج1، ص231.

[8] هو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر، ثار على ابن عمه المستظهر، وكان أحمقاً قليل العقل، خليعـــاً طائـــشاً، بويع له وعمره 48سنة وحكم سنة وشهراً، وقتل وزيره أحمد الحايك فثار عليه أتباعه فخلعوه وسجن ثلاثة أيام دون طعام ثم طردوه فسكن أحد الثغور، ثم مات مسموماً سنة(412هـــ =1021م). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص297.

[9] ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج1، ص55.

[10] عويس، ابن حزم، 187.

[11] م. ن، ص190.

لقد عاش ابن حزم في عصري الطوائف الحافل بالاضطرابات والأحداث المثيرة، وشهد – عن كثب– الكثير من تقلبات هذا العصر وتصرفات أمراء الطوائف وبغيهم، وقد هزه ما آل إليه أمر الأندلس هزاً عنيفاً، فانبرى لنبذ الفرقة والتمزق والخيانة[1].

وقد جاهد وظل يجاهد من أجل وحدة الأندلس الإسلامية، لكن هذه المرة من خلال التأليف والقلم بعد فشل جهاده ونضالاته المتكررة للقضاء على الفرقة والطائفية وجمع شمل الأندلس تحت قيادة أموية كفؤة، وتجسد جهاده بالقلم من خلال معارضته المطلقة لدول الطوائف، والطعن في شرعية النظام الطائفي واصفاً كل أمير منهم محارباً لله تعالى وساعياً في الأرض الفساد[2]، كما وبيّن للناس فقدان حكام الطوائف للشرعية، وأن وجودهم غير طبيعي، بل هو من الحوادث الغريبة في التاريخ "فضيحة لم يقع في العالم إلى يومنا مثلها... أربعة في مسافة ثلاثة أيام كلهم تسمى بإمرة أمير المؤمنين ويخطب لهم بها في زمن واحد"[3]

ولم يقف ابن حزم عند هذا الحد، بل ولعن هؤلاء الأمراء "لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفاً من سيوفه"[4] ولم يكتف بذلك بل أنه دعا مسلمي الأندلس إلى "ذم جميعهم"[5].

وهكذا نرى أن ابن حزم تحدث بشجاعة وجرأة عن حكام الطوائف وهو يعيش بين ظهرانيهم، ومما لا شك فيه أن هذا الرأي الذي أبداه ابن حزم إزاء حكام الطوائف كان له أثر قوي في موقف الناس منهم لا سيما أنه يمثل وجهة نظر عالم من خيرة علماء الأندلس ومفكريها .

وممن سار على نهج ابن حزم، في سياسة المعارضة لنظام دول الطوائف والدعوة لوحدة المسلمين تحت حكم الأمويين باستخدام قلمه، العالم ابن حيان الذي شهد في مطلع شبابه هيبة الدولة الإسلامية الأندلسية، ثم كُتب له أن يشهد الفتنة (399–422هـ=1009م–1032م) والصراعات العنيفة بين عناصر المجتمع في الأندلس والتي أدت إلى سقوط الخلافة الأموية وقيام دول الطوائف (422– 484 هـ =1031–1091م)، وكأي أندلسي غيور على وحدة واستقرار بلاده فإنه آلمه كثيراً ما آلت إليه حال الأندلس من تمزق وفرقة، بعد أن نعمت بالوحدة والمنعة أيام بني أمية التي يسميها ابن حيان "بأيام الجماعة"[6]، لهذا تميزت كتاباته بنفوره الشديد من حكام الطوائف لما جنوه على الأندلس من فرقة وتمزق مما أطمع الروم بها[7] وحَمَل بشدة على كل من عمل على تجزئة الأندلس وتفتيت وحدتها، فهو يهاجم البربر الذين وفدوا إلى الأندلس للجهاد "فأصادهم الله إلى ما هم

---

[1] عنان، دول الإسلام، ج2، 432.

[2] ابن حزم، رسائل، ج3، ص173.

[3] ابن حزم ، نقط العروس، ص،83.

[4] ابن حزم، رسائل، ج3، ص176.

[5] م.ن، ج3، ص173.

[6] ابن بسام، الذخيرة، ق4، مج1، ص143.

[7] مكي، مقدمة المقتبس، ج2، ص86.

الآن بصدده من إبطال الخلافة، وتفريق الجماعة، والتمهيد للفتنة، والإشراف بالجزيرة على الهلكة"[1]،

ومن الجدير ذكره أن انتقاد ابن حيان لحكام الطوائف كان في عهدهم، وميوله لبنى أمية لم تكن لمنفعة شخصية؛ فلقد كان الحكم الأموي قد زال وتبرأ الكثيرون منه، وهذا الموقف من ابن حيان دليل على نزاهته وإخلاصه لوحدة المسلمين وجرأته في ذم الفرقة والخلاف، وكذلك فإن قارئ تاريخ ابن حيان، سواء منه المقتبس والمتين، يحس دائماً بإيمان ابن حيان بقضية الوحدة الأندلسية... عن طريق بني أمية[2]

لقد كان ابن حيان شديد اللهجة ولا يتحرج عن ذكر مثالب[3] وعيوب حكام الطوائف ولا يومئ إليها، بل يذكرها صراحة في جرأة شديدة[4].

وهكذا نلاحظ أن كلاً من ابن حزم (456هـ= 1064م) وابن حيان (469هـ=1080م) اتخذا الكتابة مجالاً للدعوة إلى الوحدة الإسلامية التي تحققت زمن حكم الأمويين ونبذ الفرقة والتمزق.

وبالإضافة إلى هؤلاء العلماء فقد كان هناك مجموعة ممن خاضوا غمار الحلبة السياسية ليأخذوا لهم دوراً فعالاً في رص الصفوف ونبذ الفرقة زمن حكام الطوائف من أمثال أبي الحزم بن جهور[5] ؛ حيث كان ابن جهور يعمل على إعادة هيبة الخلافة الأموية من خلال تنصيب رجل يجمع صفات الحزم والعزم وحسن الإدارة فأسهم بشكل مباشر في تعيين الخليفة هشام المعتد[6] ليكون رجل المرحلة ويخرج الأندلس من المأزق السياسي الذي تعيشه، لكن هذه المحاولة فشلت وقتل هشام المعتد [7]وفي ذات يوم قام ابن جهور يبكي ذلك العهد الذي عاشته الأندلس في كنف الأمويين ووقف على ديارهم فقال:

قلتُ يوماً لدارِ قومٍ تفانوا: أين سكّانك الكرام علينا؟

---

[1] مكي، مقدمة المقتبس، ج2، ص193.

[2] م.ن،ج2، ص115 .

ينظر: روزنتال، علم التاريخ، ص125.

[3] العيوب ومفردها مثلبة . ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص241 .

[4] مكي، مقدمة المقتبس، ج2، ص124.

[5] هو جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن أحمد وجدهم يوسف بن بخت، دخل مع الفاتحين الأوائل، وكان ابن جهور هو شيخ الجماعة في قُرْطُبَة واتفق أهل الحل والعقد على توليته فلم يكن أحد فيها أكثر منه علماً وتواضعاً وعفةً، وكان راوياً للحديث، واستمر في حكم قُرْطُبَة حتى وفاته (435هـ = 1044م) .ابن خاقان، مَطمحُ الأنْفُس، ص183؛ ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص115؛ ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص131؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج1، ص56؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص147؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص129؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج11، ص163.

[6] وهو هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، يلقب أبا بكر، ويكنى المعتد بالله، آخر خلفاء بني أمية بالأندلس، بويع بعد وفاة المستكفي، واستمرت خلافته أربع سنوات، حيث قامت عليه فرقة من الجند فخُلع سنة(422هـ=1031م)، (ت:428هـ =1037م) . ابن خاقان، مَطمحُ الأنْفُس، ص182؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص138؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص152.

[7] ابن خاقان، مَطمحُ الأنْفُس، ص182.

فأجابـــت: هنـــا أقـــاموا قلـــيلاً ثـــم ســـاروا ولـــست أعلـــم أيْنَـــا[1]

فبعد سقوط الخلافة اجتمع أهل قُرْطُبَة واتفقوا على إسناد زمام أمورهم إليه" وعدوا من خصاله مـــا لم يختلف فيه أحد منهم، وأبى من ذلك، فألحوا عليه"[2] وبعد إلحاح أهل قُرْطُبَة عليه وافق بشرط ألا ينفرد بالحكم وحده في تدبير الأمور والبت فيها ويساعده جماعة من ذوي العلم والرأي[3]، وبهذا فقد انتهج أبو الحزم بن جهور منذ بداية حكمه منهج الشورى الإسلامي، ولم يكن يعمل شيئاً من تلقـــاء نفسه بل كان يعرض جميع القضايا ذات الصلة بشئون الحكم على صـــفوة العلمـــاء والفقهـــاء[4]، وتناولت إصلاحات ابن جهور شتى الجوانب الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فضلاً عن العسكرية حيث فرض الأمن في قُرْطُبَة[5]، كما جعل خزينة الدولة في أمانة مجموعة مختارة من العلماء يثق سكان قُرْطُبَة في صلاحهم[6]، وقد آتت سياسته الإصلاحية الشورية أكلها فقد سادت قُرْطُبَة السكينة والأمن طيلة حياته حتى توفي (434هـــ= 1036م)[7] ، أما سياسته الخارجية مع حكام الطوائف فقد عقد علاقات حسن الجوار، ومد جسور الصلات مع الإمارات الأخرى في زمانه[8]، وسعى ســـعياً حثيثاً بالإصلاح بين هؤلاء الحكام الذين تميزت العلاقة بينهم بالصراع والنزاع المستمر، وكثيراً ما كان يحذرهم من الاختلاف والفرقة" ولم يزل ابن جهور يضرب لهم الأمثال ويخوفهم مـــن ســـوء العاقبة والمآل حتى صار فيهم كمؤمن آل فرعون وعظاً وتذكرة، يجد منهم الأطواد[9] الراسية"[10]، وكان يجمع العلماء والفقهاء ويرسلهم سفراء في مهمات إصلاحية بين حكام الطوائف، يـــذكرونهم بالآثار السلبية الناجمة عن الصراعات الداخلية، وحينما تتأزم العلاقات فإنه كـــان يتـــدخل بنفـــسه للإصلاح بين حكام الطوائف، كما هو الحال حينما أصلح بين ابن الأفطس[11] حاكم بَـــطَلْيُـــوس

---

[1] ابن خاقان، مـــَطمـــحُ الأنْفُس ، ص186.

[2] ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص601.

[3] ابن بسام، الذخيرة، ، ق1، مج2، ص603 ؛ ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص186.

[4] ابن خاقان، مطمع الأنفس، ج1، ص180 ؛ ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص602.

[5] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص223.

[6] ابن خاقان، مـــَطمـــحُ الأنْفُس، ص183 ؛ ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص602.

[7] ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ، ص603.

[8] المقري، نفح الطيب، ج1، ص441.

[9] الهضاب أو الجبال العالية والمفرد الطَّـــوْد. الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص168، ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص272.

[10] ابن بسام، الذخيرة، ق2 ج1، ص233.

[11] هو عمر بن محمد بن الأفطس تولى حكم بَـــطَلْيُوس بعد وفاة والده سنة (460هـــ= 1068م)، واستدعاه سكان طليطلة ليحكمها بعـــد أن انقلبوا على القادر بن ذي النون بسبب كثرة ظلمه وتحالفه مع النصارى، لكن المتوكل جبن وظل يحكـــم بَطَلْيُـــوس حتـــى ســـيطر عليهـــا المرابطون وقتل في العام نفسه بعد أن ثبت لهم خيانته واتصاله سراً بالعدو (488هـــ= 1094م) . ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص122 ؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج1، ص364.

والمعتضد[1]حاكم إشْبِـيْـلِـيَة [2] "بعد امتداد شأوهما في الفتنة "[3] ، وهكذا حاول ابن جهور التأثير في مسار الأمور في الأندلس من خلال إصلاح ما أمكن إصلاحه ورص الصفوف وتوحيد الكلمة ومنع الاقتتال بين هذه الإمارات المسلمة.

ولم تكن حالة ابن جهور هي الحالة الوحيدة الإصلاحية الداعية إلى التكاتف والتعاضد، فقد كان هناك مجموعة من العلماء رفعوا الراية نفسها؛ حيث طافوا ببلاد الأندلس للتوجيه والتعليم والنصح والإرشاد، ومنهم سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي[4] الذي وصل للأندلس عام (440هـ =1084م) بعد رحلة طلب للعلم[5] فوجدها ممزقة، وقد فشت الحروب والنزاعات بين حكام الطوائف،[6]، فساءه أوضاعها السياسية والاجتماعية، فرأى أنه من الواجب عليه حث حكام الطوائف على جمع كلمتهم لمواجهة الخطر الصليبي، يدفعه إلى ذلك تقواه وتدينه الذي يأبى مثل هذه الفرقة، ثم زاد نشاطه بعد حادثة احتلال بَرْبَـشْتَر،[7]وبعد سقوط طليطلة (476هـ= 1085م) .

ولقد قام الباجي بدعوته التوحيدية الوعظية من تلقاء نفسه[8]حيث استمر في طوفانه بين المدن والأقاليم المختلفة مثل سَرَقُسْطَة، وبَلَنْسِيَة، وبَطْلَيُوس، وكان خلال تجواله يقيم حلقات تعليم في

---

[1] عباد بن محمد بن عباد، أمير إشْبِـيْـلِـيَة من أقوى حكام الطوائف وأشدهم بطشاً، وكان شديد الجرأة، عظيم الجلادة مستهيناً بالدماء، قتل أحد ولديه، وسع مملكته على حساب جيرانه، بينما كان يذعن للنصارى في الشمال ويدفع لهم الجزية، حكم إشْبِـيْـلِـيَة (433هـ-461هـ = 1041هـ-1070م) . ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص168؛ ابن الأبار، الحلة السيراء ج2، ص39 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص23؛ ابن عماد، شذرات الذهب، ج3، ص252.

[2] إشْبِـيْـلِـيَة مدينة قديمة البناء، وتعني "المدينة المنبسطة " تقع على بعد ثمانين ميلاً غربي قُرْطُبَة على نهر الوادي الكبير، لهذا فإنها تتمتع بموقع تجاري ممتاز، ولها كور ومدن وحصون كثيرة. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ص107؛ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص232 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص646؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص138.

[3] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص213 ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص156.

[4]عبد الخالق، " الإمام الباجي شاعراً ولغوياً ومفكراً "، مجلة الثقافة،(ع33، جمادى الأولى1415هـ = أكتوبر 1994) ص80.

[5] أصله من بَـطْـلَيُـوس، وولد سنة (403هـ =1012م)، وانتقل هو وآباؤه إلى باجة، رحل لطلب العلم إلى المشرق، وقد ضرب الباجي أروع الأمثلة في العفة والصبر في طلب العلم، فقد كان يعمل أي عمل ليكسب قوت يومه مع غنى نفسه، فقد عمل حارساً ليلياً في طرقات بغداد وكان يسهر ليله يقرأ تحت الفوانيس، وتطوع لخدمة شيخه يتصرف له لقضاء حوائجه رغبة في ملازمته أطول مدة، فبرع في علم الحديث، وبرز على أقرانه، وتقدم في علم الكلام والنظم ، ورجع إلى الأندلس بعد ثلاث عشرة سنة بعلوم كثيرة، وروى عن ابن عبد البر، وصنف الكثير من االكتب مثل المنتقى، الإستيفاء، الإشارة، الإيماء، (ت:474هـ= 1082م) . ينظر: الأبشيهي، المستظرف، ج2، ص161؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج22، ص227 ؛ االسلفي، معجم السفر، ج1، ص239؛ الحموي، معجم الأدباء، ج3، ص393؛ الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، ج1، ص136؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص449؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ج3، ص548؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص230.

[6] ابن بسام، الذخيرة، ق2، ج1، ص95؛ النباهي، المرقبة العليا، ص95 ؛ ابن بشكوال، الصلة ج1، ص200 ؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج1، ص481؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص408؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص46؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص230،

[7] الحجي، تاريخ الأندلس، ص340.

[8] ابن بشكوال، الصلة ج1، ص200 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص408 ؛ النباهي، المرقبة العليا، ص95 ؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص46.

مدن مختلفة، كما كان يقابل حكام الطوائف، وغيرهم من قادة الأندلس ويدعوهم إلى لمّ الشمل واجتماع الكلمة لمدافعة وجهاد العدو المشترك[1] "فقام مقام مؤمنِ آلِ فرعونَ لو صادف أسماعاً واعية، بل نفخ في عظامٍ نخرة... بيد أنه كلما وفد على ملك منهم، في ظاهر أمره، لقيه بالترحيب وأجزل حظه بالتأنيس والتقريب وهو في الباطن يستجهل نزعته ويستثقل طلعته، وما كان أفطن الفقيه –رحمه الله– بأمورهم وأعلمه بتدبيرهم، لكنه كان يرجو حالاً تثوب[2] ومذنباً يتوب"[3]، وبسبب كراهية الشعب الأندلسي لحكام الطوائف، فإنهم كرهوا الفقهاء الذين كانوا يتقربون من الحكام؛ لذا فقد نال أبو الوليد الباجي قسطاً من التهجم والإساءة[4]، لكن الباجي كان يقصد من صداقته لحكام عصره أن يزيل أسباب الفرقة والكراهية التي كانت تخيم عليهم، ولم يكن له أي هدف شخصي، إنما كان هدفه الأول هو توحيد هؤلاء الحكام حتى يتمكنوا – وبمساعدة إخوانهم المرابطين– من الوقوف في وجه النصارى، وفهم كثير من أبناء عصره الأندلسيين مقصده بشكل مغلوط، ولا يستبعد أن يكون لبعض حكام الطوائف دور في تشويه صورة الباجي؛ لأن دعوته إلى وحدتهم من شأنها أن تكشف عن حقيقة المتخاذلين منهم والرافضين للجهاد[5]،" فقد كانوا يقدمون له الهدايا ويضخمون خبرها بين الرعية حتى تكثر حوله الشبهات فينثني عن مقصده[6].

وعلى الرغم من أن مشروعه التوحدي باء بالفشل وذهبت جهوده سدى، لغلبة الأطماع والأهواء الشخصية على حكام الطوائف، وقد توفي أثناء تأديته هذا الواجب سفيراً بينهم يؤلفهم على نصرة الإسلام[7]، الا أنه تمكن من إقناع عددٍ منهم بضرورة الاستنجاد بدولة المرابطين في المغرب والأندلس[8].

ومن العلماء الذين انتهجوا نهج الدعوة للوحدة الفقيه الكبير أبو عمر[9] يوسف بن عبد البر (ت:463هـ= 1069م)[10] ولقد تميزت علاقته بحكام الطوائف بعلاقة العالم الذي يعتز بنفسه ويؤثر عدم الإكثار من مخالطتهم؛ حيث صنف كتابه جامع بيان العلم، وأورد

---

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص98.

[2] من ثاب الرجل، أي رجع، وثاب الناس أي اجتمعوا وجاءوا. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص38.

[3] ابن بسام، ق2، مج1، ص95.

[4] عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص805.

[5] أبو صالح، " عبرة في حياة الباجي "، مجلة الإسراء، (ع18، مج6، جمادى الأولى 1419هـ = 1998م)، ص89.

[6] عياض، ترتيب المدارك، ج8، ص126.

[7] م. ن، ج8، ص127.

[8] م. ن، ج8، ص127.

[9] الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد عبد البر بن عاصم النمري، ولد بقُرْطُبَة عام(386هـ = 978م)، ودرس على علماء عصره، ثم تنقل طالباً للعلم، وأصبح إمام الأندلس في علم الشريعة ورواية الحديث وله علم واسع بالأنساب باضافة إلى أنه شاعروأديب بليغ، له مؤلفات عدة منها كتاب التمهيد الذي ذكر ابن حزم عنه " هو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً فكيف أحسن منه" ونظراً لمكانتة وعلمه كان حكام عصره يتنافسون على كسب وده، ودعوته إلى القدوم إليهم، أما هو فكان يطوف بين المدن ناشراً للعلم وطالباً له، (ت:463هـ = 1071م) . ينظر: ابن حزم، فضائل الأندلس، ج1، ص13؛ ابن حزم جمهرة أنساب العرب، ص285 ؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص407؛ المراكشي، المعجب، ص49؛ ابن الأبار، أعتاب الكتاب، ص220؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص169؛ العفان، صلاح الأمة، ج1، ص461.

[10] ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص642.

باباً أسماه ذم العالم على مداخلة السلطان[1] ولكنه يعقب بقوله "وهذا الباب كله في السلطان الجائر الفاسق، وأما العدل فمنهم الفاضل فمداخلته ورؤيته وعونه على الصلاح من أفضل أعمال البر"[2]، وهكذا يبدو أنه اضطر لنصيحة الحكام وتوجيههم والتنقل بينهم يدعوهم إلى رص الصفوف وتكوين جبهة موحدة حيال النصارى المتربصين بهم، وكان ابن عبد البر يرى أن إصلاح أحوال الأندلس يقتضي مخاطبة هؤلاء الأمراء لإعادة الوحدة إلى الأندلس التي مزقتها الصراعات وأغرت الأعداء بهم، فعندما انتقده بعض العلماء لمداخلة السلاطين[3] رد عليهم " وإذا حضرَ العالمُ عند السلطان غِبَاً[4] فيما فيه الحاجة وقال خيراً، ونطق بعلم كان حسناً، وكان في ذلك رضوان الله إلى يوم يلقاه،"[5] ولقد اقتفى أبو محمد بن عبد البر[6] سيرة والده في جمع شتات الكيان الأندلسي الممزق والتكاتف أمام الزحف الصليبي؛ فقد أرسل رسالة إلى أحد علماء عصره يقول فيها:"ورد كتابُكَ يحضُّ على ما أمرَ اللهُ تعالى به من الأُلفَةِ، واتّفاقِ الكلمة، وإطفاءِ نارِ الفتنة، وجَمْعِ شَملِ الأُمَّة، في هذه الجزيرة المنقطعة عن الجماعة"[7]، ثم يمتدح مسعى مخاطبه وجهوده بهذا الشأن" فللّه رأيُك الأصيل، وسعيُكَ الجميل، ومذهبُكَ الكريم، وغيبكَ السليم" ثم يشير له أنه –ابن عبد البر– يسير في الطريق نفسه الداعي للوحدة "كنتُ –علم الله– جانحاً[8] إلى ما جنحت إليه، ويلوحُ لي ما يلوح إليك"[9].

ويقول في رسالة ثانية لأحد حكام الطوائف: "ولو كان شَمْلُنا منتظماً، وشِعْبِنا ملتئماً، وكنّا كالجوارح[10] في الجسدِ اشتباكاً، وكالأنامل في اليد اشتراكاً، لما طاشَ لنا سهمٌ، ولا سَقَطَ لنا نجمٌ، ولا ذلَّ لنا حِزْب، ولا فُلَّ لنا غَرْبٌ، ولا رُوّعَ لنا سِربْ، ولا كُدِّرَ لنا شِرْب، ولكُنّا عليهم ظاهرين، إلى يوم الدين. "[11].

---

[1] ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج3، ص280.

[2] م. ن، ج3، ص224.

[3] ليث، ابن عبد البر، ص195.

[4] بصورة متقطعة، ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص636.

[5] ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج3، ص224.

[6] هو عبد الله بن يوسف بن عبد البر النمري، يكنى أبا عبد محمد من أعلام الفقهاء في عصره وهو نجل الفقيه يوسف بن عبد البر، رحل من قُرْطُبَة إلى إشْبِيْلِيَة وتنقل بين حكام الطوائف، ثم استقر في دانية وكتب على لسان أهل بَرْبَشْتَر حين احتلها النصارى وارتكبوا فيها أبشع المجازر، (ت:485هـ =1063م) . ينظر: ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص43.

[7] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص173.

[8] مائلاً ومقبلاً. الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص48.

[9] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص173.

[10] أعضاء الإنسان كيديه ورجليه وواحدتها جارحة. الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص79؛ ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص423.

[11] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص178.

ولم يكن أبو محمد بن عبد البر وحيداً في ميدان استخدام الرسائل للدعوة إلى لمِّ الشعث وتوحيد الجهات، فقد أثارت الخصومات السياسية أبا عبد الله البزلياني[1]؛ حيث دفعه حرصه على مصلحة المسلمين إلى تنبيه الحكام بالخطر الكامن وراء الصراعات الداخلية، ويُلمح إلى ذلك برسالة سطرها إلى مظفر ومبارك العامريين[2] حكامي شَاطِبَة وبَلَنْسِيَة، يدعوهما فيها إلى التعاون والوحدة وتوحيد الجهود للتصدي للنصارى متمنياً أن تتم الوحدة والمصالحة على يديهما "يتلافى الله الخلل بتسديد نظركما، وينعش الأمل بحميد أثركما، فينظم الشمل، ويصل الحبل، ويسدّ الثلم[3]، ويشدَّ الحزم، ويرفع المنخرق[4]، ويجمع المفترق... ويعيد الكلمة متفقة، والأمة متسقة"[5]، ثم يشير إلى حرب وقعت بينهم وبين المظفر أبي محمد، ويبين خشيته من استمرار النزاع، ويدعو إلى صلاح الأمر، ويحضهم على توحيد الصف ورأب الصدع، ويذكرهم بالله فيقول: "ولم يَخْفَ عليكما ما في صلاح ذات البين، من الفوز بخير الدّارَيْن، وأمن العباد، وخصب البلاد، وإعزاز الدّين، وإذلال القاسطين[6]، وتوهين المشركين، وقوَّة العضد، ووفور العدد، ...وستر العورات، وحفظ الحرمات، والانتهاء إلى حدود الله، فإنه يقول عز من قائل (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [7]وقال سبحانه:(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) [8][9]،ثم يخوفهم الفتنة ونتائجها المدمرة المهلكة "وقد علمتم أنه لم يهلك من هلك من الأمم الماضية، والقرون الخالية إلاَّ بتقاطعهم وتحاسدهم وتدابُرهم وتخاذلهم، وأن الهوى آفة العقل، والحمية من أسباب الجاهلية، والعصبية من العنجهية، والحرب... تؤتمُ الأطفال، وتلتهمُ الرجال، سوقٌ لا ينفق حاضروها غير النّفوس والأرواح، مصروعهم داثر[10] ، وصارعهم خاسر، ماضيهم نادم، وباقيهم واجم"[11]، ويلوم البزلياني على الحاكمين قيامهما بالاستعانة بالنصارى أعدائهم على إخوانهم من المسلمين ويحذر

---

[1] هو أبو عبد الله محمد بن أحمد البزليانى، أصله من مالقة، قتل على يد المعتضد قال عنه ابن بسام: " وأبو عبد الله كان في ذلك الأوان، أحد شيوخ الكُتّاب وجهابذة أهل الآداب، ممن أدار الحكام ودبّرها، وطوى الممالكَ ونشرها. ينظر: الذخيرة، ق1، مج2، ص624؛ أدهم، المعتمد بن عباد، ص77.

[2] مبارك ومظفر، حاكما مدينتي بلنسية وشاطبة، كلاهما من موالي المنصور العامري، ويعد ابن حيان توليهما الحكم من غرائب الزمان، وكلاهما امتهن الظلم والاستبداد، وكانا لا يعبآن بما نال الناس من الأذي والفقر، ويعد ابن حيان موت مبارك العامري من نعم الله على أهل البلد. ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، 158، 160.

[3] الثلمة، الخلل في الحائط. الرازي، ج1، ص36؛ ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص79.

[4] الشق المكسور من الحائط، م. ن، ج10، ص73.

[5] ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص637.

[6] القاسطين، الجائرين الظالمين، وهم الجائرون في الحكم، وعكسها المقسطين. الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص223.

[7] سورة الأنفال، آية1.

[8] سورة آل عمران، آية103.

[9] ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص638.

[10] أي كثير العدد، ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص277.

[11] ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2 ، ص639.

مما ستجره مثل هذه السياسات المنحرفة من العواقب العظيمة على المسلمين فقال: "فقد بلغني أنَّ مذهبكم الاستجاشة[1] بالنصارى إلى بلاد المسلمين، يطؤون ديارهم، ويعفّون آثارهم[2]، ويجتاحون أموالهم، ويسفكون دماءهم، ويستعبدون أبناءهم، ويستخدمون نساءهم، وإن نفذ هذا – وأعوذُ بالله– فهي حالٌ مؤذنةٌ بالذَّهاب، وجزيرةٌ تؤذنُ بالخراب"[3]، ثم يخوفهم من نتائج سياستهم القائمة على الاستجاشة بالنصارى؛ حيث إنهم سيطلعون على أحوالهم وسيعرفون مواطن الضعف في الولايات الإسلامية، فيطمعون في أخذها ويتجرؤون عليهم، فيقول: "ولم نأمن من أن يظهر لهم من الخلل في بلادنا، والقلّة في أعدادنا، ما يجرئهم علينا، ويجرهم إلينا، بما لا نقدر على مكاثرتهم فيه، ولا نقوى على مصابرتهم به، فتلك الوقعة التي لا ينتعش عثورها، والقارعة التي لا ينجبر كسيرها"[4]، ومضى البزلياني في مشروعه الهادف إلى إنهاء الصراعات، ودعوته إلى التصالح والتعاضد؛ إذ كتب رسالة إلى يحيى بن منذر التجيبي[5] أمير سَرَقُسْطَة يدعوه فيها إلى توحيد صفوف المسلمين والإقلاع عن الفتنة، ويعظم له جسامة المصاب في اقتتال المسلمين بعضهم مع بعض، فكيف وقد استعانوا بأعدائهم، فذلك كمن يقتل نفسه : "ولو لم تكن الفتنة يا سيدي إلا بين المسلمين... لكانت القارعة العظمى والداهية الكبرى... اعتضدنا بالكافرين، ومنحناهم قوتنا، وقتلنا أنفسنا بأيدنا"[6]، ثم يحث البزلياني حاكم سَرَقُسْطَة على أن يسعى في جمع كلمة حكام الأندلس فيقول "وأنت يا سيدي للمسلمين الحصن الحصين، والنصيح المأمون، فاجرِ في جمع كلمتهم"[7] ، وبدلاً من أن يستجيب أولئك الحكام لدعواته، استدرجه المعتضد بن عباد (465هـ = 1069م) وقتله بيده بعد أن اتهمه بالتحريض ضده[8] .

ولم يقتصر العلماء على دعوة حكام الطوائف وحدهم إلى الوحدة، بل خاطبوا كل خواصِّ وعوامِ مسلمي الأندلس وحضوهم على ذلك، فقد وجه أبو عامر محمد بن سعيد (ابن التاكراني) [9] رسالة إلى أبي جعفر بن عباس[10] يستصرخ فيها المسلمين ويدعوهم إلى الوحدة، وحقن دمائهم،

---

[1] هو طلب الجيوش والعون العسكري. ينظر: أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط ص150.

[2] طمس ومحوآثارهم. ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص72.

[3] ابن بسام، الذخيرة، ق1، ج2، ص639.

[4] م.ن، ق1، مج2، ص640.

[5] هو يحيى بن منذر بن يحيى بن عبد الرحمن التجيبي، حكم سَرَقُسْطَة خلف والده على حكم سَرَقُسْطَة عام(441هـ = 1023م) وتلقب بالمظفر وفي زمانه تعرض لهجمات النصارى فاستولوا على العديد من القلاع والمناطق المهمة في إمارته. ينظر:عنان، دول الإسلام، ج1، ص27.

[6] ابن بسام، الذخيرة ق1، ج2، ص628.

[7] م. ن، ق1، ج2 ، ص628.

[8] ابن بسام ، الذخيرة ق1، ج2، ص624؛ ابن سعيد، المُغرب في حلى المَغْرِب ج1، ص444.

[9] محمد بن سعيد أحد فقهاء قُرْطُبَة، يكنى أبا عبد الله، راوياً للحديث ومقرئاً، أخذ عنه الكثير من العلماء علم القراءات. ينظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص216.

[10] هو الفقيه الوزير الكاتب أحمد بن عباس (أبو جعفر) فاق عهده في العلم والكتابة. ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، ج2، ص643.

وتوفير قوتهم لمواجهة أعدائهم، فذلك هو السبيل الوحيد للمحافظة على بقائهم، في تلك الديار، فإن جنحوا للألفة، ونبذ الفتنة والفرقة، فقد أنقذوا وجودهم، وإلا فقد جنوا على أنفسهم وعلى الإسلام والمسلمين، ولا خيار آخر أمامهم"فيا للمسلمين، تعالوا إلى التعاون، واتفقوا ولا تفرقوا، واتقوا عاقبة الخذلان، وقد ناديت إن أسمعت، ونصحتُ بقدر ما استطعت، فإن وافقت قبولاً، ولقيت تأويلاً جميلاً، فإن الخير عنيد والتناول غير بعيد... فإما ألفة وانتظام، واتفاق يُحيي رمق [1] الإسلام، وإما داعية تلفٍ، وراعدةُ صلفٍ[2]، وهنالك تزلُ القدم، ولا ينفع الندم"[3]".

إن الفعاليات التي أبداها هؤلاء العلماء – كما هو واضح– كانت مجهودات فردية وهذا لا يعني غياب النشاطات الجماعية في الدعوة إلى الإصلاح والوحدة، فقد تحرك مجموعة من العلماء الغيورين على دينهم ووطنهم للإصلاح بين بني هود حكام سَرَقُسْطَة وبني ذي النون حكام طليطلة عام (435هـ= 1042م) وكان كل منهما قد استعان بالنصارى ضد الآخر، واستغل النصارى هذا الخلاف لمصالحهم، فقد حصلوا على الأموال الطائلة وقاموا بتدمير القوة السرقسطية والطليطلية، واستولوا على مناطق وحصون من كلتا الدولتين المتحاربتين[4]، دفع هذا الوضع المأساوي، مجموعة من العلماء إلى التوجه إلى سليمان بن هود[5]، وحثه على وقف هذا المسلسل الرهيب الذي أخذ في حصاد الأخضر واليابس، ووعظوه وبينوا له أن العداوة بين الدولتين هي التي أوصلت الأوضاع إلى ما وصلت إليه، وخاصة زيادة قوة النصارى على حساب قوة المسلمين ووجودهم، وألحوا عليه بضرورة الدخول في صلح مع المأمون حاكم طليطلة فأجابهم سليمان بن هود إلى دعوتهم ورد القوات الأجنبية إلى ديارها.[6]

وهكذا يلاحظ أن التحرك الميداني للعلماء له نتائج كبيرة، في الغالب، كما إن الجهد الجماعي يحمل تأثيراً أشد و أعمق في النفوس.

---

[1] بقية الحياة . ابن منظور، لسان العرب ج10، ص125.

[2] مبغوضة ومكروهة، يقال أصلف الرجل إذا قل خيره وثقل روحه، م. ن، ج9 ، ص197.

[3] ابن بسام، الذخيرة، ق1، ج2، ص239.

[4] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص277؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص178.

[5] سليمان بن محمد بن هود الجذامي، يكنى أبا أيوب، وكان من كبار قادة الثغر الأعلى، وعند قيام الحرب الأهلية استولى على لاَرِدَة ثم دخل سَرَقُسْطَة، ويعد مؤسس دولة بني هود في سَرَقُسْطَة، دخل في صراع شديد مع حاكم طليطلة ابن ذي النون، وتمكن من الحفاظ على سَرَقُسْطَة وتقوية أركانها وقسم سَرَقُسْطَة بين ابنائه، (ت:441هـ = 1049م) . ينظر: ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص221؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص245.

[6] ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص280.

المبحث الثاني

دور العلماء في توحيد المغرب والأندلس في عهد الطوائف الأول

كان لحادث سقوط طليطلة، إحدى قواعد الإسلام العظمى في الأندلس، صدى كبيراً في أوساط الأندلسيين، ولم يخف على العلماء في الأندلس أن الموقف عصيب وأن سقوط طليطلة هو نذير بسقوط الجزيرة بأكملها، ولكن يبدو أن العلماء قد يئسوا من إمكان إصلاح حال حكام الأندلس، والدليل على ذلك هو تطلع العديد من العلماء إلى المرابطين في بلاد المغرب، لإغاثتهم من خطر النصارى،وهذا مؤشر واضح على مدى إحباطهم ويأسهم من إمكان إصلاح حال حكام الطوائف برغم الرسائل العديدة والمحاولات الفردية والجماعية –كما مر سابقاً– فإنهم لم يستطيعوا إقناع الحكام بالتراجع عن صراعاتهم وانحرافاتهم.

وهنا بدأ مجموعة من العلماء يبذلون قصارى جهدهم لإقناع حكام الطوائف بضرورة الاستنجاد بيوسف بن تاشفين لمواجهة سياسة ألفونسو السادس التوسعية، فأكدوا لهم أن الأمير المرابطي أصبح يشكل الاختيار الوحيد لإنقاذ الأندلس، وأن أي فشل في البحث عن مساندته سيؤدى حتماً إلى محو الوجود الإسلامي في هذا البلد المسلم[1]، وفي هذا الإطار تحركت مساعي أبي الوليد الباجي، الذي كان يطوف بين حكام الطوائف حتى يتمكنوا، وبمساعدة إخوانهم المرابطين في المغرب، من الوقوف في وجه أعدائهم، وقد تمكن بالفعل من إقناع عددٍ منهم بضرورة الوحدة مع يوسف بن تاشفين، لكنه توفي قبل إتمام مشروعه الداعي لاستقدام المرابطين لجهاد النصارى[2] وفي ذلك يقول القاضي عياض "وكان جاء إلى المَرِيَّة سفيراً بين رؤساء الأندلس على نصرة الإسلام، ويروم جمع كلمتهم مع ملوك المغرب المرابطين على ذلك، فتوفي قبل تمام غرضه"[3] والدليل على أنه أقنع عدداً من الحكام أن حاكم بَطْلَيُوس المتوكل قد ندبه بعد – سقوط طليطلة– إلى نشر أفكاره (الباجى) بين حكام الطوائف[4] ويفهم من رواية ابن الأبار أن حاكم بَطْلَيُوس، الذي التقى بالباجى كغيره من حكام قد اقتنع بضرورة الاستعانة بالمرابطين، خاصة بعد سقوط طليطلة، وبعد أن أصبحت كافة مدن الأندلس على شفا حفرة من السقوط، وقيام حاكم بَطْلَيُوس بانتداب الباجى وإعطائه موافقة لتسويق فكرة التوحد مع جيش المرابطين للتصدي للخطر الداهم، وتكللت مساعي الباجى بالنجاح، وأصبحت فكرة الاستنجاد بالمرابطين مقبولة لدى حكام الطوائف، بعد أن كانت مرفوضة جملة وتفصيلا"بسبب خوفهم من سيطرتهم على بلادهم وأخذها من أيديهم"[5] لكنها– وبعد

---

[1] القادري، حولية التاريخ الإسلامي، ص18.

[2] عياض، ترتيب المدارك، ج8، ص128.

[3] م. ن، ج8، ص128.

[4] ابن االأبار، الحلة السيراء، ج2، ص98.

[5] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص282.

مساعي الباجى وغيره من العلماء– أصبحت فكرة التضامن والاتحاد مع المرابطين من أهم أولويات أجندة العمل السياسي لحل أزمة التهديدات النصرانية الخارجية، وقام أبو الوليد الباجي بزيارة للأمير يوسف بن تاشفين يحرضه على الجهاد[1] في الأندلس والعمل على إيقاف الزحف النصراني على الولايات الإسلامية، وهكذا اتخذ الفقيه الباجي سبيلين، الأول: محاولة إقناع حكام الطوائف بضرورة الاستعانة بالمرابطين، وسلك السبيل الثاني في الوقت نفسه وهو: إقناع الأمير يوسف بن تاشفين بضرورة تقديم العون العسكري لحكام الأندلس للحفاظ على الوجود الإسلامي فيها.

ومن العلماء الذين قاموا بالدور نفسه، في الترويج لفكرة الاتحاد والتضامن مع المرابطين، محمد بن حسين بن محمد بن عريب الأنصاري[2] الذي تجول بين حكام الأندلس محاولاً إقناعهم باستقدام المرابطين لمواجهة الأطماع الصليبية[3]، ودفع في الاتجاه نفسه العالم أبو بكر القرطبي[4]، وأسفرت هذه الجهود عن إقناع مجموعة من حكام الطوائف لا سيما المعتمد بن عباد بقبول فكرة التضامن الإسلامي مع دولة المرابطين في المغرب"[5]، وفي هذه الأثناء كانت وفود العلماء العديدة تؤم بلاط الأمير يوسف بن تاشفين مستغيثة مستعطفة، فيصغي الأمير إليهم وترق نفسه لهم ويعدهم خيراً[6]، ولكن هذه المحاولات الارتجالية كانت نتائجها محدودة، وهناك جهود جماعية منظمة؛ حيث تم عقد مؤتمر حضره علماء وفقهاء قُرْطُبَة للتشاور فيما يجب عمله لإنقاذ مدينتهم وسائر بلاد الأندلس، وتزعم هذا المؤتمر قاضي المدينة أبو بكر عبيد الله بن أدهم[7] ، وممن شارك في هذا المؤتمر من العلماء الفقيه أبو إسحاق بن مقانا[8] قاضي بَطْلَيُوس، والفقيه ابن القليعي[9] قاضي غَرْنَاطَة[10] وتم مناقشة حال المسلمين وما وصلوا إليه من الذلة والانهيار[11]، وقدمت مجموعة من الحلول من أهمها توصية قاضي قُرْطُبَة بالاستنجاد بالمرابطين، وبالفعل خرج هذا المؤتمر بقرارات عدة أهمها توصية قاضي المدينة بالاستنجاد بالمرابطين؛ لأنهم الأصلح

---

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص98.

[2] هو محمد بن حسين بن محمد بن عريب الأنصاري من أهل طُرْطُوشَة يكنى أبا عبد الله سكن سَرَقُسْطَة وتجول في بلاد الأندلس بين الحكام وكان وجيهاً عندهم عاش حتى(508هـ=1112م) . ينظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص335.

[3] م. ن، ج1، ص11.

[4] هو محمد بن أحمد بن محمد بن حسن بن اسحاق، من مشاهير علماء قرطبة، قد تطوع في إزالة الخلافات بين حكام الطوائف وسعى بينهم بجمع كلمتهم ويدعوهم إلى الوحدة ولم الشمل. م.ن، ج1، ص390.

[5] ابن الأبار، المعجم، ص99.

[6] الحميري، الروض المعطار ص86 .

[7] الحميري، صفة جزيرة الأندلس ص86؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص142.

[8] لم أجد له ترجمة فيما توفر من مصادر .

[9] هو محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك ابن القليعي (أبو بكر) قاضي غَرْنَاطَة اجتمع في المؤتمر بالذي عقد لمناقشة أحوال الأندلس بعد احتلال النصارى لها. ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص99 .

[10] م.ن، ج2، ص99.

[11] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص142.

والأقرب إلى الأندلس، ثم تكليف القاضي عبيد الله بن أدهم بمهمة استدعاء الأمير يوسف بن تاشفين لإنقاذهم[1].

وهنا يلاحظ أن العلماء بدأوا يأخذون زمام المبادرة في الدفاع عن وطنهم الإسلامي، وهذا يعمق الرأي القائل بعدم جدوى الاعتماد على حكام الطوائف في الحفاظ على صيانة واستقرار المدن الإسلامية، وما إن وصلت أنباء هذا المؤتمر وما تمخض عنه من قرارات إلى أسماع المعتمد شجعته على قبول وتبني قرارات المؤتمر[2]، وهذه النتيجة التي وصل إليها المعتمد قد وصل إليها معظم أمراء الطوائف[3] ، وهذا من ثمار النشاطات المضنية التي بذلها العلماء خاصة بعد سقوط طليطلة، وندب المعتمد باقي أمراء الطوائف لتشكيل وفد لإرساله إلى يوسف بن تاشفين، وسرعان ما تشكل وفد من العلماء يضم كلاً من قاضي قُرْطُبَة عبيد الله بن أدهم وقاضي غَرْنَاطَة ابن القليعي وقاضي بَطْلَيُوس ابن مفاذا[4]، واستقبل الأمير يوسف هذه البعثة بالحفاوة والترحيب وسمع منهم كما سمع ممن قبلهم من العلماء، ولكن هذه السفارة امتازت بالتنظيم والشكل الرسمي، وكعادته استشار الأمير يوسف الفقهاء فكان ردهم وجوب نصرة أهل الأندلس "واجب على كل مسلم يؤمن بالله ورسوله إغاثة أخيه المسلم"[5]، وهكذا نجح العلماء في إقناع الأمراء بضرورة الاستنجاد بالمرابطين.

أما الفقهاء المغاربة فقد أقنعوا يوسف بن تاشفين بضرورة نصرة أهل الأندلس[6] ، وكان من ثمار هذه الوحدة والتضامن الإسلامي الانتصار الكبير للمسلمين في معركة الزلاقة (479هـ=1086م) هذا الانتصار الذي أوقف المد النصراني الجارف الذي كاد أن يلتهم الأندلس.

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص142، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص28.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص142.

[3] ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص46.

[4] الحميرى، الروض المعطار ص86 ؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص113.

[5] ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص31.

[6] ابن الأبار، المعجم ص99.

المبحث الثالث

دور العلماء في إسقاط حكام الطوائف

تعد معركة الزلاقة حدثاً بارزاً عند الأندلسيين في عصر الطوائف، فبالإضافة إلى كونها حطمت أسطورة ألفونسو السادس، فإنها "خلقت – لدى الأندلسيين– أملاً في مستقبل ينحسر فيه الخطر النصراني الداهم ويحل فيه العدل والاستقرار، ولقد كان الأندلسيون – وبالخصوص العلماء والفقهاء– يريدون لمعركة الزلاقة أن تكون بداية التغيير إلى غد أحسن، وفي مقابل ذلك كان حكام الطوائف، العاجزين عن تحقيق الأحسن، يريدون أن يكون غدهم مواصلة لأمسها اللاهي المتخاذل وأن تكون معركة الزلاقة حدثاً عقيماً بلا نتائج[1].

ويبدو أن العلماء قد فقدوا كل الآمال في حكام الطوائف، حتى بعد معركة الزلاقة، حين اجتمع يوسف ابن تاشفين برؤساء الطوائف وطلب منهم الاتفاق والاتحاد ضد عدوهم المشترك الذي استغل تشتتهم، فأجابه الجميع بقبول وصيته وتحقيق رغبته[2] ، لكن سرعان ما عاد حكام الطوائف إلى سيرتهم الأولى من الاختلاف فيما بينهم، بل والتعاون والاتصال بالنصارى، وصمُّوا آذانهم عن وصايا الأمير يوسف بن تاشفين، وأمام تفرقهم استأنف النصارى أعمالهم الحربية من جديد[3]، وبدأ ألفونسو يوجه حملاته نحو إمارات بَلَنْسِيَة ومُرْسِيَة ولورقة[4] والمَرِيَّة الواقعة شرق الأندلس، كما واستولى ألفونسو على حصن لييط، وحشد فيه الجنود والسلاح واتخذه قاعدة لشن غارات على الإمارات الإسلامية[5]، وهكذا عاد الخطر النصراني ثانية وعادت معه وفود العلماء والفقهاء تتجه صوب بلاد المغرب مستغيثة بالأمير يوسف بن تاشفين لإنقاذ الأندلس من المحنة التي عادت[6].

إن تحركات العلماء والفقهاء السابقة نحو المرابطين، ودعوتهم لمواجهة الأخطار النصرانية، تدفع الباحث لتساؤل عن سبب توقف مساعي العلماء الداعية للوحدة وخلق جبهة إسلامية للتصدي لمشاريع ألفونسو التوسعية! فأين النداءات التي ما فتئ العلماء يوجهونها للحكام يدعونهم إلى وحدة الصف ويحرضونهم على الجهاد؟ وإجابة هذا التساؤل تعمق التصور أن العلماء لم يكن لديهم أي ثقة وآمال بهؤلاء الحكام، فلطالما طرقوا أبوابهم يحملون معهم مبادئ الوحدة والتكاتف، والالتفات إلى الخطر النصراني المتغول، لكن مساعيهم باءت بالفشل الذريع، وازداد العلماء قناعة بعد معركة الزلاقة بأن لا سبيل لطرد الخطر الخارجي، والحفاظ على سلامة وأمن

---

(1) ابن بيه، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، " رسالة دكتوراه منشورة " ، ص146 ،147.

(2) ابن بلقين، التبيان ص106.

(3) م. ن، ص107.

(4) لورقة، وهي مدينة أندلسية من أعمال مرسية وتقع جنوب شرق الأندلس وهي كثيرة الزرع وتقع على ظهر جبل وكلمة لورقة تعني "الزرع الخصب". الحموي، معجم البلدان، ج5، ص30 ؛ الحميري، الروض المعطار ص171.

(5) بروفنسال، حضارة العرب، ص25.

(6) م. ن، ص48.

الإمارات الأندلسية، سوى طلب المساعدة من الأمير يوسف بن تاشفين، والذي لم يخيب ظنهم، بل وجد أن واجبه الديني يفرض عليه تلبية استغاثة العلماء[1] ونزل الأندلس (عام481هـ =1088م) نزوله الثاني، ودعا حكام الطوائف للجهاد فوفدوا عليه، وبدأ حصار حصن لييط واستمر لمدة أربعة شهور، وأثناء الحصار عاد حكام الطوائف للنزاع والخلاف، وفي كل مرة يتدخل الأمير ابن تاشفين، وبمعاونة الفقهاء، لحل المنازعات[2]، فقد نشب خلاف بين عبد الله بن بلقين وأخيه تميم ، ويذكر الأمير عبد الله في مذكراته "أن الأمير يوسف انزعج من هذه الخصومات وكأن الأمير ليس له من عمل سوى حل مشاكل الأخوة"[3]، وكذلك ظهر خلاف بين المعتمد حاكم إشْبِيْلِيَة وقُرْطُبَة وبين ابن رشيق حاكم مُرْسِيَة [4]، والغريب أن جيش ابن رشيق فر من المعركة ورفض تقديم المؤن للجيش المرابطي الذي يحاصر حصن لييط، بل وكان يقدم معونته للنصارى أثناء الحصار[5]، كما أشار الأمير عبد الله صراحة إلى اتصاله بألفونسو السادس، ودفع الجزية له عقب معركة الزلاقة اتقاءً لشره[6]، واتضح للأمير يوسف أن بعض الأمراء – بعد معركة الزلاقة– اتصلوا بألفونسو طالبين منه طرد الحامية المرابطية التي تركها يوسف لحماية الأندلس[7].

لقد كشفت هذه الحملة الكثير من الخبايا، وفي هذا الوقت لعب العلماء دوراً خطيراً يهدف إلى إزالة واقع حكام الطوائف، فقد توفرت لهم الفرصة من أجل إسقاط حكام الطوائف، واتخذ العلماء والفقهاء ثلاث وسائل، أولها: تحريض الأمير على حكام الطوائف، وثانيها: إصدار فتوى فقهية تجيز إسقاط حكام الطوائف، وثالثها: مساعدة القوات المرابطية في الإطاحة بحكام الطوائف، وتبلورت الوسيلة الأولى في جهود الفقيه ابن القليعي الكبيرة؛ حيث نصب خيمته بالقرب من خيمة الأمير يوسف، وكان كثير التردد عليه وكان الأمير يُكِن لهذا الفقيه كل احترام وتقدير [8]، وكان الفقيه ابن القليعي يحرض الأمير عليهم، وينقل له شكاوى الأندلسيين خاصة في مسألة الضرائب التي أرهقتهم بلا مبرر شرعي، وفي اتصال الحكام بألفونسو، وتأدية الجزية له من الضرائب التي

---

[1] بروفنسال، حضارة العرب، ص48.

[2] ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص104.

[3] م. ن، ص112.

[4] هو عبد الرحمن بن رشيق، حكم مرسية باسم المعتمد بن عباد، ثم لم يلبث أن استقل عنه بحكمها، وتبين بعد معركة الزلاقة خيانته وتعاونه مع ألفونسو، وتمكن المرابطون من السيطرة على مرسية والإطاحة بحكمه عام(484هـ = 1091م). ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص160 .

[5] ابن بلقين، التبيان، ص112.

[6] م. ن، ص127.

[7] ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ص104.

[8] ابن بلقين، التبيان، ص109؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص98 ؛ الحميري، الروض المعطار ص288.

يجمعونها من الأندلسيين[1]، كما إن الفقيه أبو بكر بن مسكن[2] كان كثير التردد على الأمير يوسف وأخذ يحرضه على حكام الطوائف شارحاً للأمير عيوبهم، وسلبياتهم في الحكم[3].

وفي ذات الطريق سار القاضي عيسى بن سهل[4](أبو الأصبغ)[5]، ولم تكن هذه المساعي التي أخذت الطابع السري تمر دون أشواك في طريقهم، فيبدو أن الأمير عبد الله قد شعر بخطورة ابن القليعي عليه، فبعد حصار لبيط أمر باعتقال الفقيه لمدة من الزمن لكنه اضطر إلى إطلاق سراحه[6]، أما القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل فقد تعرض لمحنة أشد من سابقه فقد قام الأمير تميم بن زيرى بإرسال مبلغ كبير من المال يستعطفه ويمنيه، لكن القاضي ثبته الله أمام الإغراء والرشوة، ولم يرضَ بيع دينه ووطنه ومبادئه مقابل مبلغ من المال كبير، حيث عرض عليه " خمسين مثقالاً "[7] ، وكان بإمكانه قبول مبلغ كبير يسيل اللعاب له، يشتري ما شاء من القصور والضياع ويعيش مرفهاً لكنه اشترى ما عند الله من جنان عرضها السموات والأرض خالداً فيها. ومثل هؤلاء العلماء عرفوا أن السعادة تكمن في رضا خالقهم وتعالوا على الدنية، فرفعهم الله في الدنيا والآخرة.

أما الوسيلة الثانية التي اتبعها العلماء لإسقاط حكام الطوائف فهي إصدار فتوى فقهية تجيز إسقاط حكام الطوائف، فالعلماء كانوا يعلمون شدة تدين يوسف بن تاشفين وأنه لا يُقدِم على أي مشروع إلا بمشاورة الفقهاء[8]، وهم يعلمون جيداً أن الأمير لم يكن ليُقدِم على أمر بهذه الخطورة حتى يستفتي أكبر عدد ممكن من العلماء ليطمئن إلى سلامة موقفه بمطابقته لشرع الله، وبالفعل بدأ يوسف بن تاشفين يستفتي العلماء في بلاد الأندلس وبلاد المغرب، وممن استفتاهم الأمير يوسف في هذه المسألة ابن القليعي فقد أفتى، ليس بجواز خلعهم فحسب، بل بوجوب خلعهم[9]، ونظراً لما تكتسبه الفتاوى من خطورة، لكونها تعطي المبرر الشرعي لإسقاط حكام الطوائف، فإن الأمير ابن تاشفين استفتى علماء المغرب وعلى رأسهم الفقيه ابن الملجوم[10]، فأجابه بأن "من كان من الملوك

---

[1] ابن بلقين، التبيان ص118.

[2] لم أجد له ترجمة .

[3] م. ن ، ص118.

[4] م. ن، ص110.

[5] الفقيه عيسى بن سهل، أصله من جيان وسكن قُرْطُبَة، وتفقه بها وأصبح من أكبر علمائها، محدثاً وفقيهاً وراوياً وكان مقدماً في الأحكام، وكان من أهل الورع وصحة الدين وكثرة الجود، ولي قضاء غَرْنَاطَة في حقبة الطوائف والمرابطين، (ت:486هـ = 1094م) ؛ ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص182.

[6] ابن بلقين، التبيان ص119.

[7] م. ن، ص116.

[8] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص38.

[9] ابن بلقين، التبيان ص119.

[10] هو الفقيه عبد الرحيم بن الملجوم، أحد كبار فقهاء فاس، تبحر في علم الكلام وأصول الفقه، تتلمذ على يديه كبار الفقهاء. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص276 .

مصراً على هذه الأوصاف وموجوداً في الوقت إمام أعدل منه فلـــــه قتالـــــه وعزلـــــه عن ولاية المسلمين"[1] ، وهكذا صدرت فتاوى الفقهاء في كلٍ من الأنـــدلس والمغـــرب، وتظهـــر شخصية العالم الكبير أبو بكر بن العربي الذي خطى خطوة من شأنها تكريس وتعميق فتاوى علماء المغرب والأندلس، ذلك أنه قام بإرسال رسالة إلى الإمام الغزالي يشرح فيها حال حكام الطوائـــف بالأندلس ويطلب من الإمام الغزالي فُتيا في ذلك، ومما جاء في رسالته "وقد كانت جزيرة الأنـــدلس قد تملكها... عدة ثوار تسوروا على البلاد فضعف أهلها عن مدافعتهم،... واســـتبان الفـــساق فـــي الأرقاء، والصنائع الطلقاء في محاربة بعضهم بعضاً، واستنجدوا بالنـــصارى، وحينمـــا انكـــشف للنصارى ضعف المسلمين... طلبوا المعاقل، وأخذوا بالحرب كثيراً منها مـــن غيـــر مؤونـــة ولا مشقة... فهل يجب قتالهم؟"[2] فرد الإمام الغزالي في شأن حكام الطوائف "يجب على الأمير وأشياعه قتال هؤلاء المتمردة عن طاعته، ولا سيما وقد استنجدوا بالنصارى المشركين وأوليائهم... ومـــن أعظم القربات قتالهم إلى أن يعودوا إلى طاعة الأمير"[3]

ولقد قدم الإمام أبو بكر الطُّرطُوشِيّ فتواه في هذه القضية[4]، علماً بأن الطُّرطُوشِيّ أندلسي الأصل من مدينة طُرْطُوشَة، لكنه قضى معظم حياته في الإسكندرية، والحدث ربما بعيد عنه لكنـــه أدلى بدلوه في هذه المسألة، حيث أفتى بضرورة إزالة من تحالف مع الأعداء النصارى.

أما الوسيلة الأخيرة فتمثلت في مساعدة العلماء لقوات المـــرابطين فـــي الإطاحـــة بحكـــام الطوائف ورغم أن هذه الخطوة بحاجة إلى جرأة ودقة في العمل فقد أثبت العلماء كفاءة عالية فـــي التعاطي مع الأحداث السياسية والدبلوماسية، وأظهروا أفقاً واسعاً فـــي إدارة الـــصراع، ومقـــدرة منقطعة النظير في تحريك الجماهير، والتأثير على الجناح المسلح في الإمارات الأندلسية.

ولمّا صدرت الفتوى عن كبار علماء العالم الإسلامي بوجوب إزالة نظام الطوائـــف، فـــإن أميراً كيوسف بن تاشفين لم يكن يتباطأ عن تنفيذ هذا القرار، وبالفعل في عام (483هـــ= 1090م) عبر إلى الأندلس عبوره الثالث، وهاجم النصارى في طليطلة وحاصرها طويلاً فلم يتقدم أحد مـــن حكام الطوائف لمساعدته وكأن الأمر لا يعنيهم[5]، ثم قسم الأمير يوسف جيشه إلى فرق عدة أرسل إحداها إلى غَرْنَاطَة للاستيلاء عليها، فبدأ حاكمها ابن بلقين بالاتصال بالنصارى[6]، وهنا قام ابـــن أبي بكر بن مسكن بمساعدة ابن القليعي بدور كبير في تهييج الجماهير؛ حيث كان يـــدعوهم إلـــى الامتناع عن دفع الضرائب لعدم وجود مبرر شرعي لجمعها، وبدأ بمهاجمة أنظمة الطوائف وفقرها

---

[1] ابن بيه، الأثر السياسي للعلماء ص155 نقلا عن مجهول، بيوتات فاس الكبرى ص15.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص187.

[3] م.ن، ج6، ص187.

[4] الشيال، أبو بكر الطُّرطُوشِيّ، ص121.

[5] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2 ص66.

[6] ابن بلقين، التبيان، ص123-127.

إلى أي سند شرعي[1]، ولقد دام حصار المرابطين إمارة غَرْنَاطَة شهرين، وحاول ابن بلقين إنقاذ نفسه، واستغل محبة الأمير يوسف للفقهاء فأرسلهم للتوسط له عند الأمير، ومن هؤلاء الفقهاء القاضي ابن سهل والفقيه باديس بن واردى، لكنهما حثا الأمير على التخلص من ابن بلقين وأبلغاه أن الجيش في غَرْنَاطَة منقسم على نفسه[2] ،وهنا أرسل الأمير الفقيه ابن سعدون إلى الأمير ابن بلقين، الذي خوفه من المعصية وحذره ورغبه في طاعة الأمير حين أبلغه "لا طاعة ولا صلح إلا بالخروج إليه، وكتاب الأمان في النفس والأهل دون المال، وإن لم يكن لديك رغبة في الشخوص إليه فعليك مغادرة غَرْنَاطَة إلى أي مكان تشاء"[3] وأمام إصرار المرابطين واضطراب الجماهير التي كانت تتمنى هذا اليوم[4] فتح الأمير عبد الله أبواب غَرْنَاطَة وخرج مستسلماً في (483هـ=1090م) ثم توجه جيشاً نحو مالقة وفيها تميم بن بلكين شقيق عبد الله فسلم البلد دون قتال[5] .

بعد دخول قوات المرابطين مدينتي غَرْنَاطَة ومالقة أرسل الأمير يوسف بن تاشفين جيشاً بقيادة سير بن أبي بكر[6] للسيطرة على قُرْطُبَة، ولم يكن ابن تاشفين يريد خلع المعتمد بن عباد، لأنه أقسم له قبيل معركة الزلاقة أن لا يغدر به ولا يخلعه فرد فقهاء إشبيلية وقضاتها عليه "هؤلاء الرؤساء لا تحل طاعتهم ولا تجوز إمارتهم، لأنهم فسَّاق فجرة، فاخلعهم عنا ... وإن كانوا عاهدوك فها هم قد نقضوك، وأرسلوا إلى ألفونسو أن يكونوا معه عليك، حتى يوقعوك بين يديه، ويعود أمرك إليه، فبادرهم بخلعهم بجمعهم، ونحن بين يدي الله المحاسبون، فإذا أذنبنا فنحن لا أنت المعاقبون، فإنك إن تركتهم وأنت قادر عليهم، أعادوا بقية بلاد المسلمين إلى الروم وكنت أنت المحاسب بين يدي الله تعالى"[7]، وأكثر من تحمس لضرورة خلع المعتمد بن عباد هو الفقيه أبو القاسم الهوازني وكان هذا الفقيه كثير الالتقاء والاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين يعرض إليه آخر ما وصل إليه ابن عباد من تحالفات مع النصارى، واعتداءات على الإمارات المجاورة، ولقد تركت هذه المعلومات أثراً سيئاً في نفس الأمير يوسف على ابن عباد [8]، ولما صمم الأمير يوسف بن

---

[1] ابن بلقين، التبيان ص128.

[2] م. ن، ص146.

[3] م.ن، ص149.

[4] م. ن، ص149.

[5] م. ن، ص162.

[6] هو الأمير سير بن أبي بكر أحد كبار قواد يوسف بن تاشفين وقريبه بالمصاهرة وابن عمه في الوقت نفسه، كان حاكماً على منطقة مكناس في بلاد المغرب، ثم انضم لقوات المرابطين المتوجهة للجهاد في الأندلس، وظهر منه بطولة وشجاعة فائقة في معركة الزلاقة، وعندما قرر يوسف بن تاشفين اسقاط حكام الطوائف، أسند لقائده سير مهمة خلع حكام منطقة غرب الأندلس وعينه حاكماً عليها، وقام سير بتنفيذ المهمة بشجاعة وحزم، وتمكن هذا القائد من حماية الثغور الغربية للأندلس، وحقق انتصارات ساحقة على النصارى، لكنه توفي فجأة عام(487هـ = 1094م) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص186 .

[7] ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ص106.

[8] ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج1، ص240.

تاشفين على إكمال مشروع توحيد الأندلس بضم إشْبِـيْـلِـيَة، استنجد المعتمد بن عباد بألفونسو الذي أرسل قواته بقيادة البرهانس[1] ونشبت معركة دامية، أوقع فيها المرابطون بالقوات النصرانية هزيمة فادحة[2]، وفي (485هـ=1092م) اشتبك المرابطون مع النصارى عند بلدة جيان[3]، وكان النصر حليف المرابطين بعد معركة كبيرة شبهها البعض بمعركة الزلاقة[4].

وبعد هزيمة هذا الجيش النصراني شعر المعتمد أنه أصبح في الساحة وحيداً، وسرعان ما حاصرت قوات المرابطين مدينة قُرْطُبَة وأثناء حصارها اضطربت الأحوال داخل المدينة، إذ قامت جماعة من سكان قُرْطُبَة بفتح أبوابها وفق خطة محكمة[5] فدخلها المرابطون في (صفر 484هـ = آذار 1091م)، والأمر نفسه يتكرر في إشْبِـيْـلِـيَة، حيث ثار مجموعة من السكان أثناء حصار المرابطين لها، وحاولوا فتح الأبواب لكن محاولتهم باءت بالفشل واعتقل الثوار[6]، وفي نهاية المطاف سقطت إشْبِـيْـلِـيَة بيد المرابطين في (رجب 484 = أيلول 1091م).

ومن الجدير ذكره وقبل حصارها أرسل أحمد المستعين بن هود[7] رسالة إلى أهل قُرْطُبَة يحرضهم على مواجهة المرابطين وعدم السماح لهم بدخول قُرْطُبَة فأستنكر عليه العالم محمد بن عبد الملك [8]من أهل قُرْطُبَة ورد عليه برسالة شديدة يقرعه فيها على تقلبه في ولائه بين المرابطين والنصارى ويتهمه بالجبن والخيانة والتآمر مع النصارى، ويحثه على طاعة الأمير يوسف بن تاشفين[9] بقوله "خاطبتنا المرة بعد المرة... تذكر أنك قد حللت من تلك البلاد {النصارى} يدك وأصفيت في طاعة أمير المسلمين... فما الذي نقلك من هذا الرأي السديد؟... لكن العجب، كل العجب، أن يكون سعيك للكفار... وكيف يسوغ لك أن تحذِّر من الله وأنت لا تحذره"[10]، ثم يعطي

---

[1] هو القائد الأسباني المعروف Alvar hanez ابن أخي السيد القمبيطور، وكان من كبار قواد الملك ألفونسو السادس. ابن القطان، نظم الجمان، ص6 (هامش) .

[2] ابن أبي زرع، روض القرطاس ج2، ص75؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص120.

[3] مدينة في سفح جبل عال، يحدها من الغرب قُرْطُبَة، ومن الشرق تُدْمير، ومن الشمال طليطلة، ومن الجنوب إلْبِـيرَة، بينها وبين غرناطة97كم، أرسلان، الحلل السندسية، ج1، ص127.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص202 ؛ النويرى، نهاية الأرب، ج22، ص183.

[5] ابن بلقين، التبيان ص107.

[6] المراكشي، المعجب ص140.

[7] هو أحمد بن سليمان بن هود، حاكم سرقسطة، لقب نفسه بالمقتدر، حكم بعد وفاة أبيه عام(438هـ = 1047م) وقد دخل في صراع مع أخيه يوسف على بعض الأقاليم التي كان يحكمها والده، وقد استعان أحمد بن سليمان بالنصارى، ورفض تقديم العون لسكان بَرْبَشْتَر أثناء حصارها نكاية بأخيه يوسف حاكم المدينة، ، لكنه بعد احتلالها وارتكاب مذابح كبيرة تمكن من استردادها عام(457هـ= 1065م) كما تمكن من السيطرة على ممتلكات أخيه، وأعاد توحيد سرقسطة تحت حكمه من جديد، (ت:474هـ = 1081م) . ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج3، ص189؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص236؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص441.

[8] محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز الاشبيلي اللخمي، كان من أصحاب الطبقة العالية من العلم والفقه والكتابة والنباهة وسكن قُرْطُبَة والتف حوله طلاب العلم يأخذون عنه . ينظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص113.

[9] ابن بسام، الذخيرة، ق2، ج2، ص546.

[10] م.ن، ق2، مج2، ص546.

مبرراً لمجيء المرابطين فقد جاؤوا "لنصرة المسلمين في بلادهم، ضد النصارى وحلفائهم، من ملوك الأندلس"[1].

وهكذا لعب العلماء دوراً إعلامياً مهماً في فضح ألاعيب السياسة التي كان ينتهجها حكام الطوائف، هذه الأساليب الخداعة التي تستخف بعقول الناس حينما تظهر المجاهدين وكأنهم ثلة من المارقين وأعداء الوطن بينما يظهرون هم أنفسهم أنهم الحريصون على المصالح الوطنية.

لقد كانت ممارسات الحكام تحرض الأندلسيين من المجاهدين، ولم يكن لهؤلاء إلا هدف واحد هو مصلحتهم الشخصية، ليزدادوا ضياعاً فوق ضياعهم، وأموالاً فوق كنوزهم، لكن ما أسرع أن يتصدى لهم العلماء يعرونهم من الوطنية والدين، ويفضحون سياستهم الخسيسة، وبالفعل قد أثمرت جهود المخلصين.

أما عن سقوط بَطْلْيُوس فقد ساهم الفقيه ابن الأحسن السجلماسي[2] بدور فاعل في سقوطها، فقد كان له مكانة عالية وتقدير عظيم في الأوساط الشعبية والعلمية في بَطْلْيُوس لعلمه وتدينه[3] فبعد سقوط الإمارات السابقة بيد المرابطين بدأ حاكمها المتوكل ابن الأفطس في الاستعانة بألفونسو، وجاهر في محالفته وتنازل له عن ثلاث مدن مهمة، فبدأ الفقيه ابن الأحسن يسعى في الخفاء لمحاولة انقلاب ضده[4]، وبدأ يهيج مشاعر الأندلسيين عليه ويبين تجاوزات المتوكل وسياسته الخاطئة والمخاطر التي ستقع على كاهل المسلمين في حال تسليم ألفونسو ثلاث مدن، ولقد تمكن ببراعة من تكوين جبهة داخلية معارضة لسياسة المتوكل، وما إن وصل المرابطون وبدأوا حصارهم لبَطْلْيُوس حتى سارع أتباع ابن الأحسن في فتح أبوابها في (صفر 487هـ = آذار 1094م) [5].

أما بَلَنْسِيَة فقد كانت تحت حكم القادر بن ذي النون حاكم طليطلة سابقاً والذي سلمها لألفونسو مقابل تعهدهم له بحكم بَلَنْسِيَة[6]؛ وهكذا أصبح القادر بن ذو النون حاكماً لبَلَنْسِيَة تحت وصاية وحماية ألفونسو (478هـ=1085م) وساءت أحوال البلاد الاقتصادية بسبب الضرائب التي كان يجمعها القادر ويدفعها للنصارى[7]، كما كان القادر بن ذي النون حاكماً مستبداً ظالماً[8] ، وهنا

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق2، ج2، ص547.

[2] أبو الحسن السجلماسي، ألف كتاب مسند الموطأ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص85.

[3] ابن بلقين، التبيان ص170.

[4] م. ن، ص170.

[5] م. ن، ص174.

[6] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص92؛ ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص304 ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص304 ؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص162.

[7] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص92؛ ابن خطيب، أعمال الأعلام ص182.

[8] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3 ص304.

تظهر شخصية القاضي الفقيه ابن جحاف[1] الذي قاد حركة المقاومة ضد القادر وحليفه السيد القمبيطور[2] النصراني[3]، وعزم القاضي على التخلص من القادر وتطلع ببصره نحو المرابطين فتوجه على رأس وفد من علماء بَلَنْسِيَة للقاء القائد المرابطي محمد بن عائشة[4]، وطلبوا منه المساعدة العسكرية، فلم يتوان القائد المرابطي محمد بن عائشة عن تلبية طلبهم؛ حيث كلف فرقة من جنود المرابطين للسير نحو بَلَنْسِيَة[5]، وتمكنت هذه القوة العسكرية من هزيمة الحامية النصرانية في بَلَنْسِيَة، وفتح أهلها أبواب المدينة للمرابطين، واقتحم القاضي ابن جحاف بيت القادر بن ذي النون وقتلوه عام (485هـ= 1090م)[6]، وبعد هذه الجهود الحثيثة التي بذلها القاضي بن جحاف قدمه سكان بَلَنْسِيَة ليكون والياً عليها[7]، وعندما علم السيد القمبيطور بتطور الأحداث ومقتل حليفه القادر بن ذي النون توجه بقوة كبيرة نحو بَلَنْسِيَة وحاصرها، وأبدى ابن جحاف شجاعة وصبراً كبيراً، غير أن مدة الحصار قد طالت، حيث دام ما يقارب من عشرين شهراً، وكان حصاراً شديداً لقي سكانها الذل والهوان، ثم ما لبثت أن سقطت المدينة، واعتقل القاضي ابن جحاف وأمر القمبيطور بحرقه[8] ، وهكذا دفع القاضي ابن جاف حياته ضريبة لثورته ضد الحكام الخونة. ويصف ابن بسام حادثة إعدامه بأن النصارى حفروا له حفرة وسط المدينة وأضرمت النار حواليه، "وهو يضم ما بعد من الحطب بيديه، ليكونَ أسرع لذهاب روحه وأقصرَ لمدة عذابه، كتبها الله في صحيفة حسناته"[9]

---

[1] هو جعفر بن عبد الله جحاف المعافري البلنسي، من علماء مدينة بلنسية، وتلقى علومه الدينية على أيدي خيرة علماء الأندلس، وتولى قضاء مدينة بلنسية. ينظر: الحميدى، جذوة المقتبس، ج1، ص294؛ ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص97 .

[2] هو فارس قشتالي يدعى لذريق، ولد في برغش وهي قرية في حاضرة قشتالة في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، ظهرت بواكير نجدته وشجاعته في أواخر حكم فردناند، فلما توفي وخلفه شانجه كان لذريق ساعده الأيمن، فلما مات شانجه انتقل إلى خدمة ألفونسو السادس، وفيما بعد اختلف مع ألفونسو، فالتجأ إلى ولاية سرقسطة يخدم أميرها يوسف المؤتمن، وقد قاد لذريق جيوش المؤتمن من نصر إلى نصر ضد مملكة قطلونية النصرانية المتاخمة لسرقسطة، فعلا نجمه، وتناقل الناس قصص بطولاته، ثم شرع في بسط حمايته على الولايات الإسلامية، ولكن هذه المرة لنفوذه، وكلما علا نجمه كان يقول، على يد لذريق فتحت الأندلس ولذريق يستنقذها. محمود، قيام دولة المرابطين، ص318.

[3] ابن بسام، الذخيرة، ق3، ج1، ص95؛ الضبي، بغية الملتمس ص257.

[4] هو محمد بن يوسف بن تاشفين، ويعرف بابن عائشة، أحد مشاهير القواد المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين وابنه علي، وشارك في معارك كثيرة، عينه أبوه قائداً على شرق الأندلس، وفي عهد أخيه علي قام بعمليات حربية واسعة النطاق، وفقد بصره بعد موقعة البورت التي قتل فيها القائد المرابطي ابن الحاج حاكم سرقسطة سنة(508هـ =1114م) استدعاه أخوه أمير المسلمين علي بن يوسف إلى مراكش، وولى مكانه على مرسية أخاه إبراهيم بن يوسف. ابن القطان، نظم الجمان، ص8 (هامش) .

[5] ابن بسام، الذخيرة، ق3، ج1، ص96؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ص103.

[6] ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص103؛ ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص305.

[7] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3 ص305.

[8] ابن الخطيب، أعمال الأعلام ص204.

[9] الذخيرة، ق3، مج1، ص99.

أثار سقوط بَلَنْسِيَة بيد النصارى وإحراق القاضي ابن جحاف موجه عارمة من السخط في صفوف مسلمي الأندلس، فتوالت صرخاتهم على يوسف بن تاشفين يطالبونه بوضع حد لظلم السيد القمبيطور، وسرعان ما صدرت الأوامر للقائد محمد بن الحاج[1] بالتوجه لتخليص بَلَنْسِيَة من سيطرة القمبيطور[2]، والتقى بجيش يقوده ابن السيد القمبيطور فأوقع بهم ابن عائشة قتلاً وتشريداً، وكان من بين القتلى ابن السيد القمبيطور نفسه، فلما وصلت هذه الأخبار إلى السيد مات غماً وحسرة[3] ، ثم تولت زوجة القمبيطور حكم بَلَنْسِيَة بعد موته واستنجدت بألفونسو الذي وصل بجيشه إلى المدينة وأقام فيها شهراً وبلغه وصول جيش المرابطين بقيادة الأمير مزدلي[4]، والتقى الجيشان في معركة انتهت بهروب النصارى من المدينة[5]، وهكذا دخلت بَلَنْسِيَة تحت نفوذ الدولة المرابطية عام (495هـ=1102م) [6] .

ولم يتبق من الأندلس إلا بعض المدن التي سرعان ما فتحت أبوابها وأعلنت خضوعها للحكم المرابطي باستثناء سَرَقُسْطَة والتي أقام حاكمها المستعين علاقات ودية مع الأمير يوسف فتركه بشرط جهاد النصارى[7] "، وبذلك حل الجد محل العبث واللهو، وحل الجهاد محل التخاذل والخضوع وأصبحت أيامهم (الأندلسيون) رخاء متصل"[8]

وهكذا سقطت دول الطوائف، وسقط معها التناحر والصراعات الداخلية وأصبحت الأندلس موحدة تخضع لسيادة المرابطين الذين بدأوا في مسيرة جهادية طويلة ضد النصارى، وهنا أصبح النصارى في حالة الدفاع وليس الهجوم، نتيجة الضربات القاسية الموجهة إليهم، وهذا كله بفضل توحد العدوتين، وجهود علماء الأندلس في هذه الوحدة.

توفي الأمير يوسف عام (500هـ=1106م) [9]، ولقد رفض عرضاً تقدم به قومه باتخاذه لقب أمير المؤمنين، رغم أن الخليفة العباسي لم يكن يملك القوة والسلطة التي يتمتع بها يوسف بن تاشفين، واكتفى أن يسمى بأمير المسلمين بشرط اعتراف الخليفة العباسي بذلك [10]، وذلك أدباً مع

---

[1] هو أبو عبد الله محمد ميمون بن محمد بن الحاج اللمتوني، ابن عم يوسف بن تاشفين، وأحد كبار قواده، تمكن من انتزاع قُرْطُبَة من ابن عباد، وخاض معارك عديدة ضد النصارى حتى استشهد عام (507هـ = 1116م) . ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص84.

[2] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص77.

[3] ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص108.

[4] القائد أبو محمد مزدلي بن سلكنان ترجوت ابن عم يوسف بن تاشفين وأحد كبار قادته، قاد حملات عديدة ضد النصارى، استشهد عام (508هـ =1117م) في إحدى معاركه، وخلفه في قيادة الجيوش ولده محمد والذي استشهد أيضاً بعد والده بثلاثة أشهر . ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص109 (هامش) .

[5] ابن بسام، الذخيرة، ق3، ج1، ص101؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ص109.

[6] ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص109 .

[7] ابن سماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص54.

[8] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص167.

[9] ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص60؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص77.

[10] نصر الله، دولة المرابطين ص157.

الخليفة العباسي ورفضاً لمبدأ تعدد منصب الخليفة[1]، وخلفه ابنه علي الذي لم يكن قد تجاوز الثالثة والعشرين من عمره إلا أنه أحسن تولي مقاليد[2] الأمور، واستغل ألفونسو موت الأمير يوسف فجهز جيشاً وعهد بقيادته إلى ولده الوحيد شانجه وحدثت المعركة في (501هـ=1108م) فخسر النصارى معظم جيشهم حتى أن شانجه قتل مما أدى إلى موت ألفونسو بعد ثلاثة أشهر من المعركة غماً وحزناً على ولده، وتعرف هذه المعركة باسم معركة أُقْلِيش[3] (502هـ= 1108م)[4]، نسبة لمدينة أُقْلِيش[5]، وهكذا تخلصت الأندلس الإسلامية من أشد أعدائها غير أنها لم تلبث طويلاً حتى ظهر الفونس المحارب[6] الذي لا يقل خطراً عليها[7].

وبعد موت ألفونسو السادس قاد علي بن تاشفين جيشاً تمكن من السيطرة على طَلَبِيَرة[8] عام(503هـ = 1109م)، واسترجع مجريط (مدريد) [9] ثم حاصر طليطلة واستعاد جملة من حصونها[10] ، ووقعت معركة إِفْرَاغَة[11] عام (528هـ= 1135م) نشبت بين المرابطين ومملكة النصارى بقيادة ملكهم ألفونسو المحارب، ووقع القتال تحت أسوار أفراغه وكان قتالاً مروعاً، وأثناء المعركة خرج أهلها فهاجموا المعسكر النصراني من الخلف وكثر القتل فيهم وأصيبوا بهزيمة منكرة لم يصبهم مثلها منذ موقعتي الزلاقة وأُقْلِيش، وبعدها بثمانية أيام توفي ألفونسو المحارب غماً[12].

---

[1] الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ج1، ص310.

[2] المراكشي، المعجب ص171.

[3] حدثت عام(501هـ = 1107م) خرج القائد تميم بن يوسف بن تاشفين من غرناطة بجيش كبير وانضم إليه المتطوعون من مرسية وشاطبة، واشتبكوا مع جيوش قشتالة شرقي طليطلة، وكانت معركة عنيفة جداً ، انتهت الموقعة بانتصار ساحق للمرابطين وهزيمة نكراء مني بها القشتاليون وفيها قتل الأمير شانجة بن ألفونسو السادس، وسميت هذه المعركة بالأقماط السبعة أو الكونتات السبعة، لأنه قتل فيها كونتات سبعة، ومن نتائج هذه المعركة استرداد المسلمين عدداً كبيراً من الحصون مثل قونكة ووبذة. ينظر، سالم، شاطبة الحصن الأمامي، ص152 .

[4] ابن عذاري، البيان المُغْرب ج4 ص52 .

[5] أُقْلِيش: مدينة لها حصن في ثغر الأندلس، بناها الفتح بن موسى بن ذي النون، وهي على نهر منبعث من عينٍ عاليةٍ على رأس المدينة، وهي مربعة الشكل. الحميري، الروض المعطار، ص28.

[6] كان هذا الملك من أشد حكام النصارى بأساً وأكثرهم تجرداً لحرب المسلمين، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص13.

[7] ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس 110.

[8] تقع إلى الشمال الغربي من طليطلة وتعد من أعمالها، وهي مدينة بناها القوط، وتكثر فيها الأسواق، فتحت عام(93هـ = 712م)، احتلها ألفونسو السادس عام(478هـ = 1085م) وتمكن الأمير علي بن يوسف بن تاشفين من تحريرها. حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، ص676- 681.

[9] ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص85؛ ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج4، ص52.

[10] ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص85.

[11] مدينة تقع غرب لاَرِدَة بينهما ثمانية عشر ميلاً، وهي على نهر الزيتون، حسنة البناء، حاصرها ألفونسو المحارب وأقسم الأ يبرح حتى يحتلها، فنهد إليه يحيى بن علي بعزيمة صادقة ونية صحيحة في جموعه، فانتصر على ألفونسو المحارب وقتل أغلب جيشه، وفر ألفونسو من المعركة. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص25.

[12] ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ص،207؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ص165 .

المبحث الرابع

دور العلماء في توحيد المغرب والأندلس في عهد الطوائف الثاني

بعد ازدياد ثورة الموحدين في بلاد المغرب على الدولة المرابطية، اضطر المرابطون إلى استدعاء كبار قادتهم وأعداد كبيرة من الجيش المرابطي إلى المغرب، مما أعطى الفرصة للنصارى في تحقيق انتصارات كثيرة في الأندلس [1]، كما واندلعت الثورات في أنحاء الأندلس ولم تستطع جيوش المرابطين القليلة السيطرة عليها.

يذكر المراكشي " ولما رأى أعيان بلاد تللك الجزيرة ما ذكرناه من ضعف أحوال المرابطين، أخرجوا من كان عندهم من الولاة، واستبد كل منهم بضبط بلده"[2]، فعادت الأندلس إلى عهد الإمارات والطوائف مرة أخرى وفي ذلك يقول ابن الخطيب[3] " وتفرقت الكلمة إلى شأنها، ولفحت جدر الثوار، وأصبحت الأندلس دار بوار "

إذا غابَ الهزبرُ الوردُ يوماً ... أخُو الفتكات والنفس البئيسةْ

ولم يحمِ الفريسة مستطيلاً ... تزاحمت الذيابُ على الفريسةْ [4]

واستغل النصارى ما حل بالمرابطين من الضعف وما حل بالأندلس من التفرق، فأخضعوا أمراءها لنفوذهم، وفرضوا على أهلها الجزية مرة أخرى[5]، كما استولوا على الكثير من الثغور المجاورة لبلادهم[6]،وهكذا عادت الأندلس تعيش الظروف السياسية التي كانت سائدة في عصر الطوائف، وسميت هذه الحقبة باسم عصر الطوائف الأخرى تمييزاً لهم عن حكام الطوائف الأولى[7]، ومرة أخرى يجد العلماء الأندلسيون أنفسهم أمام بلاء الفرقة والصراعات الداخلية في حين أن النصارى يحتلون الثغور والأقاليم، ولقد سار المخلصون من علماء الأندلس المعاصرين لإمارات الطوائف الثانية على سيرتهم ونهجهم في بذل الجهود والمساعي لتوحيد العدوتين لكن هذه المرة تحت قيادة الموحدين، مستخدمين شتى الوسائل، باذلين قصارى جهدهم.

وبالرغم مما أصاب الأندلس في عصر الطوائف الثاني، ظلت أشواق الوحدة تضطرم في نفوس العلماء، وظلت أبصارهم مشدودة نحو العدوة المغربية التي أصبحت قبلة لهم، وممن وفد على الخليفة الموحدي الأول عبد المؤمن وهو بمراكش، الفقيه أبو بكر بن العربي بصحبة ثلة من علماء

---

[1] ابن القطان، نظم الجمان ص233.

[2] المعجب، ص305.

[3] هو لسان بن الخطيب، أتقن ابن الخطيب الكثير من العلوم والفنون والآداب فقد كان شاعراً وفيلسوفاً وطبيباً وكاتباً مؤرخاً وشاعراً وفقيهاً ومفسراً للقرآن، وله مؤلفات كثيرة أهمها كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، أعمال الأعلام، اشتغل ابن الخطيب في السياسة، فكثر خصومه وتآمروا عليه، فاتهموه ظلماً بالزندقة، فقتل خنقاً في سجنه. ينظر، العبادلة، دراسات في الأدب الأندلسي، ص268 .

[4] أعمال الأعلام، ص248.

[5] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج4، ص103.

[6] المراكشي، المعجب ص277؛ كحيلة، القطوف الدواني، ص128.

[7] شرف الدين، تاريخ السيادة على الأندلس، ص235.

الأندلس يقدمون البيعة للخليفة الموحدي، وخطب خطبة بليغة استحسنها الخليفة، ثم تلاه أبو بكر بن الجد بخطبة ثانية، فأحسن وأجاد، [1]ولعل الكلمات التي ألقيت من الفقيهين كانت تدور حول حالة التمزق السياسي في الأندلس والصراعات الداخلية وما تجره من نتائج في غاية السوء على مستقبل الإسلام، في الأندلس كما سلك الطريق نفسه علماء قُرْطُبَة حيث يذكر ابن أبي زرع[2] أن وفداً من أهل قُرْطُبَة ضم الفقهاء والقضاة، التقى مع عبد المؤمن بن علي، وتحدث في البداية العالم أبو القاسم ابن الحاج[3] وشرح للخليفة الأوضاع الصعبة التي يعيشها المسلمون في قُرْطُبَة جراء اعتداءات النصارى المتكررة عليها، وختم حديثه بضرورة تدخل الموحدين لدرء الخطر النصراني، [4] وبعد سماع الخليفة لهم "وصل الجميع، وقضى حوائجهم وأمرهم بالانصراف إلى الأندلس"[5] وأمر بتجهيز حملة قوية للتوجه إلى الأندلس[6] وهكذا أثمرت جهود العلماء، بعدما رأوا ما أصاب الأندلس من إعياء مستمر ونزاعات داخلية بين حكام الطوائف، مما جعل الفرصة سانحة للغارات النصرانية، وبذلك أصبحت الأندلس ولاية موحدية لها ما للولايات من حق الحماية من الاعتداءات الخارجية (541هـ =1146م) وعلى إثر هذه المبايعة أرسل عبد المؤمن بن علي جيشاً يرمي إلى إعادة توحيد الأندلس تحت زعامتهم والقضاء على الزعامات المحلية التي ظهرت في نهاية الحكم المرابطى[7]،وتمكن هذا الجيش من إخضاع الجزيرة الخضراء ثم تمكن من الوصول إلى غربي الأندلس التي خضعت له بسقوط إشْبِيْلِيَة (541هـ =1147م) كما سقطت قُرْطُبَة وجيان[8] في يدهم عام (543هـ =1148م)، ومن هنا استطاع الموحدون بسط سيادتهم على جزيرة الأندلس عدا منطقة شرقي الأندلس التي ظلت زهاء عشرين عامًا بعيدة عن النفوذ الموحدي[9]، فقد ظهر محمد بن سعد بن مردنيش[10] الذي سيطر على مدن

---

[1] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص140.

[2] م.ن، ج2، ص147.

[3] محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي ويكنى أبا عبد الله ويلقب بابن الحاج، أحد أكبر فقهاء عصره، كان من جلة الفقهاء، معدوداً في المحدثين والأدباء، بصيراً بالفتيا، رأساً في الشورى، وكانت الفتيا في وقته تدور عليه، لمعرفته وثقته وديانته، وكان معنياً بالحديث والآثار، جامعاً لها مقيداً لما أشكل من معانيها " قُتل نتيجة تدخله للدفاع عن أهل بلده من مظالم الحكام عام(446هـ = 1045م) المقري، أزهارالرياض، ج3، ص62.

[4] الحميدي، جذوة المقتبس ص108؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص99 ا.

[5] ابن السماك العاملي، الحلل المْوشِية، ص148.

[6] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص149.

[7] السامرائي، تاريخ العرب، ص265.

[8] ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص271.

[9] السامرائي، تاريخ العرب، ص266.

[10] هو محمد بن سعد بن محمد بن سعد الجذامي مردنيش، وترجع أصوله إلى أصول أسبانية ولد في طُرْطُوشَة، وبعد ضعف حكم المرابطين على الأندلس، تولى حكم شرق الأندلس، وكان يجهر بميله إلى النصارى، ويقلدهم في ملابسه ولغته ويستعين بهم على تدبير سياسته، ويعتمد عليهم في جيشه، كما وارتبط معهم في معاهدات حماية مع ملكي أرجون وقشتالة ضد الموحدين مقابل إتاوة ضخمة كان يجمعها من المسلمين، وكان قاسياً جداً في تعامله مع المسلمين. ينظر: سالم، شاطبة الحصن الأمامي، ص176 .

شرقي الأندلس [1]،وأهمها مُرْسِيَـــة وبَلَنْسِيـــَة وشَاطِبَة ودانية[2]، وقام بالتحالف مع النـصارى في حروبه ضد الموحدين[3] وعقد اتفاقيات مذلة ومهينة، ويبدو أن بعض القضاة والأعيان في شرقي الأندلس قد استنكروا الاتفاقيات التي عقدها ابن مردنيش مع النصارى، ففـي عـام (546هـ = 1152م) قامت ثورة في مدينة بلنسية، فعين الثوار أحدهم حاكماً عليهم يدعى أبا مروان عبد الملك بن شلبان[4] الذي أعلن ولاءه للموحدين[5] فأرسل ابن مردنيش جيشاً كبيراً يضم قوات من المرتزقة النصارى للهجوم على بَلَنْسِيَة[6]، فقام الفقيه ابن مغاور[7]بإرسال رسالة لقائد هذا الجيش، وقد بـدأ الرسالة بقوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ "[8] أما بعد فإنَّا قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكَ وصلْتَ شـاطِبة وتَخطَّيْتَها إلى جزيرةِ شُقْرٍ في عِصَابةٍ انْضوَتْ إليك، وزَحَفَتْ مَعَكَ ولديْكَ، تُخَذِّل بِها أوْلياءَ اللهِ عنِ الطاعةِ لسيدِنا ومولانا أمير المؤمنين، وتُرْهِبُهم بمَنْ معكَ مِنَ الكافرِينَ وأنَّكَ تتوعَّدُ منْ خالفَ رأيكَ، وعصى أمْرَكَ ونَهْيَك، بغَارَةٍ تَشُنُّها، وبِدْعةٍ في إذَايَةِ المسلمينَ تَسُنُّهَا، ونحـنُ نقـولُ لـكَ الحـقّ لتَسْمعَ... إن الذِّكْرَى تنفعُ المؤمنين"[9] ثم بعد هذه المقدمة التي حاول الفقيه أن يذكر هذا القائد بأنه مسلم وأعماله هذه خذلان للمسلمين، ثم يشير له أن دعوة التوحيد في الأنـدلس قـد انتـشرت وأن "بَلَنْسِيَة وَمَا وَرَاءَها قدْ قامتْ عَلَى بصيرةٍ بدعوةِ التَّوْحِيد[10] ثم يحـذره مـن أن "تَحْمِلَـكَ الحميـةُ الجاهليةُ على أنْ تَذْعَرَ سِرْباً، وتكدِّرَ لهمْ شرباً، أو تَقْطعَ لَهُمْ طَرِيقاً، أو تُنَاصبَ لهمْ فَرِيقاً، فعنْـدنَا مِنْ ولْدَانِكُمْ وشِيبِكُمْ وشُبّانِكُمْ، ومِنْ قُسُسِ النَّصَارَى ورُهْبَانِهِمْ أوْلِيائِكُمْ وإخْوَانِكُمْ، جُمْلَـةٌ مَوْفُـورَةٌ أعْدَدْنَاهَا غَرَضاً لسهامِكُمْ، ودَرِيئةً لِطِعَانِكُمْ"[11]، ثم يدعوه إلى أن ينصاع إلى الحق والدين وطريق الوحدة الذي سلكه أهل بَلَنْسِيَة "فأْقبل السِّلْمَ الذي قبِلناهُ، وتَبَيَّنْ أنَّ الحقَّ ما بَيَّنَّاهُ، وطأْ ذَيْلَـكَ راجِعـاً

---

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص28.

[2] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص85.

[3] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج4، ص88؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص124.

[4] عبدالملك بن شلبان قام بثورة في بلنسية على الأمير محمد بن سعد بن مردنيش وأدى ذلك إلى حصارها الشديد. ابـن الأبـار، التكملـة لكتاب الصلة ، ج2، ص38.

[5] أبورميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية، ص110.

[6] ابن الأبار، المعجم، ص179؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ص102.

[7] ولد بشَاطِبَة سنة(502هـ =1105م) من شيوخه أبو الوليد الباجى حيث أخذ عنه صحيح البخاري وأبو بكر بن العربي وأجاز لـه أبـو علي الصدفي رواية الحديث، عاش 85 سنة وتوفي في شَاطِبَة عام (587=1190م) وأرسل إليه أحد أصدقائه بعد مرض أصابه:

كيف حال الفقيـه مـن شـكواه ... فـرج الله مـا بـه وشـفاه

شـاقنا فقـده وأقلقنـا إذ ... لـم نجـد بعـده أنـيساً سواه

ابن شريفة، ابن مغاور، ص 189.

[8] سورة المائدة، آية 51.

[9] ابن شريفة، ابن مغاور، ص132.

[10] م. ن، ص132.

[11] ابن شريفة، ابن مغاور ص132.

على عَقِبِكَ"[1] ويبين له أنه في حال إصراره على الفرقة وتنكبه عن طريق الجماعة فإنه سوف يصطدم بجيش المؤمنين الذي سوف يفرق جمعه، فإن الله مع الجماعة المؤمنة، وكلمة الله هي العليا، فإن استجاب القائد لنداء الفقيه فهو من المسلمين ودخل في جماعتهم وإلا فعليه أن يواجه نتائج قراره الخاطئ، لكن للأسف فإن هذه الثورة لم تنجح[2]، حيث فشلت جهود الفقيه ابن مغاور في ثني هذا القائد عما كان ينوي القيام به من محاربة المنادين بالوحدة تحت قيادة الموحدين، وذهبت نداءاته مع مهب الريح.

وهذا النوع من الرسائل جاء كوسيلة استخدمت لحقن دماء المسلمين، فأرسلوها إلى المتمردين، يدعونهم فيها إلى الرجوع إلى وحدة الصف وجمع الكلمة، وقد وجدت مثل هذه الرسائل استجابة من بعض الخارجين والمتمردين؛ إذ وجدوا فيها وسيلة لحقن دمائهم ونيل العفو والصفح من الخليفة [3]

ولكن يبدو أن العلماء لم ييأسوا من المحاولات الرامية لدعوة زعماء الانفصال بالدخول في طاعة الجماعة؛ حيث نجح أبو جعفر الوقشي[4] في إقناع ابن همشك[5] – أكبر قادة ابن مردنيش وحاكم جيان– بالانضواء تحت لواء دولة الموحدين، وتم الترتيب للقاء يجمع بين ابن همشك والخليفة يوسف بن عبد المؤمن[6]، وبعودة ابن همشك إلى الوحدة ودخوله في طاعة الموحدين يفقد ابن مردنيش ساعده الأيمن وحليفه القوي، كما بدأت سياسته في تخبط وشكّ بكل من حوله؛ إذ قتل وزيريه "فقل من أصحابه عونه، واختل ذهنه"[7] ، مما سهل على الموحدين الإيقاع به وهزيمته هزيمة منكرة مع حلفائه النصارى عام (566هـ=1171م) [8]، ففر ابن مردنيش إلى مدينة مُرْسِيَة فحاصره الموحدون وما زالوا محاصرين له إلى أن مات وهو في الحصار (567هـ=1171م) [9] وانتهت حياة هذا الثائر، ودخل أبناؤه في طاعة الموحدين وبايعوا الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الذي "ملك الجزيرة بأسرها ودانت له بجملتها ولم يخرج من طاعته شيء منها"[10]

---

[1] م. ن ، ص133.

[2] م. ن، ص134.

[3] الكفارنة، النثر الأندلسي، النثر الأندلسي في ظل الموحدين، "رسالة دكتوراه غير منشورة"، جامعة عين شمس، ص23.

[4] هو الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوقشي البلنسي نزيل مالقة من بيت علم وكان وزيراً لإسحاق بن همشك (ت:574هـ = 1180م). ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص260.

[5] هو إبراهيم بن أحمد بن همشك، وكان من أكبر قواد الأمير محمد بن سعد بن مردنيش وساعده الأمين في حروبه ضد الموحدين، وفي الوقت نفسه صهراً له، وكان النصارى يقدمون لهما المساعدة العسكرية والمادية، وكان قاسي القلب لا يعرف الرحمة، ويضرب به المثل في السطوة والقتل وكان يرمي خصومه من أعلى الجبال، أقنعه وزيره أبو جعفر الوقشي بضرورة الانضمام تحت حكم الموحدين وكان ذلك عام (562هـ = 1167م). ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص260؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص370؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص213؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص149 .

[6] المراكشي، المعجب، ص320

[7] م. ن، ص320.

[8] م. ن، ص321.

[9] ابن صاحب الصلاة، المن، ج2، ص407.

[10] المراكشي، المعجب، ص322.

الفصل الثالث

دور علماء الأندلس في تحريــض الحكام علـــى الجهـــــاد

المبحث الأول : دور العلماء في تحريض حكام الطوائف على الجهاد.

المبحث الثاني : دور العلماء في تحريض حكام المرابطين على الجهاد.

المبحث الثالث : دور العلماء في تحريض حكام الموحدين على الجهاد.

ارتبطت فريضة الجهاد في سبيل الله منذ البداية بالتحريض على القتال [1]؛ إذ يقول الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ) [2].

يذكر ابن حيان الأندلسي مفسراً هذه الآية أنها " تحث على أمر كان قد وجب عليه وهو الجهاد في سبيل الله، والكفار قوم لا يفقهون، وهم جهلة يقاتلون على غير احتساب... فالله تعالى يخذلهم وذلك بخلاف من يقاتل على بصيرة وهو موعود من الله بالنصر والغلبة" [3] .

إن ظاهرة التحريض على القتال تعد نوعاً من الجهاد؛ فعن أنس بن مالك –(رضي الله عنه)– عن النبي ﷺ أنه قال: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم" [4]، إذن اللسان سلاح من أسلحة الإسلام ويساهم في ميدان الجهاد كما ويساهم في تعبئة الأمة لتكون كلمة الله هي العليا.

وقضية التحريض من القضايا المهمة في المجتمع، فإن أخطر ما يصيب الأمة هو الاسترخاء والركون إلى الحياة، والاستغراق في مشاغلها التي لا ريب تؤدي إلى الذل والهوان، ومسيرة التاريخ الإسلامي تدل على أهمية التحريض والحث على الجهاد[5].

ولقد عد علماء الأندلس أن "محرضاً واحداً خير من مئة مقاتل"[6]، ولأهمية الخطابة في التحريض فقد وضعت شروطاً وآداباً يجب أن يلتزم بها الخطيب منها"أن يستعمل في ذلك الكلام الفصيح القريب من فهم عامة زمانه وأهل مكانه، ويستطيبه الجمهور مع موافقة الألفاظ الشرعية التي ترغب في الآخرة، وتزهد في الدنيا، وتقوي القلوب، وتشد النفوس، وتنبه على قوة اليقين، وتحض على الدرجات العليا"[7]، كذلك يجب على الخطيب المحرض أن يوقظ الهمم، ويغرس الشجاعة في القلب، ويعلم الجماهير الحياء من الله تعالى وألا يفروا من ميدان الجهاد ويثبتوا لأن الله يباهي الملائكة بأهل الثبات والصبر، كما ويجب على الخطيب المحرض أن يؤكد للناس أن النصر يأتي بعد الصبر[8].

كذلك استخدم علماء الأندلس – في إطار التحريض– أساليب متعددة منها تنظيم القصائد الشعرية الجهادية ولقد كان شعر الجهاد في الأندلس أحر ندباً وأشد حرقة وأعلى صوتاً وأعمق أثراً في استنهاض الهمم، وشحذ العزائم؛ لذا فقد كان الحكام يدفعون العلماء لمرافقة الجيوش لقول الشعر

---

[1] ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص866.

[2] سورة الأنفال، آية 65.

[3] أبو حيان، المعجم المحيط، ج3، ص512.

[4]ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج3، ص124، رقم الحديث 12286؛ أبو داود، سنن أبي داود، ج2، ص13، رقم الحديث2504.

[5] الزهار، إشكاليات مجتمعنا المعاصر، ص116.

[6] مفتاح، " مفهوم الجهاد والاتحاد "، مجلة عالم الفكر،(ع1، مج12،) ص189.

[7] ر. ن،ع1، مج12، ص189.

[8] ر. ن، ع1، مج12، ص189.

الحماسي[1]؛ حيث إن الشعر احتل في نفوس الناس مقاماً عالياً على اختلاف طبقاتهم وعلى مستوى الأفراد والجماعات، وكانت القصائد الشعرية تصل إلى أسماع الناس فيرددونها[2].

هكذا كان صوت العلماء بقصائدهم الشعرية صوتاً يعبر في معظمه عن وجدان الأندلسيين وظروفهم القاسية، ويصل إلى الجميع يدعوهم إلى الجهاد حتى لا تضيع البلاد بأيدي الصليبيين.

لقد أدى الشعراء واجبهم في التحريض وتغطية الجانب الإعلامي في قضية الجهاد[3]؛ لذا فقد انتقم قادة الحرب النصارى من الشعراء الذين يحرضون الناس على الجهاد لما لهذه القصائد من أثر كبير في استنفار الروح الجهادية ضد الصليبيين[4].

---

[1] ينظر: نافع، اتجاهات الشعر الأندلس، ص148.

[2] عباس، الأدب الأندلسي، ص90.

[3] الداية، في الأدب الأندلسي، ص161.

[4] كما حرق القمبيطور الشاعر أحمد بن عبد الولي (488هـ = 1091م) ؛ الضبى، بغية الملتمس، ح1، ص241 ؛ ابن الأبـــار، التكملـــة لكتاب الصلة، ج1، ص14.

المبحث الأول

دور العلماء في تحريض حكام الطوائف على الجهاد

لقد تنبه العلماء في الأندلس إلى ما يدور حولهم من الأحداث الجسام الخطيرة منذ بداياتها، وأحسوا بخطورة المد الصليبي في بلادهم، فقام عدد منهم بتنبيه حكام الطوائف للخطر المحدق وأخذوا يستنفرون هممهم لإنقاذ البلاد الإسلامية مما يتهددها[1].

وقد أثارت مأساة بَرْبَشْتَر (456هـ/1064م) مشاعر العلماء الأندلسيين لكونها أولى النكبات التي حلت بأهل الأندلس، فقام الفقيه أبو حفص الهوزني[2] بتحريض صديقه المعتضد بن عباد (حاكم إشْبِيْلِيَة) على الجهاد ودعاه إلى القيام بإنقاذ أهل بَرْبَشْتَر[3] والانتقام لهم حيث اعتقد أن لديه القدرة على ذلك، وأنه لا عذر له عن التخاذل وعدم تلبية داعي النفير، فأرسل إليه قصيدة شعرية يستنهض حميته للجهاد يقول فيها:

أعبّادُ جلَّ الرزءُ[4] والقومُ هُجَّعُ[5] ... على حالةٍ من مِثلِها يُتَوَقَّعُ

فَلَقٌّ كتابي من فَراغِكَ ساعةً ... وإن طالَ فالموصوفُ للطولِ موضعُ

إذا لم أبثَّ الداءَ ربَّ دوائِهِ ... أضَعْتُ، وأهلٌ للملامِ المضِيعُ[6]

ثم يصف الفقيه ما حل بالمسلمين من محنة القتل والأسر والسبى بقوله: "وكتابي عن حالة يشيبُ لشهودها مَفْرِقُ الوليد، كما يغبرُّ لورودها وجهُ الصعيد، تَذَرُ النساءَ أيامي، والأطفالَ يتامى "[7] ثم يصور الفقيه مأساة الإسلام بفعل عمليات الإبادة الجماعية التي اقترفها النصارى فهذه النكبة قد "طَمَتْ حتى خيفَ على عُرْوَةِ الإيمانِ الانفضاض[8]، وطَمَتْ حتى خُشِيَ على عمودِ الإسلام منها الانقضاض[9]، وسَمَتْ حتى تُوُقِّعَ على جناحِ الدينِ الانهياض[10] [11]، ثم يبدأ الفقيه ويذكر المعتضد

---

[1] عباس، الأدب الأندلسي،177.

[2] أبو حفص عمر بن الحسن بن عبد الرحمن بن عمر الهوزني، أديب وفقيه من علماء الأندلس، رحل إلى المشرق العربي وأخذ عن علماء المسلمين هناك، ثم عاد إلى مُرْسِيَة، وكان له في إشْبِيْلِيَة مكانة عظيمة، وكتب إلى صديقه المعتضد بن عباد يحثه على الجهاد فخشي المعتضد من جانبه لذا أقدم على قتله عام(460هـ = 1068م) . ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص84 ؛ ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص380 ؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، 2، ص239 ؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص93.

[3] ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج1، ص239.

[4] المصيبة والجمع أرزاء. ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص86 .

[5] الهجوع، النوم ليلاً. الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص288، ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص367 .

[6] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص83؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج1، ص240 ؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص93.

[7] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص84.

[8] السقوط والوقوع. ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص240.

[9] السقوط يقال انْقَضَّ الحائط، أي سقط، وانقض الطائر، أي هوى في طيرانه . الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص225؛ ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص219 .

[10] الضعف والعجز، مأخوذة من الناهض وهو الفرخ الضعيف الذي يكاد ينهض للطيران، ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص245 .

[11] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص84.

ويذكر المعتضد أن الحرب تحتاج إلى تضحيات، وهي بأس شديد لا يطيقه كل أحد، وإنما لها رجالها الذين نذروا أنفسهم لها فهم يصبرون على شدائدها ويتحملون صعابها[1]، وهكذا بعد أن يشخص الهوزني أبواب الشر التي جلبت المصائب على المسلمين ويعلل أسباب الضياع، يبدأ باستثارة نخوة المعتضد، ويقوي عزيمته، ويحرك في نفسه نوازع الجهاد؛ ليدفع الصليبين عن بَرْبَشْتَر بعد أن توانى بقية الحكام عن نجدتها، يقول الهوزني: "فانتهزْ فرصتها فقد بان من غيرك العجز،.. وما زلت أعتدُّكَ لمثل هذه الجولة وَزَراً[2]، لدلائلَ أوضحتْ فيك الغيبَ، وشواهدَ رفعتْ من أمْرِكَ الرَّيْب ... ففضلكم في الأعناقِ أطواق[3]، ومجدكم للآفاق إشراق"[4].

وهكذا حاول هذا الفقيه حث المعتضد على الجهاد، ويستنجد به لإنقاذ البلاد الإسلامية، لكن هذه المحاولة لم تكن المرة الأولى التي طالب الهوزني فيها صديقه المعتضد بالجهاد، بل طالبه مرات منها بقوله داعياً ومحذراً:-

أعبّاءٌ ضاقَ الذَّرعُ واتَّسعَ الخَرْقُ ... ولا غَرْبَ للدنيا إذا لم يكنْ شرْقُ

ودونك قولاً طالَ وهو مقصّرٌ ... فللعينِ معنىً لا يُعَبِّرُهُ النطقُ

إليك انتهتْ آمالُنا فارمِ ما دَهَى ... بعزمِك، يدمغْ[5] هامةَ الباطلِ الحقُّ[6]

وتذكر المصادر[7] أن الفقيه الهوزني – بعد عودته من بلاد المشرق– التقى الفقيه أبا الوليد الباجي، وكان من بين المواضيع التي دارت بينهما مسئولياتهما في القيام بدور الوعظ ونصح أمراء الطوائف وبعد هذه الرسائل التي بعثها الهوزني يحضه على الجهاد، دفع الفقيه الثمن غالياً؛ حيث استدرجه المعتضد إلى إشْبِيْلِيَة وأحضره للقصر، وأمر خادمين من فتيانه بقتله، فكلاهما أشفق من سوء فعله، وهربا، فقام المعتضد نفسه وقتله وأمر بدفنه بثيابه وقلنسوته وهيل عليه التراب داخل القصر من غير غسل ولا صلاة [8].

ويعلل الدكتور عنان حادثة مقتل الفقيه الكبير الهوزني أن المعتضد فعل ذلك اعتقاداً منه بأن دعوة الفقيه الكبير الهوزني له للجهاد لم تكن إلا نوعاً من التوريط العسكري والسياسي فإذا حارب وأخفق

---

[1] ابن بسام، الذخيرة ، ق2، مج1، ص85.

[2] ملجأً والوَزر هو الجبل المنيع وكل وزر ملجأ. الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص299؛ ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص282.

[3] أطْواق جمع طَوْق وهو حلي ما يلف على العنق، وكل شيء استدار حول العنق فهو طوق . الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص168؛ ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص231.

[4] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص86.

[5] يدفع. ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص424.

[6] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص85.

[7] عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص825.

[8] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1 ص82 ؛ ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص381 ؛ عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص825؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج1، ص234 .

كسرت شوكته لدى حكام الطوائف، وإذا لم يحارب كشف عن تقاعسه في الدفاع عن حوزة الدين[1].

ومن العلماء، الذين ساروا على المنهج نفسه في توظيف الرسائل التي تحث على الجهاد لإنقاذ الأندلس ومواجهة الأخطار المحدقة بها، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد البر، حيث كتب رسالة على لسان أهل بَرْبَشْتَر بعد سقوطها، ووجهها إلى حكام الطوائف، وفيها يصف ما حل بهم من النكبات الفظيعة، والأفعال البشعة، ويستثير همم المسلمين للانتقام من الصليبيين، فيبدأ رسالته "من الثغورِ القاصية، والأطرافِ النائية، المعتقدين للتوحيد، المعترفين بالوعدِ والوعيد، المستمسكين بِعُرْوةِ الدين، المعتصمين بعصمة الإسلام، المتآلفين على الصلاة والصيام، المؤمنين بالتنزيل، المقيمين على سُنَّةِ الرسول... إلى مَنْ بالأمصارِ الجامعة، والأقطارِ الشَّاسعة، بجزيرة الأندلس من ولاةِ المؤمنين، وحماة المسلمين، ورُعاةِ الدين، من الرؤساء والمرؤوسين، سلامٌ عليكم"[2]، ثم يستنفرهم بقوله:"فإنا خاطبناكم مستنفرين، وكاتبناكم مستغيثين...وأكبادُنا حَرَّى[3]، ونفوسنا منطبقةٌ، وقلوبنا محترقةٌ، على حين نشرَ الكفرُ جناحيه، وأبدى الشرك ناجِذيه[4]... ومسنا وأهلنا الضر"[5]، ثم يصف في رسالته هذه ما حل بسكانها من ذل وهوان، ويذكر أن الصليبيين يسومونهم سوء العذاب، ويستبيحون أعراضهم ودماءهم يقول : " فلو رأيتم إخوانكم في الدين، وقد غلبوا على الأموال والأهلين، واستحكمتْ فيهم السيوفُ، واستولتْ عليهم الحُتُوف[6]، وأثخنتهم الجراح، وعبثتْ بهم الرماح، وقد كثر الضجيجُ والعويلُ والنياح، ودماؤُهُمْ على أقدامهم تسيل، سيلَ المطرِ بكل سبيل، ورؤوسهم قُدَّامَهُم تطير، وقلوبُهُمْ في أجساهم تستطير"[7].

ثم يأخذ الفقيه ابن عبد البر في تهييج المشاعر الدينية وشحنها وذلك حين يؤكد مدى استهداف الصليبيين للديانة الإسلامية بكل مقوماتها، حيث " انتصر في هذه الوقعة أصحاب الصليب لصليبهم، وحلت أصوات النواقيس محل آي القرآن الكريم، ودنست المساجد بتحويلها إلى كنائس، وأحرقت المصاحف، ودمرت المساجد، وقتلت الأئمة، وكأنهم عزموا على إبادة كل أثر له صلة بعقيدة الإسلام لدرجة أن الشيطان تمرد وفرح بعد هذه الوقعة"[8]، ثم يصرخ الفقيه محاولاً تحريك نفوس المسلمين وبعث غيرتهم على الإسلام " فيا ويلاه، ويا ذلاَّه، ويا كَرْباه، ويا قرآناه، ويا محمداه، ألا ترى ما حلَّ بحملةِ القرآن، وحفَظَةِ الإيمان، وصُوّامِ شهرِ رمضان، وحجَّاج بيتِ الله الحرام،

---

[1] عنان، دولة الإسلام، ج3، ص180.

[2] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص173.

[3] من الحَرَى والحَرَاة حرقة يجدها الرجل في حلقه وصدره ورأسه من الغيظ والوجع. ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص174.

[4] آخر الأضراس، وللإنسان أربعة نَوَاجِذ في أقصى الأسنان. الرازي، مختار الصحاح، ج9، ص38.

[5] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص174.

[6] جمع حَتْف، وهو الموت. ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص231.

[7] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص175.

[8] م. ن، ق3، مج1، ص176.

والعاكفين على الصلاة والصيام، والعاملين بالحلالِ والحرام، فلو شهدتم ذلك... لطارتْ أكبادكم جَزَعاً ، وتقطّعَتْ قلوبكم قطعاً، واستعذبتم طعمَ المنايا، ولهجرت أسيافكم أغمادَها، وجَفَتْ أجفانُكم رُقادها، امتعاضاً لعبدةِ الرحمن، وحفظة القرآن، وضَعَفَةِ النساءِ والولدان، وانتقاماً من عَبدة الطغيان، وحَمَلَةِ الصلبان"[1].

ثم بعد هذه الصرخات المدوية لإحياء وبعث الوازع الديني عند حكام الطوائف، ينتقل إلى تهييج النخوة والحمية من خلال عرض الجرائم العظيمة، مركزاً على ما نالته "النساءُ والولدان، ما بين عاريةٍ وعُريان، قَوْداً بالنَّواصي[2] إلى كلّ مكان، طوراً على المتون[3]، وطوراً على البطون، ومشيخةُ الرجال، مُقرَّنين في الحبال، مصفَّدين في السّلاسل والأغلال... أن استُرحِمُوا، لم يُرْحموا، وإن استُطعِموا لم يُطْعموا، وإن استُسقوا لم يُسْقَوْا، وقد طاشتْ أحلامُهُم، وذهلت أوهامهم، وسخنت أعيانهم، وتغيَّرتْ ألوانُهم" [4].

ثم يوجه الفقيه نداءً للحكام، داعياً إياهم إلى النفير والجهاد بقوله: "وقد ندبَ اللهُ مسلمي عبادِهِ إلى الجهادِ في غيرِ ما آيةٍ من الكتاب، يضيقُ عن نصِّها الخطاب، ترغيباً وترهيباً، فوعد المطيعين جزيلَ ثوابه، والعاصين أليمَ عِقابه، والروايةُ عنه عليه السلام في فضل الجهاد، وما يجازي فيه ربُّ العباد، أشهرُ من أن تذكَر، وأكثرُ من أن تحصر، فاللهَ اللهَ في إجابةِ داعينا، وتلبية منادينا، قبل أن تُصْدَعَ صَفاتُنا كَصَدْعِ الزّجاج، فهناك لا ينفعُ العلاج، ولا بدَّ للحقّ من دولة، وللباطلِ من جَوْلَة، والحربُ سجال، (لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ) [5]، والدهر دول"[6].

ثم يعلل الفقيه سبب ما وصلت إليه البلاد من أحوال مأساوية " لولا فرطُ الذنوبِ، لما كان لريحهم علينا من هُبوب... فالحذَرّ الحذرّ فإنه رأسُ النظر، من بركانٍ تطاير منه شررٌ ملتهبٌ، وطوفانٍ تساقطَ منه قَطرُ مرهب، قلما يؤمن من هذا إحراق، ومن ذلك إغراق، فتنبَّهوا قبلَ أن تُنَبَّهوا، وقاتلوهم في أطرافهم، قبل أن يقاتلوكم في أكنافكم، وجاهِدوهم في ثُغورِهم، قبل أن يُجاهِدُوكم في دياركم، ففينا مُتَّعَظٌ لمن اتَّعظَ، وعِبْرةٌ لمن اعتبر، فانظروا إلى ثغورنا كيف تُهْتَضَمُ، وإلى أطرافِنا كيف تُخْترم، وفيئنا كيف يُقْتَسم، وأموالُنا كيف تُصْطَلم، ودِمَاؤنا مطلولة، وحدودنا مَفْلُولة، وأنتم عنَّا لاهون، في غمرةٍ ساهون، وكأنَّا لسنا منكم ... وأنه إن استُلِبتِ الأطرافُ، لم تَتَعذّرْ الأنصافُ، والبعضُ للبعضِ سببٌ، والرأسُ من الذَّنَب، غير أنّا دَنَوْنا وبعدتم، وشقينا وسعدتُمْ، ورأينا وسمعتُم،

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص176.

[2] جمع ناصية وهي قصاص الشعر في مقدم الرأس. ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص327.

[3] جمع المَتْن وهي الظهر، يذكر ويؤنث والجمع متون . م.ن، ج13، ص398.

[4] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص177.

[5] سورة يونس، آية49.

[6] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص178.

وليس الخبرُ كالعيان، ولا الظــنُّ كالعرفان، ولقــد آن أن يبــصرَ الأعمــى، وينــشطَ الكــسلانُ، ويستيقظَ الــنّومان ويشجعَ الجبان. " [1].

وكان لسقوط طليطلة بيد النصارى سنة (478هـ = 1085م) وقع مــؤلم فــي نفــوس العلماء، ومحنةٌ لا تطاق، فأصيبوا بالهلع والفزع؛ حيث إنها كانت من أمنع مدن الأندلس وأحصنها، وتلقوا خبر سقوطها بحيرة وذهول من خذلان أمراء الطوائف لأهلها[2]، لكن العديد مــن العلمــاء تعالوا على الجراح وخرجوا من دائرة الصمت والسكوت، لكنهم لم يعلنوا عن، أسمائهم ربما خوفاً من ردة فعل قاسية بحقهم، فلقد أورد المقري قصيدة شعرية لأحد علماء الأندلس مجهول الاسم لكنَّ كلماته تدلل على صبغته الدينية[3]،ومما جاء فيها:

لتُكْلِــكِ كيــف تَبْتَــسمُ الثغــورُ ... ســروراً بعــدما سُــبِيتْ ثغــورُ
لقد قُصِمَتْ ظهــورٌ حــينَ قــالوا ... أميــرُ الكــافرينَ لــه ظُهــورُ
طُلَيْطِلَــةُ أبــاحَ الكفــرُ منهــا ... حِماهــا أنَّ ذا نبــأٌ كبيــرُ

تظهر مشاعر العالم وحزنه على سقوط موطنه طليطلة، وهي ثغر إسلامي، وتحولت بسقوطها إلى دار كفر، ثم يستنفر نخوة حكام الأندلس ليمسك بزمام الأمور مجدداً ويعيد الأمور إلى مــا كانــت عليه، ثم يمضى الشاعر حزيناً مظهراً ما أصاب طليطلة من تحول ديني:

ألم تــكُ معقِــلاً للــدينِ صَعْــباً ... فَذَلَّــلَه كمــا شــاءَ القــدير؟
وكَانَــت دارَ إيمــانٍ وعلــمٍ ... معالمُهــا التــي طُــمِسَتْ تُــنِيُرُ
فعــادتْ دارَ كفــرٍ مــصطفاةً ... قــد اضْــطرَبتْ بأهْليهــا الأمــورُ
مَــساجدُها كنــائسُ، أيُّ قلــبٍ ... علــى هــذا يَقَــرُّ ولا يطيــرُ
فــلا ديــنٌ ولا دُنــيا ولــكــن ... غــرورٌ بالــمَــعيــشةِ مــا غــرورُ
مضــى الإســلام فابْكِ دمــاً عليه ... فــما ينفي الجَوى[4] الدمــعُ الغزيرُ[5]

ثم يبدأ هذا العالم باستنهاض الهمم، ويستنفر المتقاعسين، ويبحث عن قائد غيور باسل يخوض حرباً لتحرير طليطلة:

ألــيس بــها أبــيّ النــفس شــهم ... يــديــر على الــدوائــر إذ تــــدورُ
ألا رجــــلٌ لــــه رأيُ أصــــيلٌ ... بــــه ممــــا نُحَــــاذِرُ نَــــسْتَجِيرُ

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص179.

[2] م.ن، ق3، مج1، ص243.

[3] المقري، نفح الطيب، ج4، ص483.

[4] الحرقة وشدة الوجد من الحزن . ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص157.

[5] المقري، نفح الطيب، ج4، ص483.

يكّـــر إذا الـــسّيوف تناولتـــه وأيـــن بنـــا إذا ولّـــتْ كُـــرُورُ
وطعنٌ بالقنا[1] الخطّـــارِ[2] حتـــى يقول الـــرّمحُ: مـــا هـــذا الخطيـــرُ؟
يبـــادرُ خرقَهَـــا قبـــلَ اتـــساعٍ لخَطْـــبٍ منـــه تَنْخَـــسِفُ البُـــدورُ
يوسِّـــعُ للـــذي يلقـــاهُ صَـــدْراً فقدْ ضـــاقَتْ بمـــا تَلْقَـــى الـــصّدورُ
ونرجـــو أنْ يُتـــيحَ اللهُ نـــصراً علَـــيهِم، إنَّـــهُ نِعْـــمَ النَّـــصيرُ[3]

وهكذا فإن ذلك العالم لا يفقد تفاؤله ورجاءه في نصر الله تعالى لكنه يبدو له أن النصر لن يكون على يد أحد من حكام الطوائف، إما يأساً أو خوفاً منهم، وتطلَّع إلى قائد ينهض بالأمـــة مـــن كبوتها يتصف بصفات البطولة والشجاعة، حازمٌ في رأيه وتدبيره، قوية عزيمته، صبور في ميدان القتال، وأنه إذا رأي خرقاً بادر بسده، كما إن هذا القائد يتصف بسعة الصدر يتحدى بها الملمـــات التي يضيق منها الصدور ومن العظمة الاستشهاد تحت راية هذا القائد.

ولعلَّ ثمَّةَ سؤالاً: ما الذي يدفع هذا العالم إلى عدم ذكر اسمه؟ وفـــي اعتقـــاد الباحـــث أن النفسية الإجرامية لدى الكثير من حكام الطوائف خلقت مناخاً سياسياً يكمم الأفـــواه ويمنـــع حريـــة الكلمة، والنقد البناء؛ فلقد قام المعتضد بقتل الفقيه أبي حفص الهوزني[4]، والفقيه البزلياني [5]، وأمر بإحراق كتب ابن حزم ومنع طلاب العلم من دراستها[6]، وقام أحمد بن سليمان بـــن هـــود حـــاكم سَرَقُسْطَة بقتل الفقيه الذي وعظه ونصحه بضرورة إصلاح سياسته والتفرغ لجهاد النصارى " فقتله ذلك الأمير خوفاً من أن يتجاسر غيره على أن يفعل مثل فعله "[7].

---

[1] جمع قَنَاة وهي الرماح. الرازي، مختار الصحاح، ج15، ص231؛ ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص203.

[2] ذو الاهتزاز الشديد. لسان العرب، ج4، ص251.

[3] المقري، نفح الطيب،4، ص484.

[4] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص82 ؛ ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج2، ص254.

[5] ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج1، ص444.

[6] قطب، الإمام ابن حزم الظاهري، ص13.

[7] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص222؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص236؛ ابن الخطيب، أعمال الأعـــلام، ج2، ص171؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص441 .

كما تم اعتقال الفقيه أبي إسحاق الألبيرى[1] ومن ثم تم إبعاده من غَرْنَاطَة إلى إِلْبِـــيرَة[2] بأمرٍ من حبوس بن ماكسن الصنهاجي[3].

وهكذا كان الفقهاء أكثر الناس حثاً على الجهاد وأكثرهم جرأة على الحكام[4].

وقد واكب محمد بن أحمد بن طاهر[5] (507هـ = 1113م) الحروب الصليبية، واشـتداد وتيرتها في عصر الطوائف منذ بدايتها، وكان قد عاصرها وعاش معهـا فـي كـل مراحلهـا المختلفة[6]، وقد تألم لما جرى على المسلمين من نكبات وهزائم وفرقة، وعبر عن ذلـك برسـائل كثيرة في وصف النكبات والمحن التي حلت بالمسلمين، وفي الحض على الجهاد لإنقاذ الأندلس من الاعتداءات الصليبية[7]، ومن الأمثلة على هذه الرسائل حين خاطب أحد الحكام، وقد افتتح الرسالة مباشرة بالتحريض على الجهاد لطرد العدو الذي احتل بلاد الإسلام، وهـو علـى أتـم اسـتعداد للاستيلاء عليها مستغلاً حالة التفكك والضعف عند حكام المسلمين، ثم يمدح مخاطبه ويثني علـى جهوده ورغبته الصادقة في الدفاع عن الديار الإسلامية.

---

[1] هو إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي، ولد في إِلْبِـيرَة في الربع الأخيرمن القرن الرابع الهجري، وكان فقيها وشاعراً وحافظاً ورعـاً، وزاهداً عابداً، انتقل إلى غرناطة، وفيها حاز رياسة الفقه والشورى، وكان حبوس بن ماكسن حاكم غرناطة قد عين ابـن النغريلـة جابيـاً ومدبراً لشؤون الإمارة، وعظم شأن اليهود في عهده، وتطاول ابنه يوسف بن إسماعيل على المقدسات، مما نبه الإبيـري إلـى خطـرهم، فأصدر باديس بن حبوس أمراً بنفي الإلبيري، وفي المنفي نظم قصيدةً كانت سبباً في ثورة العامة على اليهود، أدت إلى قتل الوزير يوسـف وقضت على سطوتهم كلياً، ومما قاله:

أَلا قُـلْ لِـصِنْهَاجَة أَجْمَعِـينْ	بُـدُورِ الزَّمَـانِ وأُسْـدِ العَـرِينْ
تَخَيَّـرَ كَاتِـبَهُ كَـافِراً	وَلَـوْ شَـاءَ كَـانَ مِـنَ المُـسْلِمِينْ
فَعَـزَّ اليَهُـودُ بِـهِ وَانْتَخَـوْا	وَكَـانُوا مِـنَ العِتْـرَةِ الأَرْذَلِـينْ

(ت:460هـ = 1068م). ينظر: الداية، ديوان أبي اسحاق الإلبيري، ص6-12.

[2] إِلْبِـيرَة: تقع جنوب شرقي قُرْطُبَة، وخربت بسبب الحرب التي وقعت زمن حكام الطوائف وهاجر أهلها إلى غرناطة، يكثر فيها الـذهب والمعادن. الإصطخري، مسالك الممالك، ص34؛ ابن غالب، نزهة الأنفس، ص15؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص195.

[3] هو محمد بن معن بن صُمَادح التجيبي، يكنى أبا يحيى، وتلقب المعتصم والواثق بالله ثم الرشيد، كان حليماً وكريماً، تولى الحكم فيها بعد وفاة والده، وشيد فيها قصره الصمادحية المشهور، اشترك مع يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة، ثم تمرد عليه شأنه شأن بـاقي حكـام الطوائف، فحاصره جيش المرابطين وكان في حالة النزاع فقال قولته الشهيرة: " نغص علينا كل شيء حتى الموت"(ت:484هـ=1091م). ينظر: ابن خاقان، قلائد العِقيان، ج1، ص156 ؛ ابن بسام، الذخيرة، ق1، ح2، ص240؛ ابن الأبار، الحلة الـسيراء، ج2، ص88؛ ابـن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص45.

[4] شلبي، البيئة الأندلسية، ص284.

[5] هو محمد بن أحمد اسحاق بن زيد بن طاهر القيسي، يكنى أبا عبد الرحمن، من أشهر شعراء وبلغاء الأندلس، وقع فـي الأسـر حينمـا احتل القمبيطور بَلَنْسِيَة، ثم فك أسره ورحل إلى شَاطِبَة وعاد لبَلَنْسِيَة بعد أن حررها المرابطون (ت:507هـ= 1113م) وقـد نيـف علـى التسعين من العمر . ينظر: ابن خاقان، قلائد العِقيان، ج1، ص170 ؛ ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص24؛ ابن الأبار، الحلة الـسيراء، ج2، ص116؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص657.

[6] ابن خاقان، قلائد العِقيان، ج1، ص75.

[7] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص86.

ولعله أراد من وراء هذا المديح إثارة حميته ونخوته، وتحريك نوازع الجهاد والمقاومة في نفسه، ومما قاله: " فبانتْ أصالتك وتفرَّدُ جَـدِّك[1]، وتجددّ الحفاظ والإنقاذ لملة الإسلام بجهدك"[2]، وهـو يحث على الجهاد في هذه الحقبة العصيبة التي أصبح فيها الجهاد واجباً على كل مسلم" وقد تعـيَّنَ البدارُ[3] على كلِّ رئيس ومرؤوس، ولزم الجهادُ كل شريفٍ ومشروف، وقبيحٌ على المسلم أن يحلّ إزاراً، ويسوَّغَ من الكرى غِراراً، وإخوتُـهُ المسلمون بين مشدودٍ بالإسار، تالله ما في النّـصَفةِ أن تُسكَن الظلال، وأطواقُ حَمَلة القرآن في الأغلال "[4].

وحينما ازدادت تعديات النصارى على قلعة أيوب[5]، أرسل محمد بن طاهر رسـالة إلـى المعتصم بالله حاكم المَرِيَّـة يستثير نخوته الإسلامية، ومما جاء فيها "فليندب الإسلام نادب، وليبك عليه شاهد وغائب، فقد طفئ مصباحه، ووطئ ساحه"[6].

أما حال المسلمين "أموالهم نهب توزع، والقتل يأخذ منهم فوق ما يدع"[7]، ثم يدعوه إلى ضـرورة أخذ العبرة والدروس اللازمة من هذا الحادث الذي فجع القلوب وأحار العقول فعليه أن يكون على أتم الاستعداد لمواجهة مثل هذه الأخطار[8]، ويبدو الطابع الديني جلياً في هذه الرسالة؛ حيث يركز ابن طاهر على ما لحق بالإسلام من خراب على يدي النصارى.

ومن المواقف التي استغلها العلماء، لحث الحكام على الجهاد، مـا حـدث مـع اليهـودي شَـشْـنَـنْد[9]، ذلك أن ألفونسو السادس أرسل شَـشْـنَـنْد على رأس وفد من النصارى لقـبض الجزية السنوية من المعتمد، ولكن ششنند رفض تسلُّم المال بحجة أنه من عيـار نـاقص، وأغلـظ القول، وهدد قائلاً: " والله لا آخذ هذا المعيار، ولا آخذ منه إلا مشجراً، وبعد هذا العام لا آخذ منـه إلا أجفان البلاد، "[10]، وطالب بتسليم مزيد من الحصون للنصارى زيادة على الـضريبة، لا بـل طلب بأن تلد زوجة ألفونسو السادس في الجامع الأعظم بمدينة الزَّهْرَاءِ غربي قُرْطُبَة حسب وصايا الأساقفة بذلك، ولما علم المعتمد بما صدر عن اليهودي أمر بصلبه وبزج أصحابه في الـسجن[11]،

---

[1] الجَـــدِّ، العظمة والغنى. مختار الصحاح، ج1، ص40.

[2] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص87.

[3] السرعة والعجلة من تَبَادَرَ القوم أي أسرعوا وابتدروا للسلاح. ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص48.

[4] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص88.

[5] قلعة بناها المسلمون وتقع في الجزء الجنوب الشرقي من سرقسطة، كانت تسمى لبة، ثم أعاد بناءها والي الأندلس التـابعي أيـوب بـن حبيب اللخمي، وقد اشتهرت بصناعة الفخار المذهب. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ص91؛ الحميري، الروض المعطار، ص163.

[6] ابن خاقان، قلائد العقيان، ج1، ص174.

[7] م.ن، ج1، ص174.

[8] م. ن، ج1، ص175.

[9] وزير ألفونسو السادس ملك قشتالة، أسر وهو صغير، وربي في بلاط إشبيلية، واهتم به المعتضد بن عباد، وجعله سـفيراً بينـه وبـين فردناندو ملك قشتالة، وولده ألفونسو السادس من بعده، كان داهية بارعاً، قتله المعتمد بن عباد. ينظر: المقري، نفح الطيب، ج5، ص377.

[10] الحميري، الروض المعطار، ص84؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص377.

[11] الحميري، الروض المعطار، ص84؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص377.

ويعبر الدكتور الخالدي عن الحادثة السابقة بقوله:" لقد فجرت غطرسة اليهودي، وعداؤه الأعمى للمسلمين ... غضبة إسلامية عربية في نفس المعتمد، فلم يحتمل الإهانة والذل الذي يتعمد اليهود والنصارى أن يلحقوه به وبالمسلمين"[1]، ويتفق معه الدكتور سويدان؛ حيث يعد ما قام به المعتمد بن عباد هو من حسنات هذا الحاكم، فقد منعته العزة الإسلامية والعربية من أن يلبي مطالب ألفونسو[2]، ولقد وظف العلماء هذا الموقف لإشعال جذوة الجهاد عند المعتمد، فأثنى الفقهاء على ما قام به المعتمد وخاصة الفقيه محمد بن الطلاَّع[3] ونصحه بعدم التهاون مع هذا الوفد، وضرورة الاستمرار في سياسة التحدي ومقاومة مطالبهم، وبالفعل أمر المعتمد بقتل ششنند[4] ، وحين سُئل الفقيه ابن الطلاع عن سبب إصدار هذه الفتوى رد قائلاً: " إنما بادرت بالفتوى خوفاً أن يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو، وعسى الله أن يجعل في عزيمته للمسلمين فرجاً "[5].

ويبدو أن هناك دوراً للفقهاء في تصحيح سياسة المعتمد؛ حيث إنه ندم عن سياسة التخاذل التي أبداها تجاه النصارى، فقال يعبر عن ندمه على خذلانهم: " نسأل الله سبحانه المغفرة فيما أتيناه في أنفسنا وفيهم من ترك الحزم وإسلامهم لأعاديهم"[6]، ولما قرر المعتمد بن عباد العبور إلى العدوة المغربية لطلب نصرة الأمير يوسف بن تاشفين، استحسن العلماء فعله، فنظموا قصائد في الثناء على شجاعته، وإرضائه لشعبه، فقد نظم الفقيه عبد الجليل بن وهبون قبيل ركوب المعتمد السفينة، قصيدة جاء فيها

عزمٌ تَجددَ فيه النصرُ والظفرُ ... وفكرةٌ خَمَدتْ من تَحتِها الفكرُ

رَكِبتَ في الله متنَ البحرِ حيثُ طَمَا ... آذيهُ وبصوتِ الريحِ ينحصرُ

حملتَ نفسَكَ فيه فوقَ داهيةٍ ... دهياءِ لا ملجأ منها ولا وزرُ[7]

---

[1] اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، " رسالة دكتوراه منشوره " ، ص189.

[2] الأندلس التاريخ المصور، ص269.

[3] هو الفقيه المحدث محمد بن الفرج المعروف ابن الطلاع ويكنى أبا عبد الله، أحد كبار المحدثين والفقهاء، وله مصنفات عدة في الحديث والفقه منها كتاب نوازل الأحكام النبوية، وكتاب الوثائق، ويعد سنده في موطأ مالك من أعلى ما يوجد في زمانه، ولقيه المعتمد بن عباد يوماً فنزل له عن فرسه، ووعظه ابن الطلاع ووبخه على إسرافه. ابن سعيد، البيان المُغْرب، ج1، ص165.

[4] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص245.

[5] الحميري، الروض المعطار، ص84.

[6] ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص41؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص377.

[7] ابن بسام، الذخيرة، ق4، مج1، ص81.

المبحث الثاني

دور العلماء في تحريض حكام المرابطين على الجهاد

لقد كان علماء الأندلس أكثر الناس وعياً لطبيعة الصراع العقائدي في الأندلس؛ ولذا كان لهم دور مشهود في الاستنجاد بإخوانهم المرابطين[1] وممن ورد اسمه في هذا الدور أبو الوليد الباجي، فقد سافر إلى بلاد المغرب والتقى مع يوسف بن تاشفين ولم تكشف المصادر[2] عما دار بينهما من حوار، لكن يبدو الأمر جلياً أن الفقيه قدم على أمير المسلمين يحرضه على الجهاد في وقت ازدادت تعديات النصارى على الإمارات الأندلسية، كما إن الفقيه كثيراً ما كان يروج لفكرة الاستعانة بالمرابطين وتمكن من إقناع بعض حكام الطوائف بهذه الفكرة[3]، فضلاً عن أن هذا اللقاء تم ضمن الاجتماعات العديدة التي عقدها الأمير يوسف مع علماء وفقهاء الأندلس الذين وجدوا فيه ضالتهم لإخراجهم من المحنة التي تمر بها بلادهم[4].

غير أن مجموعة من العلماء استخدموا القصائد الشعرية والرسائل كوسيلة أساسية لتحريض المرابطين على الجهاد والدفاع عن الإمارات الإسلامية من الاعتداءات الصليبية، ومن أشهر رسائل التحريض على الجهاد ما كتبه العالم محمد بن أيمن[5] إلى يوسف بن تاشفين، والتي حاول فيها إثارة نخوة ابن تاشفين على الدين للثأر للمسلمين من أعدائهم الصليبين حين قال : "لما كان نور الهدى دليلك، وسبيل الخير سبيلك، ووضحتْ في الصلاح معالمك، ووقفتْ على الجهاد عزائمك، وصح العلم بأنك لدعوة الإسلام أعز ناصر، وعلى غزو الشرك أقدر قادر، وجب أن تُسْتَدْعَى لما أعضل من الداء، وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء"[6] ،ثم يصور لأمير المسلمين ما أصاب المسلمين من خراب ودمار بسبب ضعف وجبن حكام الطوائف، فقد كانت القوات النصرانية " تستنزل بالأموال وتسترضى بكل نفيسة وخطيرة، ولم يزل دأبها الشطط[7] والعناد، ودأبنا الإذعان والانقياد حتى... قويت أطماعهم في افتتاح المدن... ورويت من دماء المسلمين... ومن أخطأه القتل منهم، فإنما هم بأيديهم أسرى وسبايا"[8]، ثم يبدأ محمد بن أيمن باستنهاض إثارة روح الجهاد والحماسة في نفس الأمير، ويستصرخه لحماية المسلمين "فيا لله، ويا للمسلمين... يغلب التوحيد الشرك، ويظهر على الإيمان الكفر، ولا يكتنف هذه الملة النصر؟! ألا ناصر لهذا الدين

---

[1] عباس، الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص39.

[2] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص98.

[3] م. ن، ج2، ص98.

[4] الحميري، الروض المعطار، ص288 ؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص90.

[5] محمد بن أيمن بن خالد بن أيمن الأنصاري، يكنى أبا عبد الله، من سكان بَطَلْيُوس، فقيه محدث ، من أعلام النثر والنظم في الأندلس. ينظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص323 ؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج1، ص366.

[6] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج2، ص654 ؛ ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص34.

[7] الجور والظلم والبعد عن الحق . ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص334.

[8] ابن بسام، الذخيرة. ق2، مج2، ص655.

المهتضم[1] ؟!ولا حامي لما استبيح من حمى الحرم، وإنها والله البلية التي ليس مثلها بلاء، ...وإنها مؤذنة الجزيرة بالخلاء ومن فيها من المسلمين بالجلاء، وما هو إلا نفسٌ خافت[2]، ورمقٌ زاهق[3]، إن لم تبادروا بجماعتكم عجالاً، وتتداركوها ركباناً ورجالاً، وتنفروا نحوها خفافاً وثقالاً... وما أحضكم على الجهاد بما في كتاب الله تعالى، فإنكم له أتلى، ولا أحرضكم على التسرع إليه بما في حديث رسول الله عليه السلام، فإنكم إلى معرفته أهدى"[4].

كما وأرسل الحافظ أبو بكر بن الجد[5] رسالة خاطب فيها الأمير نفسه الذي يتطلع إليه علماء الأندلس ليخرجها من حالة الإعياء الشديد.

وتضمنت رسالة هذا العالم وصف عام لحالة الانهيار السياسي والتدهور الاقتصادي جراء الهجمات النصرانية على المدن الإسلامية ثم يُذكِر أمير المسلمين بما لديه من القوة وآلة الحرب ويُذكِره بعظيم الأجر والثواب للمجاهدين فيقول: "وقد وطد الله لك ملكاً شكر عليه جهادك، وقيامك بحقه واجتهادك... وعندك من جنود الله من يشتري الجنة بحياته، ويحضر الحرب بآلاته، فإن شئت الدنيا، فقطوف دانية، وجنات عالية وعيون آنية، وإن أردت الأخرى فجهاد لا يفتر[6]، وجلاد يحز الغلاصم[7] ويبتر، هذه الجنة أوفرها الله لظلال سيوفكم... نستعين بالله وملائكته، وبكم على الكافرين"[8].

لم يقتصر تحريض الأمير يوسف بن تاشفين على الجهاد على علماء الأندلس، بل قام بعض العلماء الأندلسيين بواجبهم في تحريض الحكام حتى وهم خارجها؛ فقد أرسل الإمام أبو بكر الطُّرطُوشِيّ رسالة من محل إقامته الدائم في الإسكندرية إلى الأمير يوسف بن تاشفين يحثه فيها على التصدي لأعداء الإسلام في الأندلس بعد أن تكالبوا على ديار المسلمين فيقول: "فجهاد الكفار فرض عليك، فيما يليك من ثغور بلاد الأندلس، لأنك أقرب الملوك إليها، وعندك الكُراعُ[9]

---

[1] المظلوم. ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص613 .

[2] هو النفس الضعيف الساكن، م.ن، ج2، ص30 .

[3] باطل وهالك ومضمحل، م.ن، ج10، ص147 .

[4] ابن بسام، ق2، مج2، ص655 ؛ ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص35.

[5] هو الحافظ محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجد الفهري يكنى أبا بكر، من سكان إشْبِيْلِيَة، برع في الفقه والنتهت إليه الرياسة في الفتيا، وبرع في الأدب، وكان فصيحاً مفوهاً، مشاركاً في أبواب من العلم واشتهر بتدريس علم الحديث وأجاز رواية الحديث للكثير من علماء الأندلس، وقال عنه ابن الأبار: " حافظ المغرب والأندلس لمذهب مالك غير منازع، لا يدانيه أحد ولا يجاريه في ذلك، أخذ عنه جملة علماء المغرب والأندلس "، وله مكانة كبيرة عند حكام عصره، فقد كان يوسف بن عبد المؤمن ينزل له عن فرسه اذ خرج للقائه، توفي بإشْبِيْلِيَة عام (586هـ= 1190م) ينظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2ص64؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج1، ص343؛ ابن عماد، شذرات الذهب، ج4، ص286.

[6] يضعف وينكسر، والسكون بعد الحدة، واللين بعد الشدة. الرازي . مختار الصحاح، ج5، ص43 .

[7] الغلصم، رأس الحلقوم. ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص441.

[8] ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص47.

[9] ضم الكاف اسم يجمع الخيل والسلاح . ابن منظور، لسان العرب ج8، ص306.

والسلاحُ، ولَأْمةُ[1]الحربِ وآلتُها، وجيوشُ المسلمين، وحماةُ البيضةِ، طائعين لك، وكذلك كل من بنواحيك وجنبات أعمالك من المجاهدين والمقاتلين أولي البطش والقوة"[2] ثم يبدأ الطُّرطُوشِيّ بحثِّ الأمير على أن يسلك سبيل المجاهدين الأوائل الذين فتحوا بلاد الأندلس، كما ويؤكد الطُّرطُوشِيّ ثقل حمل الأمانة الملقاة على عاتقه فالعالم الإسلامي ينظر إليه نظرة إعجاب، وأخبار الأندلس تصلهم بتتابع، ومن الأخبار التي وصلتهم أن "العلماء والفقهاء، وحملة الدين والعباد والزهاد، والمنقطعين إلى الله تعالى، يدعون الله سبحانه في نصرك وتأييدك والفتح على يديك"[3].

ولما سقطت ميورقة[4] بيد النصارى (508هـ= 1112م) قام الفقيه ابن عطية[5] بمخاطبة أمير المسلمين علي بن يوسف برسالة تضمنتها قصيدة شعرية، حيث يأخذ الفقيه بتصوير عناصر المأساة التي لحقت بالمسلمين، ويشحن عباراته بمأساة الدين، وهذا من أجل قرع الضمائر لينهضوا لنصرة الدين ورفع الظلم الواقع على المسلمين، فيقول الفقيه: "وآحَرَّ قَلْبَاهُ أَمْرُ مَيُورْقَةَ – رَأَبَ اللهُ بصَرْفِهَا– صَدَعَ[6] الجزيرة، وجَبَر بَجْبرها من جَنَاحِ الإسلامِ كسيرهُ[7]... فَيا للهِ لِمَا كَانَ فيها مِنْ إعلانِ تَوحيدٍ قد عادَ هَمْسا... وبارقةِ كُفْرٍ طَلَعَتْ شمْساً، وصباحِ شَرْعٍ أَظْلَمَ بديباجي الشِّرْكِ وأَمْسَى...، ولإخْوَةٍ عفَّرَ منهمُ القَتْلُ سواعدَ وجباها، ومزَّقَهُمْ السَّيْفُ كُلَّ مُمزَّق، فللَّهِ أرحامٌ هناكَ تُشَقَّق، رحمهمُ اللهُ ماتوا كراماً، ولقَّاهُم نَضْرَةً وسروراً وسلاماً "[8].

وبعد هذه الرسالة القصيرة نظم الفقيه قصيدة شعرية داعياً إلى النفير والجهاد، مبيناً صفات الشجاعة والتدين وحب الجهاد عند الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، وتكشف القصيدة عن حالة الأمل عند أهل مَيُورْقَة في استرجاع مدينتهم الإسلامية على يد الأمير فيقول:

ونَحْوَ أميرِ المسلمينَ تَطَامَحَتْ نَواظرُ آمالٍ وأيْدي رَغائِبِ[9]

---

[1] الدرع وقيل السلاح ولأمة الحرب أداتها، وقيل السيف، وقيل الدرع لأنها تلائم الجسد وتلازمه .ابن منظور، لسان العرب ج12، ص532 .

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص250؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص58؛ الشيال، أبو بكر الطُّرطُوشِيّ، ص121.

[3] الشيال، أبو بكر الطرطوشي، ص122.

[4] هي جزيرة في البحر المتوسط تقع شرق الأندلس، يحدها شرقاً جزيرة يقال لها منورقة، وغربها جزيرة يابسة، وميورقة أم هاتين الجزيرتين، وهما بنتاها، وطولها من الغرب للشرق سبعون ميلاً، وعرضها خمسون ميلاً، فتحت عام(290هـ = 902م) وكانت قاعدة مُلك مجاهد العامري زمن الطوائف ثم أصبحت تخضع لسيادة المرابطين. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص246؛ الحميري، الروض المعطار، ص188.

[5] هو الفقيه عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية، من سكان غَرْنَاطَة، من الفقهاء الحفاظ وأهل الحديث والتفسير والأدب، له كتاب الوجيز في التفسير، استقضي لمدينة المَرِيَّة، وله كتاب الوجيز في التفسير، توفي في مَيُورْقَة(514 هـ= 1218م).
الأصفهاني، خريدة القصر، ج2ص529؛ النباهي، المرقبة العليا، ص109.

[6] الصَّدْع، الشق ومنه قوله تعالى " والأرض ذات الصدع ". الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص150.

[7] المكسورة. ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص140.

[8] ابن خاقان، قلائد العقيان، ج3، ص667.

[9] وهي جمع رغيبة وهي العطاء الكثير. ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص422.

من النَّاسِ تَسْتَدْعى حَفيظةَ عَدْ لِهِ ... لِصَدْمَةِ خَطْبٍ في مَيُورَقَ ناصبِ[1]

لِقَتْلٍ وسَبْيٍ واصْطلام[2] شَريعةٍ ... لقدْ عَظُمتْ في القوم سُوْءُ المصائبِ
ألَيسَ جَديراً أنْ يُشيعَ ذكْرُهُمْ ... بأمَّةِ قَلْبٍ في المدامعِ ذائبِ؟
لنا اللهُ والمَلْكُ الذي يُرتجى بهِ ... من الزَّمنِ المرتابِ رَجْعَةُ تَائبِ
هو الغَوْثُ فَلْيَعْطِفْ عَلَيْنا بنَظْرَةٍ ... منَ الحَزْمِ تَحْثوا في وجوهِ المضاربِ
عَهِدناهُ يفدي الخَطْبَ قَبْلَ نُزولِهِ ... ويَلْبسُ وقتَ السِّلْمِ درعَ المحُاربِ
ويغزُو فلا شيءٌ يقومُ لِعزمِهِ ... ولوْ أنه يَرْمي بهِ في الكواكبِ[3]

وقد كانت استجابة أمير المسلمين لهذا الخطب سريعة، فأوصى بتعمير الأسطول، ووكل أمره إلى القائد محمد بن ميمون، ليطرد النصارى من مَيُورْقَة وليحمى الشواطئ الإسلامية في الأندلس[4]، وبالفعل تحرك الأسطول الإسلامي نحو مَيُورْقَة فلما سمع النصارى بهذه التحركات بدأت قواتهم في الحال بالانسحاب والفرار، فوجد القائد محمد بن ميمون مَيُورْقَة مدمرة فشرع في تعميرها وأعاد إليها الفارين من سكانها وأمن أهلها[5].

وحينما قام النصارى بمحاصرة مدينة سَرَقُسْطَة عام (512هـ= 1118م) أرسل الفقيه ثابت بن عبد الله[6] رسالة إلى الأمير علي بن يوسف يدعوه إلى سرعة إنقاذ سَرَقُسْطَة التي " قد أشفرفت على شفى الهلاك، طالما عمرت بالإيمان، وازدهرت بإقامة الصلوات وتلاوة القرآن، ترجع مراتع للصلبان، ومشاهد ذميمة لعبدة الأوثان، ويا ويلاه على مسجد جامعها المكرم، وقد كان مأنوساً بتلاوة القرآن المعظم، تطؤه الكفرة الفساق بذميم أقدامها، ويؤملون أن يدنسوه بقبيح آثامها، ويعمروه بعبادة أصنامها، ويتخذوه معاطن لخنازيرها، ومواطن لخماراتها،... ثم يا حسرتاه على نسوة مكنونات عذارى، يُعدن في أوثاق الأسارى، وعلى رجالٍ أصبحوا حيارى، بل هم سكارى وما هم بسكارى، ولكن الكرب الذي دهمهم شديد، والضر الذي مسهم عظيم جهيد، وعلى صبية

---

[1] من النّصَب وهو الإعياء الشديد والتعب وهي مأخوذ ة من العناء. ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص140.

[2] استئصال. م.ن، ج12، ص340 .

[3] ابن خاقان، قلائد العقيان، ج3، ص668

[4] ابن القطان، نظم الجمان، ص20 ؛ ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج4، ص62.

[5] الصلابي، الجوهر الثمين، ص197.

[6] هو الفقيه ثابت بن عبد الله بن ثابت العوفي، يكنى أبا الحسن، وكان من أهل العلم والعمل بارعاً في الفقه، ضليعاً في الأحكام ، ولي قضاء سَرَقُسْطَة وخرج عنها حين تغلب النصارى عليها فاستوطن قُرْطُبَة، (ت:514هـ =1120 م). ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص102.

أطفال قد نشئوا في جحور الإيمان، يصيرون في عبيد الأوثان أهل الكفر وأصحاب الشيطان"[1] وهو في هذه الرسالة يثير نخوة الأمير الدينية ويحرك غيرته الإسلامية من خلال عرض مظاهر لحياة الذل والاستكانة إذا ما سقطت بيد النصارى"، ثم يدعوه دعوة صريحة للجهاد "فإلى الله بك أشتكي ثم رسوله المصطفى ثم ولي عهده أمير المسلمين المرتضى، حين ابتعثك بأجناده وأمدك بالجم الغفير من أعداده، نادباً لك إلى مقارعة العدو المحاصر لها وجهاده، والذب عن أوليائه المعتصمين بحبل طاعته،... ونحن نأمل منك بحول الله أسباب النصرة بتلك العساكر التي أقر الله بهاءها"[2] ثم يحذر الأمير إذا جبن عن لقاء النصارى الذين عددهم أقل من نصف جيوش المرابطين فإن مدينة سَرَقُسْطَة بأيديهم "إنكم – يا معشر المرابطين– تبلعون بعدها ريقاً... كلا والله ليسومنكم الكفار عنها جلاء وفراراً، فسَرَقُسْطَة –حرسها الله– هي السد الذي إن فُتِقَ فُنِقَت بعده أسداد، والبلد الذي إن اسْتُبِيح لأعداء الله اسْتُبِيحَت له أقطار وبلاد"[3] ويبدأ الفقيه في استعطاف أمير المسلمين بعد التحذير عساه أن يستنهض همم الأمير ويثير نفسه فيقول "فالآن أيها الأمير الأجلّ، هذه أبواب الجنة قد فتحت... فالمنية ولا الدنية، والنار ولا العار، فأين النفوس الأبية، وأين الأنفة والحمية، وأين الهمم المرابطية... وقد ضمن تعالى لمن يجاهد في سبيله أن ينصره ولمن حامى عن دينه أن يؤيده ويظهره... ألا ترغب في رضوانه واشتراء جناته بمقارعة حزب شيطانه، والدفاع عن أهل إيمانه... ونحن مؤمنون، بل موقنون من إجابتكم إلى نصرتنا، وأنك لا تتأخر عن تلبية ندائنا ودعائنا... فدفاعك إنما هو في ذات الله... فالله الله اتقوه وأيدوا دينه وانصروه، قد تعين عليكم جهاد الكفار"[4]، ولما وصلت هذه الرسالة إلى الأمير علي بن يوسف بن تاشفين أجاب داعي الجهاد وصرخات أهل سَرَقُسْطَة واستنجادهم فأصدر أمراً إلى قائده أبي تميم طاهر[5] لإنقاذها إلا أنه هزم أمام جيش النصارى[6].

إن تكرار مثل هذه الرسائل إلى أمير المسلمين دلالة على أن علماء الأندلس لمسوا منهم إخلاصاً في الجهاد، فأصبح أمير المسلمين لديهم راعياً للإسلام وأهله، وحامياً لأرض المسلمين

---

[1] مؤنس، "الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة(512هـ = 1118) مع أربع وثائق جديدة"، مجلة كلية الاداب، (ع2، مج1949،2م) ص133

[2] مؤنس، الثغر الأعلى، ص133.

[3] ر. ن، ص135.

[4] ر. ن، ص136.

[5] تميم بن يوسف بن تاشفين، تولى حكم بلاد المغرب لكنه عزل عنها، وولي مدينة غرناطة، وفي عام (502هـ= 1109م) حاصر حصن أُقْلِيش وكان فيه عدد كبير من النصارى، فأرسل ألفونسو السادس قوات كبيرة لنجدة المحاصَرِين، فجبن تميم عن مواجهة هذا الجيش، غير أن القائد محمد بن عائشة شجعه على الثبات وهون عليه حجم النصارى، فدخل المعركة وانتصر على النصارى انتصاراً ساحقاً، وفي عام (511هـ = 1116م) تولى حكم شرق الأندلس كلها، وفي سنة (515هـ =1121م) ولاه أخوه على حكم بلاد الأندلس كلها، وبقي حاكماً عليها حتى وافته المنية عام(520هـ= 1126م). ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص82–92؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص62–68.

[6] ابن خاقان، قلائد العِقيان، ج3، ص677.

ورحمة يحيي غيثها ربوع الشريعة"[1]، ولقد شهد لقادة وزعماء المرابطين نخبة من كبار علماء الأندلس كأبي بكر بن العربي، فقال عنهم "إنهم القائمون بدعوة الحق ونصرة الدين وحماة المسلمين الذائدون عنهم والمجاهدون دونهم"[2].

ولما تعرضت مدينة بَلَنْسِيَة للحصار من قبل النصارى أرسل حاكم المدينة مدافع بن مردنيش الفقيه ابن الأبار إلى أبي زكريا سلطان تونس يستصرخه لإنقاذ المدينة من خطر النصارى، فنظم الفقيه قصيدة تحرضه على الجهاد، وأثرت في أبي زكريا كثيراً، وأعد أسطوله وتحرك لإنقاذ المدينة، لكنه وصل بعد سقوطها، ومما قاله في هذه القصيدة:[3]

أدرك بِخَيْلِكَ خَيْلِ اللَّهِ أندلُسَاً ... إنَّ السَّبِيلَ إلَى مَنْجاتِها دَرَسَا[4]

وَهَبْ لهَا مِنْ عَزيزِ النَّصْرِ مَا الْتَمَسَتْ ... فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسا

تَقَاسَمَ الرومُ لا نَالَتْ مَقَاسِمُهُم ... إلا عَقَائِلَها المَحْجوبَةَ الأُنُسَا

مَدائِنٌ حَلَّها الإشْرَاكُ مُبْتَسِماً ... جَذْلانَ وارتَحَلَ الإيمانُ مُبْتَئِسا

يَا لِلْمَساجِدِ عَادَتْ للعِدَى بِيَعاً ... وللنِّداءِ غَدَا أَثْناءَها جَرَسا

سُرْعَانَ ما عاثَ جَيْشُ الكُفْرِ واحَرَباً ... عَيْثُ الدَّبَى في مَغَانِيهَا التي كَبَسا

يَا أَيُّها المَلِكُ المَنْصُورُ أنْتَ لَهَا ... عَلَيَاءُ تُوسِعُ أَعْداءَ الهُدَى تَعَسا

طَهِّرْ بِلادَكَ مِنْهُم إنَّهُم نَجَسٌ ... وَلا طَهَارَةَ ما لَم تَغْسِلِ النَّجَسا

وانْصُر عَبِيداً بأَقْصَى شَرْقِها شَرِقَتْ ... عُيُونُهم أدْمُعاً تهْمِي زَكاً وخَسا

واضْرِب لهَا مَوْعِداً بِالفَتْحِ تَرْقُبُهُ ... لَعَلَّ يوْمَ الأَعادِي قَدْ أَتَى وعَسَى[5]

---

[1] ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص47.

[2] م. ن، ص140.

[3] هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي البلنسي، ولد في بَلَنْسِيَة عام(595هـ =1199م) ونشأ فيها نشأته الأولى، وكان فقيهاً، أديباً، شاعراً، وذاع صيته في العلم، لهذا استدعاه حاكم بَلَنْسِيَة الموحدي وأقامه على كتابة ديوانه، ثم عينه على قضاء دانية، وبلغ ابن الأبار درجة عالية من التقدير من قبل مدافع بن مردنيش حاكم بَلَنْسِيَة، وعندما سقطت بَلَنْسِيَة هاجر ابن الأبار إلى تونس، وقد لقي عند حاكمها أبي زكريا حظوة حيث عينه كاتباً في ديوانه، وحينما مات أبو زكريا نال احترام السلطان الجديد المستنصر، لكن هذه العلاقة لم تدم، حيث كثر الواشون به، فأمر بقتله عام(685هـ = 1260م). ينظر: الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص922 .

[4] طريق مدروس، كثر مشي الناس فيه حتى ذلّلوه. الزمخشري، أساس البلاغة، ج3، ص2.

[5] الحميري، الروض المعطار53 ؛ المقري، نفح الطيب، ج6، ص207؛ المقري، أزهار الرياض، ج1، ص207 .

المبحث الثالث

دور العلماء في تحريض حكام الموحدين على الجهاد

كان نزول الموحدين، على العدوة الأندلسية، نهاية لعصر الطوائف الثاني وبداية لعهد جديد استأنفت فيه حركة الجهاد ضد النصارى، واستمر العلماء المخلصون في مساعيهم التي تدفع باتجاه تحريض الحكام على الجهاد بوسائلهم المختلفة والتي لا تختلف كثيراً عن تلك الوسائل التي استخدمها العلماء في حقبة المرابطين للأندلس.

فعندما عبر الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي إلى الأندلس عام (555هـ =1159م) ومعه جموع ضخمة من المجاهدين، ومكث زهاء شهرين يدرس شؤون الأندلس، استغل العلماء وجوده فيها، ووفدوا عليه يحرضونه على الجهاد، وممن وفد عليه خلال مدة إقامته[1]، أبن المنخّل الشلبي،[2] وقد دعا الخليفة دعوة مباشرة إلى الجهاد من خلال قصيدته التي ألقاها بين يديه وفي هذه القصيدة يشير الشلبي إلى مدى قوة الموحدين ومقدرتهم على تحقيق أهدافهم التي يسعون إليها مؤكداً أن القوة كفيلة باستباحة ممالك النصارى والتغلب عليها.

فَتحتُمْ بلادَ الشّرقِ فاعتمدُوا الغَرْبَا ... فإنّ نسيمَ النصرِ بالفتحِ قَدْ هَبَّا

أقيموا إلى ابنِ الرّيق[3] بعدَ صدورِها ... وليسَ عليكم أن تُرى ضُمّراً قُبّاَ

عليها رجالٌ كالقِداحِ[4] وإنما ... يكونون في الهيجاءِ هنديّةً قضبَا

فإنْ تبدأوا بالغربِ فالفتحُ واضحٌ ... وإنّ نجومَ الدينِ طالعةٌ غربَا

ضمانٌ عليكم أنْ تبيحوا حريمَهُ ... وأنْ تَكْسِروا فيها التماثيلَ والصُّلبَا[5]

وقد كان ابن الرنك من أكثر القادة الصليبين وطأة على المسلمين في الحقبة التي عبر فيها الخليفة عبد المؤمن إلى الأندلس[6]كان أبو بكر الشلبي مدركاً لمخططاته الصليبية؛ لذلك فقد حث الخليفة

---

[1] ابن صاحب الصلاة، المن، ج2، ص147.

[2] هو محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن المنخل، أديب من سكان شلب وكان أحد المتقدمين في الأدب والفقه، ومن الشعراء المجودين، وكان حسن الخط جيد الضبط، يشارك في علم الكلام مع صلاح الدين (ت:560هـ = 1175م). ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص28.

[3] هو ألفونسو هنريكيزAfonso Henriques (570هـ=1185م)، وقد تسميه بعض المصادر العربية ابن الرَّنك، وهو حاكم البرتغال لا يقل خطراً عن ألفونسو السادس، وألفونسو المحارب، قام بغزو القواعد الإسلامية في غربي الأندلس فاستولى على شنترين، ولشبونة، وشلب وأخذ يهدد بطليوس. كحيلة، القطوف الدواني، ص128.

[4] الأسهم. ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص556.

[5] ابن عذاري، البيان المُغْرب،ج3، ص45؛ ابن صاحب الصلاة، المن، ج2، ص152.

[6] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص272.

عبد المؤمن على التوجه غرباً لمحاربة هذا العدو، كما التقى الخليفة عبد المؤمن بن علي بوفد ضم لفيفاً من فقهاء الأندلس، حيث رحب الخليفة بهم وأكرم وِفادتهم، ثم استمع إليهم، وممن تحدث في هذا اللقاء أبو القاسم بن الحاج، الذي أخذ يحرض الخليفة على الجهاد ويصف الدمار والخراب الذي سببته الاعتداءات النصرانية المتكررة[1] ، وبدوره قام أبو بكر بن الجد وخطب خطبةً بليغةً، تحدث فيها عن خطورة السياسة النصرانية على الأندلس، ووجوب التصدي لها، كما أشار إلى ما أصاب المسلمين جراء الغارات والهجمات النصرانية التي لم تفرق بين شيخ وشاب وطفل، حتى أن الحجر والشجر لم يسلم من الاعتداء، وتركت هذه الخطبة أثراً كبيراً على الخليفة[2].

وعندما حاصر ابن مردنيش وحلفاؤه النصارى بلدة شقر وأطبقوا عليها بعث أبو بكر المخزومي[3] رسالة في استصراخ إلى عبد المؤمن بن علي ونظم قصيدة شعرية تصور الخطر الذي كان يمثله ابن مردنيش على أهل تلك البلدة، فقد أرهقهم وأباح دماءهم، وضيق الخناق عليهم، وقذف الرعب في قلوب سكانها الآمنين، ومما قاله في قصيدته:

تدارَكْ أميرَ المؤمنينَ دِماءَنا ... فإنَّك للإسلامِ والدينِ ناصرُ
وَوجّهْ إلى استنقاذِنَا بكتيبةٍ ... يَهابُ الرّدَى منها العدوُّ المحاصِرُ
تُنَفِّسَ من ضيقِ الخِناقِ بأرضِنا ... فَتُدْرَك آمالٌ وتُرعى أواصرُ
إذا ما انكفى بالخزيِ وارتَدَّ خائباً ... فمَطمحُهُ عن نيلِها متقاصرُ[4]

ولما بويع الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالخلافة أرسل أبو بكر بن المنخل الشلبي[5] إليه قصيدة هنأه فيها، ولم يغفل أن يدعوه الخليفة الجديد للتوجه إلى مدينة شلب التي تعرضت لعدوان صليبي كبير وقد جاء في هذه القصيدة إلى الدمار والخراب الذي أصاب شلب ودعا لإنقاذ أهلها حيث قال:

إنّ الأعاديَ لا تزالُ كعهدِها ... تُوري بشلبَ مغارَهَا وكفاحَها
قد غَيَّضَتْ[6] أنهارَها، وتَحَرَّقتْ ... أشجارَها، وتكفّأت[7] أقداحَها[8]

---

[1] الناصري، الاستقصا، ج2، ص119.

[2] م. ن، ج2، ص119.

[3] هو الزاهد أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان، يكنى أبا بكر، ويلقب بالزاهد لكثرة عبادته وإيثاره وطول صحبته للفقراء وكثرة أعماله الصالحة . ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء ج1، ص272؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص290 .

[4] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص269.

[5] هو الفقيه محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن المُنَخَّلْ المهري، يكنى أبا بكر، من أهل شلب، كان أديباً وشاعراً ، مع الصلاح والخير، كما كان حسن الخط جيد الضبط، (ت:560هـ = 1164م) . ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص27.

[6] قلت ونضبت .الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص203؛ ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص201.

[7] يقال كفأت الإناء، إذا كببته لتفرغ ما فيها .الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص319؛ ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص141.

[8] جمع القَدَح الذي يُشرب فيه. الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص219.

كلَفتْ بهـا أعـداؤها حتَـى لقـدْ أخـذوا عليهـا نَجْـدَها[1] وبِطاحَهـا[2]
ما ضَرّنـا أنْ غلّقوا مـا حولَهـا إن كـان سـيفُكَ بعـدَها مفتاحَهـا
فعلى سيوفِـك أن تبيدَ كُمَاتَهـا[3] وعلى جيوشِـكَ أن تـروِّحَ سـاحَهَا[4]

وقد تلقى الخليفة نفسه دعوة مشابهة من ابن حربون إذ دعاه[5] إلى الجهاد فـي الأنـدلس لإعادة سابق عهدها إليها، وإحياء انتصارات الفاتحين الأوائل للأندلس، وصد عـدوان النـصارى الذين يخربون ويدمرون معالم المدن الإسلامية في الأندلس، ومما قاله:

وإنـي لأرْجـو لِلجَزيـرةِ كَـرَّةً تُعيـدُ عليْهـا عَهْـدَها المُتَـقادِمَا !
وأنت أمـينُ اللهِ تجْبُـرُ صَـدْعَها وإنْ قـالَ قَـوْمٌ إنَّـه قَـدْ تَقَادمَـا
وتُحيي رُسُومَ التـابعينَ بأرْضِـها فها هي تَسْتَدْعيكَ غُبْراً[6] طواسماَ[7] [8]

أما أبو جعفر الوقشي فقد نظم قصيدة شعرية في مدح الخليفة يوسف بـن عبـد المـؤمن (580هـ =1184م)، وقد خصص منها جزءاً لحثه على الجهاد في الأندلس، وفي هـذه القـصيدة يأمل الوقشي أن يمتد به العمر لرؤية هزيمة النصارى وهم ما بين جريح وقتيل وأسير، كما يأمـل بفك سراح الأسرى والأسيرات الذين وقعوا في أيدي النصارى، وأن تعاد أرض الأندلس كلها، ومما قاله في هذه القصيدة :

ألا ليتَ شعري هل يُمَدُّ ليَ المـدا[9] فأُبْـصرَ شـملَ المـشركين طَرِيْـدا
وهل بَعدُ يُقضَى بالنصّارى بنـصرةٍ تُغـادِرهُم للمرهَفـاتِ[10] حَـصيدَا
ويغزو أبو يعقوب في شنتَ ياقبٍ[11] يُعيـدُ عَميـدَ الكـافرين عَميـدَا

---

[1] النَّـجد هو ما ارتفع من الأرض والجمع نِـجاد ونجود. الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص269.

[2] البسط من الأرض، ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص412.

[3] جمع الكَـميَّ، وهو الشجاع المتغطي في سلاحه، الساتر نفسه بالدروع. ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص232.

[4] ابن صاحب الصلاة، المن، ج2، ص245.

[5] هو أحمد بن عبد الله بن حربون الشلبي، أحد كبار الشعراء في عصر المرابطين والموحدين للأندلس . ابن الأبار، التكملة لكتاب الـصلة ج2، ص284؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص201.

[6] الغُـبرة لون الأغْـبر وهو شبيه بالغبار بسبب الهم والحزن ومنه قوله تعالى " وجوه يومئذٍ عليها غبرة ". ابن منظور، لـسان العـرب، ج1، ص196.

[7] الطوس هو الحسن والتزين يقال، تطوَّستِ الجارية، أي تزينت. ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص127.

[8] ابن صاحب الصلاة، المن، ج2، ص385؛ المقري، نفح الطيب، ج6، ص220.

[9] الدهر. ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص273.

[10] الرهف هو الرقة واللطف، ورجلٌ مرهف أي رقيق وأرهفت سيفي أي رققته . ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص128.

[11] مدينة شنت ياقوب، سميت بهذا الإسم نسبة لشنت ياقب أحد عباد النصارى الذي أصبح قبره مزاراً ، وكان النصارى يقدسونه، وقامـت حول المزار مدينة شنت ياقب، وكان النصارى يدعون أنهم يرونه في رؤياهم يحثهم على قتال المسلمين، ويدعون أنـه كـان يظهـر فـي المعارك يقاتل معهم، ويعده النصارى في الأندلس أنه حاميهم، والمدافع عنهم في الحرب، وهو قوي كالرعد. فون، الـشعر العربـي فـي أسبانيا، ترجمة الطاهر مكي، ج1، ص130؛ السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك النصرانية، ص32.

يُغادِرُهمْ جرحـــىَ وقتلـــى مبرّحـــاً ركوعاً علـــى وجـــهِ الفـــلا وسُـــجُودَا
وَيْـــفتَـــكَّ مِنْ أيدي الطغاةِ نَواعِمـــاً تَبدَّلْنَ من نَظْمِ الحجـــولِ[1] قُـــيودَا[2]

وحينما بويع للخليفة يعقوب بن يوسف (580هـ=1183م) كتب الفقيه ابن مغاور رسـالة عن أهل شَاطِبَة بالبيعة له، واحتوى كتاب المبايعة على عبارات تحفز الخليفة الجديد علـى قتـال النصارى وغزوهم في عقر دارهم، ومما جاء في هذا الكتاب على لسان أهل شَـاطِبَة: "والـدعاءُ لِسّـيِّـدِنَا ومَوْلانَا أميرِ المُؤمِنِينَ بِغَزَواتٍ مُؤيدات يُخَلِّدُ في الدهورِ والأعْصَارِ شَـارَاتِهَا الرَّائِقَـةَ وثَمَرَهَا... ويَجُوسُ فيها ديارَ الأعَادِي أرْضَاً أَرْضَاً وَإِنْ قَطَعَ دُونَهَا مَهَامِه غُبْراً ولُجَجـاً خُـضْراً خُضْراً خَاضَهَا وعَبَرَهَا"[3].

ولقد احتفظ المقري برسالة لأبي بحر صفوان بن إدريس[4] أحد العلماء الذين أرسلوا رسالة خاطب بها الأمير عبد الرحمن بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي يستنفره ويدعوه إلى إنقاذ مـدن الأندلس وقد بدأها بمقدمة يمدح فيها الأمير، ثم أخذ يصف له المدن التي تستنجد به فقال على لسان مدينة إشْبِـيْـلِـيَة: "أنا مصر الأندلس والنيل نهري... إن تجاريتم في ذلك الـشرف فحـسبي أن أفيض في ذكر الشرف"[5] وفي الرسالة ذاتها يتحدث على لسان غَرْنَاطَة ويذكر أزهارها ومياهها وجداولها وبطاحها، وتحدث أيضاً على لسان مالقة وجمال طبيعتها، ثم عن مدينة بَلَنْسِيَة ومساجدها، ثم يدعو أبو بحر بن صفوان لبَلَنْسِيَة قائلاً: " الله أسأل أن يوقد من توفيقكِ ما خمـد، ويـسيل مـن تسديدكِ ما جمد، ولا يطيل في الجهالة الأمد "[6] ثم يدعو الأمير لاستنقاذها- على لـسان مدينـة بَلَنْسِيَة- من أيدي النصارى الذين حولوا ديارها إلى نار توقد وغيروا معالمها الإسلامية " [7].
ومن صور الحث على الجهاد ما جاء على لـسان أبـي العبـاس بـن سـيد المـالقي[8] قولـه:

---

[1] الحَجْل هو مشي المقيد وحجل الرجل إذا مشى على رجل واحدة. ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص144.

[2] المقري، نفح الطيب، ج3، ص384.

[3] ابن شريفة، ابن مغاور الشاطبي، ص134.

[4] هو صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى التجيبي، عالم محدث، وكان من جلـة الأدبـاء البلغـاء ومهـرة الكتـاب الـشعراء ، من أنبه علماء الأندلس في عصره، صنف كتاب زاد المسافر، ناقدانافذ ، مفوه بليغ، ممن جمع له التقدم في النظم والنثر، ولـه رسائل بديعة، وقصائد جليلة، وكان من أهل الفضل والدين (ت: 598هـ= 1202م). ينظر، ابن سعيد، المُغرِب في حلـى المَغْـرِب، ج2، ص260؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص224.

[5] نفح الطيب، ج1، ص173-171.

[6] م. ن، ج1، ص175.

[7] م. ن، ج1، ص175.

[8] هو أحمد بن حسن بن سيد الجراوي المالقي، درس النحو والأدب كثيراً ، وكان شاعراً بليغاً وكاتباً ماهراً ، وكان مولده في مالقة، وانتقل فيما بعد إلى قُرْطُبَة، واشتغل في الدواوين الأندلسية. المقري، نفح الطيب ، ج5، ص166 .

إِلــيكُم أميــرَ المــؤمنين توجَّهَــتْ بنا الرَّغبــاتُ الجَــمُّ يحتــثُّها جُهْــدُ
فــقد عضَّــهم نابٌ من الكُفْرِ معْضِلٌ وكــانُوا بكــم دَهْراً وأنيــابُهُ دُرْدُ[1]
بكــم يَعــصِمُ اللهُ العلــيُّ جمــيعَهم
بكم تكثرُ الآمالُ بــل يكثــرُ الرِّفْــدُ[2]
بكم يعتلي الإسْلامُ شــرقاً ومغْرِبــاً فللــهِ فيهــا دائمــاً، ولــك الحمــدُ[3]

وقد كان لهذه الدعوات المتتالية، التي أطلقها علماء الأندلس لجهاد الأعداء، وقع كبير على الحكام، فقد استثارت حماستهم، وحفَّزت هممهم، وألهبت مشاعرهم وجعلتهم يسترخصون المــوت ويقذفون بأنفسهم مجاهدين في سبيل الله[4].

وهكذا يلاحظ أنه مع تعاظم الخطر الصليبي في الأندلس وتعاقب الهــزائم اتجــه العلمــاء لاستخدام الرسائل الموجهة إلى الحكام الأندلسيين، تصف ما حل بالأمة الإسلامية في الأندلس مــن ذل وهوان على يد الأعداء، وتحث على الجهاد وإنقاذ المدن، وتستنفر الجهود لمواجهــة الأخطــار النصرانية، كما سجل العلماء، في رسائلهم جوانب الصراع العسكري الحربــي كوصــف القتــال والمعارك ونتائجها، ومجدوا بطولات المجاهدين وتضحياتهم، وأثنوا على جهــودهم وشــجاعتهم، وقرعوا المتخاذلين والمنهزمين، كما تضمنت رسائلهم الثبات والصبر في ســاحة الجهــاد وإثــارة الحمية والشجاعة.

---

[1] الدَّرَد، ذهاب الأسنان، ورجل أدْرَد أي ليس في فمه سن. الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص85؛ ابن منظــور، لــسان العــرب، ج3، ص166.

[2] العطايا والإعانة والعون. الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص105؛ ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص182.

[3] ابن صاحب الصلاة، المن بالأمانة، ج2، ص125.

[4] الصلابي، الجوهر الثمين، ص197.

الفصل الرابع

دور العلماء في تحريــض المجتمع الأندلسي على الجهاد

المبحث الأول: التحريض قبيل المعـــــــارك

المبحث الثاني : التحريض أثناء المعـــــــارك

المبحث الثالث: التحريض عقب الانتصـــــارات

المبحث الرابع: التحريض عقب سقوط الشهداء

المبحث الخامس: التحريض عقب سقوط المدن

لقد لعب الفقهاء في الأندلس دوراً كبيراً في تحريض المجتمع على الجهاد لما لهم من نفوذ ديني واسع، [1]، كما كان الفقهاء أكثر الناس فهماً وإدراكاً لمعنى الجهاد ولأحكامه في الإسلام، ولأهميته في إعلاء كلمة الله، وفي درء الخطر عن دار الإسلام، وفي فضل المجاهدين على القاعدين، لهذا كانوا يرغّبون الناس في الجهاد عن طريق الإعلام بعظيم ثوابه وجزيل أجره، ويؤلفون الكتب في فضله، ويحثون الناس على التجهيز إلى الجهاد في حالة الاستنفار[2].

أما أكثر الوسائل التي وظفها الفقهاء للتحريض على الجهاد فهي الخطب الجهادية[3]، ومن المؤسف أن ما وصل إلينا من خطب تلك الحقبة التاريخية نادر جداً، ولعل السبب في ذلك هو تعذر تدوينها بخلاف الرسائل وهي الوسيلة الثالثة التي استخدمها العلماء لتحريض الحكام على الجهاد وكانت تحفظ في ديوان خاص بها، مما مكن المؤرخين من الإطلاع عليها وتدوينها في مؤلفاتهم.

ولم يدخر العلماء أي فرصة أو مناسبة للقول إلا وكانوا يستحثون المجتمع وقادته على قطع شأفة الغزاة، واستنقاذ البلاد المغتصبة من أيديهم وتخليص أهلها مما ألحقوه بأرض المسلمين وعقيدتهم وتراثهم[4]، وكانت المساجد هي الميدان الأمثل للخطابات التحريضية على الجهاد وكذلك الحلقات العلمية[5].

ولقد بدا للباحث أن دعوة العلماء العاملين جاءت عشية الأخطار الخارجية التي هددت الوجود الإسلامي في الأندلس محاولين توظيف مناسبات عديدة للقيام بدورهم التحريضي على الجهاد ولعل أهم هذه المناسبات

أ- قبيل المعارك

ب- أثناء المعارك.

ت- عقب سقوط المدن.

ث-عقب الانتصارات العسكرية.

ج- عقب سقوط الشهداء.

ومن الجدير ذكره أن القصائد الشعرية والرسائل التي كانت تحض على جهاد النصارى بين الفينة والأخرى كانت تقرأ في المساجد الكبيرة ويوم الجُمَعِ أمام حشد كبير من الناس لتؤدي عملها المطلوب وهو إثارة الحمية الإسلامية[6].

---

[1] الركابي، في الأدب الأندلسي، ص47.

[2] الكبيسي، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس (92-422هـ = 711- 1031م)، "رسالة دكتوراه غير منشورة" ص113،114.

[3] الكيلاني " الخطر الصليبي "، مجلة مؤتة، (ع2، مج10 سنة 1995)، ص8.

[4] ر.ن، ص8.

[5] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص255.

[6] ابن الخطيب، الإحاطة، ص44 ؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص163.

المبحث الأول

التحريض قبيل المعارك

جرت العادة، حسب التقاليد والعرف العسكري، تحريض الجنود على القتال قبل نشوب المعارك لشحن نفوس المجاهدين بمعاني تثير الحماسة والإقدام، وتقوي الهمم لمجابهة الأعداء[1]، ويذكر الحميري أن الفقهاء كان لهم دور ملحوظ في وعظ المجاهدين قبيل المعارك فكانوا " يعظون الناس ويحضونهم على الصبر، ويحذرونهم الفرار"[2]، وقد كان الحكام يطلبون من الفقهاء والخطباء تحريض الجنود على الجهاد وصدق النية، فظهر من الجنود من" صدق النية والحرص على الجهاد وطلب الشهادة ما سُر به"[3]، ويذكر ابن عذاري أن القائد العام لمعركة الأرك[4] (591هـ = 1195) قام "خطيباً في الجنود وحرض على الجهاد وفضله ومكانته وقدره، وأخذ الناس مواقعهم وقد تنورت بصائرهم، وخلصت لله ضمائرهم وسرائرهم، وقويت أنفسهم وعزائمهم، وتضاعفت بجدهم وإقدامهم"[5]، ويفهم مما سبق أن ظاهرة التحريض قبل بداية المعارك لها نتائج كبيرة في الإعداد المعنوي للمجاهدين، الأمر الذي سيؤثر بلا شك على سير مجرى المعارك وبالتالي على نتائجها.

وكان للشعراء دور مشهود في التحريض على الصبر والثبات والتحذير من مغبة الفرار[6]، لذا نظم عبد الجليل بن وهبون قصيدة قبيل المعركة هدد فيها الجيش النصراني جاء فيها قوله :

أتنكرُ العجمُ أن العربَ سادتُها ... وتشهدُ البيضُ والخطيةُ السمرُ

فيقبلوها ألوفاً من أسودِ وَغىً ... تزكو على السبكِ لا جُبْنٌ ولا خَوَرُ

وليرقُبُوا من أميرِ المسلمينَ ومن ... مؤيَّدِ الدينِ ليلاً مالهُ سَحَرُ

وليس ما غيَّروا إلا لأنفسِهِم ... كأنَّما نُبِّهوَا إذ نَامَت الغيرُ[7]

وقام الشاعر ابن الزقاق[8] يحرض المجاهدين قبيل المعركة على البسالة قائلاً

وارجمْ شياطينَ الوغى بكواكبٍ ... تمحو الضلالَ إذا التقى الجمعانِ

---

[1] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج2، ص524

[2] الروض المعطار، ص90.

[3] المراكشي، المعجب، ج1، ص171.

[4] هو أبو يحيى بن أبي حفص، وهو كبير وزراء الخليفة المنصور، ويمتاز بالشجاعة والفطنة وصفاء الذهن، شهد الكثير من المعارك ضد النصارى في الأندلس. أبو خليل، معركة الأرك، ص55، 56.

[5] البيان المغرب ج3، ص194.

[6] المقري، نفح الطيب، ج6، ص98

[7] ابن بسام، الذخيرة، ق4، مج1، ص85 .

[8] هو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمود بن الزقاق، كان أبوه فقيراً جداً ، ولام ابنه لطول سهره وكثرة استخدامه الزيت الذي يشعل المصباح، لكن أحمد استمر على الجد في طلب العلم حتى أصبح شاعراً وبرع في الأدب، فكان يعطي أباه الأموال ويقول، اشترِ به ثمناً للزيت. ينظر: العسقلاني، الدرر الكامنة، ج5، ص102؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص289

رايـاتُـــهُ والنـــصرُ معقـــودٌ بهـــا كقلوبِ أهـــلِ الـــشركِ فـــي الخفقـــانِ[1]

وكان أبو القاسم الأشعري[2] كثير التحريض على القتال "وتحريك القبائل إلى الجهاد... بما يشحذ العزائم، ويوقظ النائم"[3] .

ولما اصطف جيش المسلمين للتوجه إلى المعركة وقف العالم ابن سيد الأشـبيلي[4] بثقـة عارمة مبرزاً قوة المجاهدين مهدداً مصير الأعداء ودعاهم إلى طلب السلم حقناً لدمائهم من سيوف المجاهدين ومما قاله:

أبلغْ ذوي الـشِّرْكِ والإلْحـادِ قاطبـةً أنْ ما لَهُـم مـن جُنـودِ الله مـن قِبَـلِ
أتـاكمُ الجـيشُ محفوفـاً جوانُبـه بالمَشْرَفـيّةِ[5] والخطّـيَةِ[6] الذُّبـل[7]
رِيعُوا[8] إلى السّلْمِ والإسْـلام ويحكُـمُ لا تَحـسَبُوا دَولَـةَ التوحيـدِ كالـدّولِ
فإن أَتيـتُم حقّـنـتُـمْ مِـن دِمَـائِكُمُ وإن أبيـتُمْ فَخَـافُوا فَجْـأة الأجَـلِ[9]

وقبيل معركة السبيكة[10](557هـ = 1162م)، جمع الفقيه أبو يعقوب[11] قـادة الجـيش، ووعظهم مذكراً بما لهم من الأجر عند الله تعالى إذا صدقوا في جهـاد النـصارى[12] ، ولأهميـة التحريض على الجهاد قبيل المعارك أمر الخليفة يوسف بن يعقوب بجمع الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على الجهاد، وإلقائها على الجند[13] وحينما كانت كتائب المجاهدين تتقدم نحو الأعـداء سنة (560هـ= 1165م) بدأ ابن حربون[14] في بناء الثقة لدى الجنود مـن خـلال نـشر ثقافـة

---

[1] ديوان ابن الزقاق ص266.

[2] هو أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي عامر يحيى بن ربيع الأشعري، قاضي الجماعة وكان على سنن سلفه مـن التفـنن فـي المعـارف والاشتداد على أهل العتو والفساد. النباهي، المرقبة العليا، ص125.

[3] م . ن، ص125.

[4] هو أحمد بن سيد الأشبيلي، وهو غير ابن سيد المالقي، درس العربية والآداب واللغات، وكان قائماً عليها متحققاً بصناعتها ، شاعراً مـن أشهر شعراء إشْبِـيْـلِـيَة، (ت:577هـ = 1182م) . ينظر: المراكشي، المعجب ، ص217؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص17 .

[5] سيوف منسوبة إلى مشارف بعض القرى في أرض العرب .الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص141؛ ابن منظور، لسان العـرب، ج9، ص174.

[6] الرماح التي تحمل من الهند وتكون عليها خط. ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص92.

[7] العاج الذي تصنع منه الأسلحة. الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص92.

[8] ارجعوا وعودوا. الرازي، ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص138.

[9] ابن صاحب الصلاة، المن، ج2، ص159.

[10] وقعت سنة (557هـ= 1161م). ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص258.

[11] هو الفقيه أبو يعقوب يوسف بن سليمان. ابن صاحب الصلاة، المن، ج2، ص197.

[12] ابن صاحب الصلاة، المن، ج2، ص197.

[13] المراكشي، المعجب، ص228.

[14] هو أحمد بن عبد الله بن حربون، يكنى أباعمر، ، شاعر وأديب وكاتب. ينظر ابن الأبار، الحلة السيراء، ابـن الأبـار، ج2، ص200؛ المراكشي، المعجب، ص295.

الانتصار الحتمي تحقيقاً لوعد الله؛ فهو يوجه تحذيراً للنصارى من الجيش الإسلامي القوي، ومما قاله:

فالآن قُلْ لذوي الإلحاد شأنكم ... فَمَا لَكُم دُونَ هذا الأمر مُلتحدُ
وبشر العُجْم أن العُرْب قَد دلفت ... على العِرابِ[1] وأن الملتَقى صَدَدُ[2]

ومما قاله ابن حربون في تجهيزات جيش المسلمين الزاحف نحو النصارى سنة (560هـ= 1165م)

دلْفتُم[3] بالأسودِ إلى بلادٍ ... ثوت[4] حِجَجَاً[5] تعيثُ بها الذّئابُ
أشبَّهها غداةَ حَلَلتُمُوها ... بلادَ الجدْبِ حلَّ بها السَّحابُ
فلولاكُمْ لقَدْ أضْحَتْ مواتا ... يُسَنُّ على تَرائيها[6] التُّرابُ
فقد ألقى عَصى العِمرانِ فيها ... وقوَّضَ رَحْلَه عنْها الخَرابُ[7]

وهذا العالم الذي عاصر تردي الأوضاع في الأندلس يقوم بتحريض المجاهدين على النصارى ويصفهم بالذئاب التي تعيث فساداً وترهق أهلها، وبعبورهم سوف تزاح الغمة وتكشف الكربة وينتشر العمران بعد أن كادت المعالم الإسلامية تدفن تحت التراب.

وكان العالم ابن حربون ضمن الجيوش الإسلامية المتقدمة نحو النصارى[8] ويزود هذا العالم الجنود بشحنة معنوية من خلال وصف للجيش الإسلامي، فهو يضم فرساناً مجربين، يمتطون صهوات خيول أصيلة، فيقول:

ها إنها كالدَّبَا[9] تَنْسَاعُ نَحوَكُمُ ... فِيها الحِفَاظُ وفيها الصبرُ والجلدُ
ترى الكماةَ التي ما شأنُها خورٌ ... على الجِيَادِ التي قد زَانَها الجَيَدُ
شيبٌ ومُرْدٌ ينادي البأسُ إنْ رَكِبُوا ... أيْنَ الغواةُ الأُوْلَى قد طال ما بَرَدُوا[10]

ومن الوسائل، التي تهدف إلى تقوية روح الجنود المعنوية قبل خوض غمار الحرب، إذاعة بعض الأخبار التي تبشر بالنصر، ومن أمثلة ذلك قصة الرؤيا التي رآها الفقيه الناسك أحمد بن

---

[1] الخيل. الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص177.
[2] ابن صاحب الصلاة، المن، ج2، ص255.
[3] مشيتم رويداً، يقال تدلفت الكتيبة نحو الكتيبة في الحرب أي تقدمت الكتيبة رويداً. ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص106.
[4] من ثوى بالمكان أي أقاموا به. الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص38.
[5] سنوات. ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص230.
[6] التَّرْئِيَة هو الرجل المختال. ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص298.
[7] ابن صاحب الصلاة، المن، ج2، ص262.
[8] ابن صاحب الصلاة ، المن، ج2، ص253.
[9] الجراد قبل أن يطير. ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص248.
[10] ابن صاحب الصلاة، المن، ج2، ص253.

رميلة[1]، إذ رأى في النوم قبيل موقعة الزلاقة، أن النبي عليه الصلاة والسلام يبشره بالنصر والشهادة، فاستيقظ فرحاً مسروراً، ودعا وتأهب ودهن رأسه وتطيب، ولما علم المعتمد بن عباد بهذا الخبر، بعث به إلى يوسف بن تاشفين وأذاعه بين الجنود لتقوية روحهم المعنوية[2].

ويروي صاحب الروض القرطاس أن الخليفة يعقوب بن يوسف رأى في الليلة السابقة لموقعة الأرك (591هـ=1195م)، رؤية أثلجت صدره؛ إذ يقول على لسان الخليفة المنصور: "بينما أنا راكع في مصلاي، إذ غلبتني عيناي فرأيت في نومي كأن باباً قد فتح في السماء ونزل منه فارس عليّ فرس أبيض حسن الوجه والرائحة وبيده راية خضراء منشورة، قد سدت الأفق من عظمها، فسلم عليّ، فقلت له: من أنت يرحمك الله ؟ قال : ملك من السماء السابعة، جئتك لأبشرك من رب العالمين لك ولعصابتك المجاهدين الذين أتوا تحت راياتك في الشهادة راغبين ولثواب الله تعالى طالبين، فأيقنتُ بالفتح والظفر"[3] ثم قام العلماء بعد سماعهم لقصة الرؤيا بنشرها بين الجنود لرفع معنوياتهم.

---

[1] الحميري، ابن شكوال، الصلة، ج1، ص71؛ الروض المعطار، ص90.

[2] هو الفقيه أحمد بن محمد بن فرج الأنصاري، يعرف بابن رميلة، يكنى أبا العباس، من سكان قُرْطُبَة وكان معتنياً بالعلم وصحبة الشيوخ وله شعر حسن في الزهد، وكان كثير الصدقة وفعل المعروف، وهو من أهل العلم والورع والفضل والدين، واستشهد في معركة الزلاقة مقبلاً غير مدبر عام (497هـ = 1085م) .ابن شكوال، الصلة، ج1، ص71.

[3] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص225.

المبحث الثاني
التحريض أثناء المعارك

لم يكن التحريض قبيل المعركة نهاية المطاف بقدر ما كان بدايـــة، فـــالجهود التحريـــضية استمرت خلال المعارك، لكنها لم تكن على شكل خطب طويلة أو قصائد شعرية فمعظم الإشـــارات التاريخية تدل على إلى أنها كانت محدودة الكلمات، بهدف إثارة الحماسة فـــي نفـــوس المجاهـــدين فيذكر ابن بشكوال أن الكثير من الفقهاء كانوا يطوفون بين الصفوف في معركة الزلاقة يحـــضون الجنود على القتال، ويرغبونهم بالموت في سبيل الله ويشحذون عزائمهم[1]، ولأهمية التحريض كان يوسف بن تاشفين على فرس أنثى يمر بين صفوف المسلمين يحرضهم ويقوي عزيمتهم على الجهاد والصبر ويقول: "يا معشر المسلمين اصبروا لجهاد أعداء الله الكافرين، فمن رزق منكم الشهادة فله الجنة، ومن سلم فقد فاز بالأجر العظيم والغنيمة"[2]

وفي معركة طَلَبِيَرة سنة (503هـــ= 1110م) كان الفقيه أبو عبد الله بن حمدين [3] يتقـــدم صفوف المجاهدين يحرضهم على التضحية والبذل[4].

وفي معركة العقاب (609هـــ= 1212م) كان الفقيه محمد بن حسن[5] "مـــن أهـــل الثبـــات والحض على حصول الشهادة والرغبة في المجاهدة، ما دل على حسن نيته وصدق بغيته"[6] وسقط شهيداً في هذه المعركة.

وفي معركة أنيشة (565هـــ=1169م) كان الفقيه أبو سليمان الكلامي[7] يحرض المجاهدين على القتال وهو ينادي "أمن الجنة تفرون" والراية بيده، فسقط شهيداً مقبلاً غير مدبر[8]

---

[1] الصلة، ج1، ص154.

[2] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص59.

[3] قال عنه ابن بسام: " الفقيه أبو عبد الله بن حمدين هذا في وقتنا غرة الزمان الزاهرة، آية الإحسان الباهرة، أحد مـــن تقـــدم علـــى أهـــل الفضل، تقدم الاسم على الفعل، واستولى على النبل استيلاء الشمس على الظل، وله صدر واسع يسع الدهر كله، ولسان يخلق السحر" . ابن بسام، الذخيرة، ق2 مج2، ص839.

[4] ابن القطان، نظم الجمان، ص70.

[5] هو محمد بن حسن بن الأنصاري المالقي من أهل العلم، العدل، والدين والفضل روى عن كبار علماء الأندلس وكان صـــالحاً، مزهـــداً، كثير الحياء، عادلاً ؛ النباهي، المرقبة العليا ص115.

[6] م. ن، ص115.

[7] هو أبو الربيع سليمان بن سالم الحميري الكلاعي، من أهل بَلَنْسِيَة وقاضيها، كان عادلاً محبوباً كريماً، يطعم الفقراء، وينـــشط الطلبـــة، ويتحمل مؤنتهم، وكان رئيساً في الحديث، وله تصانيف في الفقه عديدة. م. ن، ص119.

[8] م. ن، ص119.

وكان الفقيه محمد بن يحيى الأشعري[1] يصول ويجول في معركة طريف "يرغب الجنود في الجهاد ويشحذ البصائر، ويدمن الأبطال ويدعو المجاهدين من الإكثار من قول حسبنا الله ونعم الوكيل وكان رابط الجأش، مجتمع القوى، خاطب دابته قائلاً " انصرف، هذا يوم الفرح يشير إلى قوله تعالى في الشهداء، (فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) [2]، وفُقِد رحمه الله في هذه المعركة شهيداً محرضاً"[3]

وفي معركة وَبْذَة[4] كان الفقيه عبد الواحد[5] يحرض الجنود على الاستبسال في القتال، ومما قاله: "قد كنتم تقولون لو كنا غزونا النصارى لجاهدنا الله (عز وجل) واجتهدنا، فلما حضرتم معهم قصرتم"[6] وكان يحرض على الجهاد تارة باللسان العربي وباللسان البربري تارة أخرى[7]، ولهذا يعد ابن عذاري أن مهمة الوعاظ والفقهاء في ساحة الوغى كانت عسيرة في وسط أجناس مختلفة ولغات مختلفة مثل العرب والبربر إذ كان عليهم أن يخاطبوهم ويعظوهم بلغاتهم ولهجاتهم لإحراز التأثير المطلوب.[8]

وفي أثناء حصار النصارى للمدن الإسلامية لم يغفل العلماء عن دورهم التحريضي وأثره على الثبات والصبر، فلقد ذكرت رواية نصرانية معاصرة للهجوم الصليبي على مدينة أُشْبُونَة[9] عام (542هـ=1147م) أن قاضي المدينة كان يحث المسلمين على التجلد والتصبر، وتقدم اثنان من القساوسة للقاضي لإرغامه على تسليم المدينة، وجرى بينهم هذا الحوار، حيث "خاطب رئيس الأساقفة قاضي لشبونة، وكان رجاله فوق السور، طالباً منه الرحيل والتخلي عن البلاد لأهلها، زاعماً بأن المسلمين كانوا قد استولوا على المدينة عن طريق الخداع، فأجابه القاضي قائلاً: كم من مرة جئتم إلى هنا مع حجاجكم وأعلاجكم[10] لإخراجنا؟ هل أنتم غير قانعين بما لديكم، أو هل ثمة مشكلات في دياركم تدفعكم إلى التحرك المستمر؟... وأن هذه المدينة لن تخرج من أيدينا إلا بمشيئة

---

[1] هو الفقيه محمد بن يحيى بن أحمد بن سعد الأشعري المالقي راوٍ للحديث مقرئ للقرآن، خطيب مفوه، كثير الخشوع والبكاء في الصلاة، لا يتكلم بغير العلم إلا عن ضرورة ولا يأكل إلا عند الحاجة، ولا ينام إلا عن غلبة، وكان يدرس في المسجد احتساباً . ينظر: النباهي، المرقبة العليا، ص142.

[2] سورة آل عمران، آية170.

[3] النباهي، المرقبة العليا، ص148.

[4] مدينة وَبْذَة من أعمال شنت بريق، وهي مدينة محصنة غرب أُقْلِيش، وكانت من أملاك بني ذي النون، بنوا فيها مطبقاً ليسجنوا فيه المعارضين. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص194.

[5] هو أبو محمد عبد الواحد بن عمر من فقهاء أفريقيا. ينظر: ابن القطان، نظم الجمان، ج6، ص22.

[6] ابن صاحب الصلاة، المن، ص501.

[7] م. ن، ص501.

[8] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج4، ص174.

[9] أو لِشبونة مدينة في غربي الأندلس تقع على الضفة الشمالية لنهر التاجة عند مصبه في المحيط الأطلسي. ابن الشباط، ، صلة السمط، ص128.

[10] العلج، الواحد من كفار العجم، والجمع علوج وأعلاج، ويقال للرجل القوي الضخم من الكفار عِلْج، وكل صلب شديد عِلْج.الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص181؛ ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص326.

الله تعالى فقط، انصرفوا فلن تدخلوا المدينة.... اصنعوا ما تشاؤن، أما نحن فسنعمل ما يــشاؤه الله تعالى"[1].

وكان الفقيه غالب الخزاعي[2] ممن قام بعبء التحريض على الجهاد في الثغر الذي يتعرض لغارات النصارى بين الفينة والأخرى.

كما إن الفقيه[3] القاضي يحيى المحاربي، حينما تعرضت المَرِيَّـــة للحــصار مــن قبــل النصارى، "صدرت عنه في مدة حصار الروم لها، جملة أقوال وأفعال لا تصدر إلا مــن حزمــاء الرجال"[4] ومثل هذه الأقوال والأفعال تعمل على طرد اليأس والخوف والملل الــذي قــد يتــسرب للنفوس نتيجة طول الحصار وشدته وقلة المؤن وغلاء الأسعار، ووجود مثل هؤلاء العلمــاء بــين المحاضرين يشد من عزيمتهم ويقوي شوكتهم ويزيد من مخزون صبرهم[5].

---

[1] الطيبي، " دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس "، ص239، نقلاً عن ريد، العرب في أسبانيا، ص159.

[2] هو أبو تمام غالب بن سيد بونة الخزاعي قاضي وخطيب، سالك سنن الصالحين من الإيثار والتسديد، قلب على العبادة، راوٍ للحــديث ؛ النباهي، المرقبة العليا، ص137.

[3] هو الفقيه أبو بكر يحيى بن مسعود المحاربي الغرناطي، من أهل الأصالة والجزالة والجلالة وكان سامى الهمة، ماضي العزيمة، شــديد الشكيمة، النباهي، المرقبة العليا، ص139.

[4] م. ن، ص139.

[5] م. ن، ص139.

المبحث الثالث

التحريض عقب الانتصارات

لم يتوقف دور العلماء التحريضي على الجهاد عقب الهزائم، بل كانت الانتصارات تستدعي العلماء لإذكاء روح الحماسة للجهاد في سبيل الله، وكان العلماء يقفون في المحافل العامة للإشادة بهذه الانتصارات تشجيعاً على المزيد منها.

وقد تحدث العلماء الأندلسيون عن هذه الانتصارات ومجدها، وتحدثوا عنها بلهجة ملؤها الثقة العارمة بالنفس[1]، وقد نشط العلماء في شرح وعرض سير المعارك ووصفها وتبيان نتائجها، يخبرون بالفتوح ويبشرون بها ويهنئون بالانتصارات، ويتغنون بالجهود العظيمة والمواقف الجهادية البطولية الفائقة التي تحلت بها الجيوش وقادتها[2]، وغالباً ما كانت تعرض سير المعارك عقب صلاة الجمعة على شكل رسائل نثرية أو قصائد شعرية، وكانت الفرحة تملأ صدور الأندلسيين عقب كل انتصار يحرزه الجيش الإسلامي، وتتجدد العزيمة والإصرار على المضي قدماً على طريق ذات الشوكة مع استعادة كل شبر سلبهم إياه النصارى، وتتعزز القدرة على الدفاع عن بقائهم في تلك الديار[3].

وقد كان انتصار المسلمين في معركة الزلاقة (481هـ=1088م) من المعارك التي حاول العلماء توظيف حدوثها لإعادة زرع الثقة في نفوس الأندلسيين وطرد اليأس والقنوط عنهم، بعد حقبة من الهوان والضعف؛ فالفقيه أبو عبيد البكري يصف انتصار الزلاقة بقوله: "فتوحٌ أضحكت مبسمَ الدهر، وسفرت عن صفحة البشر، وردّت ماضي العمر، وثنَتْ آمال الشرك كذباً، شملت النعمة، وجبرت الأمة، وجلت الغمة، وشفت الملة، وكشفت العلة، فغدا الدين جديداً، والإسلام سعيداً، والزمان حميداً، وعمود الدين قائماً، وكتاب الله حاكماً، ودعوةُ الإسلام منصورة"[4]، وكتب الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد البر إلى سكان إشْبِيْلِيَة مبشراً بالنصر، ويعده بمكانة الانتصارات الإسلامية الأولى، فيقول: "وكان يوماً لم يسمع بمثله، من يوم اليرموك والقادسية، فيا له من فتح ما كان أعظمه، ويوم كبير ما كان أكرمه، فيوم الزلاقة ثبت قدم الدين بعد زلاقها"[5] وهنا يُبرز الفقيه أن طريق الجهاد أوصلهم للكرامة والعزة وعودة صولة الإسلام بعد أن أوشك النصارى على طمس معالمه.

---

[1] عتيق، الأدب الأندلسي، ص440.

[2] المراكشي، المعجب، ص229.

[3] ابن القطان، نظم الجمان، ص10 ؛ ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج4، ص48.

[4] ابن بسام، الذخيرة ق2، ج1، ص236.

[5] ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص66.

وفي رسالة ثانية للفقيه ابن قصيرة[1] يَعُدُّ الجهاد بأنه "أذل من المشركين العزيز وأعز من المسلمين الذليل"[2]، وفي رسالة كتبها ابن عبدون[3] يؤكد أن الجهاد كان سبباً في ظهور الإسلام "على جميع الأديان، على رغم من الصلبان،... وجَمَعَ في هذه الجزيرة شمل الإسلام، بعد انصرافه... وأنزل الذين كفروا من أهل الكتاب... من صياصيهم"[4]

ومن باب التقليل من شأن الحشود التي يجمعها النصارى في الحرب فإن ابن قصيرة يصف هذه الجيوش الكثيرة العدد وقوة السلاح ويصور هيأتهم " قد تحصنوا بالحديد من قرونهم إلى أقدامهم"[5]، لكن هذه المظاهر كلها كاذبة خداعة، فسرعان ما يولون الأدبار وينهزمون من ساحة المعركة أمام ثبات المجاهدين وشجاعتهم[6].

ومن الأمور التي ركز عليها العلماء صفات البطولة والشجاعة والإقدام، وهذا لا يقل أهمية عن الثبات والصبر في القتال، فيذكر أحد العلماء أن النصارى بضخامة جيشهم "حملوا على المسلمين حملة منكرة، فتلقاهم المجاهدون بنيات خالصة، وهمم عالية، فعصفت ريح الحرب، فنزل من سماء الله على أوليائه النصر العزيز"[7]

وكانت استعادة مدينة بَلَنْسِيَة سنة (495هـ= 1099م) من الحوادث التي أدخلت السرور والبهجة في نفوس المسلمين؛ فصور أبو الفضل بن شرف[8] استعادتها بعد جهاد كبير برجوع الميت إلى الحياة؛ وكأنه يوحي لأهل الأندلس أن زمان الهزائم والضعف قد ذهب دون رجعة وأنهم بدأوا حياة جديدة لا تعرف الهزيمة والانكسار فقال: "الآن نشر الميت من لحده، وعاد الحسام إلى غمده، فسبحان من سبب ما سبب، وأدب بالموعظة من أدب ...،قدر العثرة فأقالها، وأعاد نعمة كان قد أذهب خضراءها...، وهَبتْ ريح النصر، فقل في فتح عم الله بهجته قلوب المؤمنين"[9] والتوجه نفسه يطرحه ابن شرف أن من ثمار الجهاد "أصبحنا في عز وأنس، وأصبحوا {النصارى} لا ترى

---

[1] هو الفقيه محمد بن سليمان بن القصيرة الكلاعي، عهد إليه المعتمد بن عباد بالسفارة إلى يوسف بن تاشفين يستعين به على النصارى بعد سقوط طليطلة، وحينما أصبحت الأندلس تخضع للمرابطين عينه الأمير يوسف بن تاشفين على ديوان رسائله وظل على هذا المنصب في عهد علي بن يوسف بن تاشفين و(ت:508هـ = 1112م). ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص239 ؛ ابن الأبار، أعتاب الكتاب، ص222؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص350 ؛ المراكشي، المعجب، ص115.

[2] ابن بسام، الذخيرة ق2، ج1، ص263.

[3] هو محمد بن عبد المجيد بن عبدون، ولد في يابرة، كان فقيهاً، شاعراً، وكاتباً بليغاً، فبلغ من تفقهه بعلوم عصره مبلغاً قربه للمتوكل عمر بن الأفطس أمير يابرة، ثم أصبح كاتباً لسر أمير بطليوس، ثم صار وزيراً له، وبعد سقوط دولة بني الأفطس بيد المرابطين أعجب به علي بن يوسف بن تاشفين فأتخذه كاتباً له، (ت:529هـ = 1135م). ينظر:عاصي، الشعر والبيئة في الأندلس، ص91.

[4] المراكشي، المعجب، ص228.

[5] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص243.

[6] م. ن، ق2، ج1، ص244.

[7] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج4، ص138.

[8] هو جعفر بن محمد بن شرف وكان أديباً فيلسوفاً، وكان يحذر طلابه من جاهل عرف بجهالته، ومن عالم ظن أنه علم . ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص101؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص230 .

[9] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص102.

إلاّ مساكنهم، كأن لم يغنوا بالأمس"[1] ويصور ابن شرف إحدى المعارك الجهادية وما نتج عنها "برز فارس من العرب فطعن فارساً منهم، فعند ذلك اختلط الخيل اختلاط الحسام بأجسام والأرماح بالأشباح... فما وضح النهار،... حتى خضعت منهم الرقاب، وقبلت رؤوسهم التراب، واتصل الهلك بالشرك... وفر الصليب سليباً، وعاد عود الإسلام طيباً"[2].

إن القصائد الشعرية التي نظمت عقب الانتصارات العسكرية غالباً ما كانت تلقى في احتفالات شعبية ضخمة كانت الجماهير تحتشد لسماعها[3]، وكانت الانتصارات الإسلامية فتوحاً تبتهج لها البلاد[4]، وكانت القصائد الشعرية في هذه الحقبة تدعو إلى التصدي للأعداء وتبين الخطر المحدق بالأندلس وتمجد البطولة والانتصارات وتشحذ همم وعزائم المجاهدين، ومن هذه القصائد التي خلدت ذكرى إحدى الانتصارات، القصيدة التي قالها الفقيه عبد الجليل بن وهبون يمدح المجاهدين الأبطال الذين خاضوا غمار معركة الزلاقة وثبتوا في ساحة القتال، حيث قال:

وصاروا فوق تللك الأرض أرضاً كأن وهادها منهم أكامُ[5] [6]

ومن كثرة قتلى النصارى أن الطيور والحيوانات وفدت لساحة المعركة تنهش من لحومهم وتشرب من دمائهم :

تألَّفت الوحوشُ عليها شَتَّى فما نَقَصَ الشرابُ ولا الطَّعَامُ[7]

وقد بدا التحدي والشعور بالظفر في قصيدة أبي طالب عبد الجبار[8] مزدرياً بالنصارى متهكماً بهم بعد انتصار الزلاقة، ومما قاله:

للهِ درُّ مِثْلِها مِن وَقْعَه قامَتْ بنصرِ الدّينِ يومَ الجُمُعَةْ

وواصلَ السّيرَ إلى الزّلاقَة وساقَهُ لِيومِها ما ساقَه

وثُلَّ للشركِ هناكَ عَرْشُهُ لم يُغْنِ عنه يَومه إذْ فنْشَهُ[9]

وقد توجه علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس عند توليته إمرة المسلمين سنة (500هـ= 1106م)، وتحرك نحو أُقْلِيش وحاصرها سنة (502هـ= 1108م) وهزم النصارى

---

[1] مؤنس، الثغر الأعلى، ص126.

[2] عنان، دولة الإسلام، ج1، ص537.

[3] ابن صاحب الصلاة، المن، ج2، ص100 ؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص172.

[4] الأصفهاني، خريدة القصر، ج3، ص506.

[5] هو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وارتفع عن الأرض، ابن منظور، ج12، ص20.

[6] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص279؛ ابن بسام، الذخيرة، ق2، ج1، ص246.

[7] ابن بسام، الذخيرة، ق2، ج1، ص246.

[8] هو الأديب عبد الجبار أبو طالب، من أهل شقر كان يعرف بالمتنبي لكثرة براعته بالشعر والأدب، وأكثر أهل زمانه تفنناً في العلوم وأوسعهم ذرعاً بالإجازة في المنثور والمنظوم. ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص943.

[9] ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص944.

عليها حتى افتتحها[1]، فكان هذا الانتصار كبيراً أثخن المسلمون فيه بالنصارى ، وحاصروهم في عقر دارهم، وعقب هذا الانتصار نظم التطيلي[2] قصيدة يسخر فيها من النصارى ويشيد بشجاعة وبطولة المجاهدين.

سلِ الرومَ في أُقْلِيش يَوْمَ تَجَايَشُوا ... أَلَمْ يعلموا أن الفرائسَ للأُسْدِ

تبارَوْا إلى تلك الحُتُوفِ فَسَلْهُمُ ... أما كانَ عنها منْ محيصٍ ولا بُدِّ[3]

ولما حاول ألفونسو المحارب احتلال سَرَقُسْطَة سنة (509هـ=1115م) نهض إليه عبد الله بن مزدلي ورده عنها، فقال الفقيه ابن أضحى[4] في ذلك مهنئاً بالنصر ومفتخراً بالمجاهدين الأبطال وشجاعتهم وساخراً من النصارى وجيشهم.

يا أَيُّهَا المَلْكُ مَضْمونٌ لَكَ الظُّفَرُ ... أَبْشِرْ فَمِنْ جُنْدِكَ التّأييدُ والقَدَرُ

وَأُبْ لَنا سَالِماً، والسَّعْدُ مُقْتَبِلٌ ... والدِّينُ مُنْتَظِمٌ، والكُفْرُ مُنْتَثِرُ[5]

وبعد هذه القصيدة يصف الفقيه ابن أضحى همة القائد عبد الله بن مزدلي:" فقد انتدب نفسه لمهاجمة النصارى، وقاد المسلمين نحوها، وجعلهم ينسلون إليها من كل حدب، وشمر تشمير البطل المغوار حتى دخلها والعدو صاغر، فاستبشر المسلمون بمضائه، واستظهر الدين بانتضائه"[6]

وانتصر المسلمون عام (524هـ= 1130م) وهذا الانتصار جاء بعد سلسلة الهزائم المتوالية التي لحقت بالمسلمين، وكان الفرح بالانتصار كبيراً عندما قتل قائد جيوش النصارى[7] فقال أبو بكر بن الصيرفي[8] يخاطب الأمير تاشفين مذكراً المسلمين بأن هذا النصر جاء وعداً من الله للمجاهدين وإن كان النصر من الأمور الصعاب إلا أن قوة الله تسهل هذا الأمر:

بسعدك شبت في الأعادي لظى الحرب ... فجاءك ما تهوى من الشرق والغربِ

---

[1] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج4، ص48.

[2] هو الأديب أحمد بن هريرة القيسي التطيلي، له أدب وشعر بارع، قال عنه ابن بسام، " واسع الفهم لا يجارى، وذهن لا يبارى ، ونظم كالسحر الحلال، ونثر كالماء الزلال " (ت520هـ = 1126م) . ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص451؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص536.

[3] ديوان التطيلي، ص31.

[4] هو الفقيه علي بن عمر بن محمد بن مشرف بن أضحى، يكنى أبا الحسن، من سكان غَرْنَاطَة، ولد بالمَرِيَّة، واحد من فقهاء الأندلس المشهورين يناظر عليه في الرأي، وكان أبي النفس، عالي الهمة، فقيهاً، أديباً، ولي قضاء القضاة بغَرْنَاطَة كما تولى قضاء المَرِيَّة (ت:540هـ=1143م) . ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص216؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص215 ؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص108.

[5] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص218.

[6] م. ن، ص218.

[7] ابن القطان، نظم الجمان، ص181.

[8] هو يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري الغرناطي، يكنى أبا بكر ويعرف ابن الصيرفي، تلقى علوم الحديث والفقه، فأبدع فيها، وهو يعد من الأدباء المتقدمين والشعراء المجودين، وكان كاتباً لتاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين، عمّر كثيراً وبلغ فوق التسعين= =(ت:557هـ =1161م) . ينظر: ابن حزم، فضائل الأندلس، ج1، ص23 ؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج4، ص173؛ عذاري، البيان المُغْرب، ج4، ص41.

فقد أنجــز الــرحمن بالنــصر وعــده وسهل أمراً كان في غايــة الــصعب

وقد ازداد الشعور بالفرح والسرور لدى المسلمين عندما عزز المجاهدون انتصارهم هــذا بانتصارات أخرى كالانتصار الذي أحرزوه في معركة إِفْــرَاغَة (528هــ= 1135م) فاستغل ابن وضاح[1] المرسي هذا الانتصار، وعزاه إلى البطولة والإقدام والاســتعداد الجيــد لمجابهــة النصارى:

شَمَّرْتَ بُــرْدَيْــكَ لَــمَّا أَسْــبَلَ الواني وشَــبَّ مــنْك الأعــادي نــارَ غــيّان
عَقَــرْتَهُمْ بــسيوفِ الهنــدِ مُــصلَتَةً كأنَّمــا شــربوا منهــا بِغُــدْرَانِ
أَوْدَى الــصميــمُ وعاقت عنك هيئتهم مقــادرُ أغــمــدَتْ أسـيافَ شــجعانِ
وقفتَ والجــيشُ عقْــدٌ منْــك منتثــراً إلا فرائِــدَ أشــياخٍ وشــبَّانِ[2]

وفي عام (530هــ= 1136م) هاجم الأمير تاشفين مدينة كركي[3] فافتتحها وهزم النصارى منها ويظهر السرور والسعادة بهذا الفتح على لسان ابن أبي الخصال الــذي يــصرح أن مقاومــة النصارى لم تفد شيئاً أمام عزيمة المجاهدين الصادقين الذين أبلوا بلاءً حسناً فتقبل الله منهم جهدهم وأورثهم نصراً عزيزاً

فــصبحتُهم جُنــودُ اللّــهِ باطــشةً والصُبحُ من عَبَراتِ الفَجرِ فــي مُــسَكِ
فطــاعَنوكم بأرمَــاحٍ ومــا طعَنــتْ وضــارَبُوكم بأســيافٍ ولــم تَحِــكِ
تعجّــلَ النّحــرُ فــيهم قبــلَ مَوسِــمِهِ وقَدَّم الهَــديَ مــنهم كُــلُّ ذي نُــسُكِ
وحــسبُك اللهُ فــرداً لا نظيــرَ لَــهُ تُغْنِــيْكَ نُصْرَتُه عن كــلِّ مــشتركِ[4]

ومدح الفقيه القاضي عبد الحق بن عطية[5] القائد عبد الله بن مزدلي عند عودته من الجهاد وقد خرج صائماً محتسباً فرجع منتصراً، وأراد هذا الفقيه تسجيل هذا الحدث ليكون هذا القائد أسوة لغيره من الجنود:

بادَرْتَ أَجْرَكَ في الــصِّيامِ مُجاهِــدَاً مــا ضَــاعَ عِنْــدَكَ للثُّغــورِ ذَمَــامُ
فاهْنــأْ مَزِيَّــةَ ظَــافِرٍ مُتَأيِــدٍ جَفَّــتْ بِرِفْعَــةِ شَــأنِهِ الأَقْــلامُ[6]

---

[1] هو أبو جعفر بن وضاح المرسي كان جامعاً للآداب والعلوم وقد اشتهر بكتاباته، (ت: 542هــ=1146م). ينظر: ابن خاقان، ص399؛ الأصفهاني، خريدة القصر، ج2، ص251.

[2] الحميري، الروض المعطار. ص25.

[3] مدينة من نواحي قلعة رباح وقد عمرت بخراب مدينة مجاورة لها. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص66.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص394.

[5] هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي، ولد عام(480هــ = 1089م) واعتنى به والده وألحقــه بحلــق العلم، وكان عبد الحق يتوقد ذكاءً، فأصبح إماماً في الفقه والتفسير، فقيهاً جليلاً، وفي العربية قوي المشاركة، عارفــاً بالأحكــام والحــديث والتفسير، شاعراً بارعاً، (ت: 546هــ = 1149م). ينظر: السيوطي، طبقات المفسرين، ج2، ص73؛ الداودي، بغية الوعاة، ص260.

[6] ابن خاقان، قلائد العقيان، ج3، ص658.

وعقب الانتصار الكبير في معركة الأرك نظم القاضي عمر بن عبد الله السُّلمي [1]قصيدة شعرية يهنئ فيها الأندلسيين، ويسخر من جبن النصاري ويصف جيش الإسلام بالأسد الذي يلاحق فريسته ومما قاله:

لِيهنئ أَرضَ أَندلسٍ بدور ... مِن السَرّاءِ لَيسَ لَها سِرارُ
وَكَم رامُوا الفرار مِن الرَزايا ... وَلَكن أَين مِن أَجلٍ فِرارُ
تُدار عَلَيهِمُ حُمرُ المَنايا ... بِكَأسٍ فيهِ عَقرٌ لا عُقارُ
إِذا ما اللَّيثُ أَصبَحَ في مَحَلٍّ ... فَما لِطَريدةٍ فيهِ قَرارُ[2]

[1] هو عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله السلمي، أصله من جزيرة شقورة، وكان فقيهاً، وأديباً، وشاعراً، وخطيباً مفوهاً، ولي قضاء إشبيلية وكان عادلاً لا تأخذه في الله لومة لائم، وشكرت سيرته، وكان غاية من الظرف، يكثر من التطيب(ت: 603هـ = 1206م) ابن سعيد، الغصون اليانعة، ص92.

[2] م.ن، ص97.

المبحث الرابع

التحريض عقب سقوط الشهداء

ظهر اهتمامٌ ملحوظٌ بالشهداء، خاصة القادة منهم، وكان العلماء يكثرون من مدح هؤلاء الذين سقطوا دفاعاً عن دينهم وأوطانهم، ويشيدون بصفاتهم البطولية، ومما لا شك فيه أن وجود صفات البطولة في مثل تلك الظروف هو أمرٌ ضروري؛ إذ يجعل المجاهدين منه قدوة يقتدون بهم، وقد استشهد على ثرى الأندلس الكثير من القادة والعلماء، فانبرى مَنْ بعدهم في تخليدهم وتخليد آثارهم وصفاتهم البطولية، وكانت تعرض هذه الصفات الحسنة في مهرجانات تأبين الشهداء أمام حشود كبيرة من الناس[1]، ومن ذلك ما قاله الفقيه أبو عبد الله اللوشي[2] في مزدلي[3] "... وعِنْد اللهِ نَحْتَسِبُهُ ذَخيرةً عُظْمَى، ونَسألُهُ المَغْفِرَةَ لهُ والرُّحْمَى، فإنَّهُ كان مُتَوفِّرَ الهمَّةِ على الجهاد، مِنْ أهْلِ الجِدِّ في ذلك والاجتهاد، وحَسْبُهُ أنَّه لمْ يَقْضِ نَحْبَهُ إلا وهو مُتَحفِّزٌ في عَسْكَرِه، فأدْرَكَهُ الموتُ مُهَاجراً، ومعَ اللهِ تاجِراً، وأرْجُو أنْ يكونَ قدْ قَرَنَ لهُ فَاتِحَةَ السعادةِ، بخاتِمَةِ الشهادة "[4]

وحينما استشهد ابنه محمد بن مزدلي[5] رثاه الفقيه عبد الحق بن عطية مظهراً صفات الجرأة والإقدام فقال عن الشهيد: " فَرْدٍ يُفَدَّى بالخميسِ العَرَمْرَم، ولله دَرُّهُ حينَ الْتَقَتْ عَلَيْهِ الفوارسُ، وحَمِيَ الوطيسُ، وعَظُمَ المطلوب فَقَلَّ المُساعِدُ، فَرأي المَنِيَّة ولا الدَّنيَّةَ... وشَمَّر عَنْ أَكْرمِ ساعدٍ وبنان، وقَضى حَقَّ المُهَنَّد والسِّنان، ولَبِسَ قَلْبَهُ فَوقَ دِرْعِهِ، ولم يَضِقْ بالجِلادِ رحيبُ ذَرْعِه"[6]، وتظهر معاني وقيم الشجاعة حين يذكر الفقيه أن الشهيد اختار الموت الشريف عوضاً عن النجاة بالفرار، فاستشهاده على هذا النحو تحد للموت، وبلوغٌ للحياة الخالدة، وهنا ينفر الفقيه من ظاهرة الفرار؛ لأنها الموت الحقيقي، ثم يصف الفقيه ما ناله الشهيد من شرف الشهادة، فيقول "ومَضَى وقد وقع على الله أَجْرُهُ، ورُفِعَ في علِّيين ذكْرُهُ، وخُلِّد في ديوانِ الشِّهادةِ فَخْرُهُ"[7].

---

[1] ابن شريفة، ابن مغاور، ص224.

[2] هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المذحجي اللوشي، من سكان غرناطة، كان فقيهاً مشاوراً، وطبيباً ماهراً، وبرع فيه كما برع في كتابة الشعر، وكان خطيباً بليغاً ورعاً، وتوفي في مصر في حدود (615هـ = 1218م) . ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص444؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص243.

[3] هو مزدلي بن تيلكان اللمتوني، بطل شجاع، ظهرت شهرته في حرب المرابطين في بلاد المغرب العربي ولاه يوسف بن تاشفين مكافأة على انتصاراته العديدة ولاية تلمسان، ولما كانت أرض الأندلس دار جهاد مستمر عينه يوسف بن تاشفين والياً على قُرْطُبَة، خاض الكثير من الحروب ضدهم وأثخن في النصارى، واستشهد أخيراً عام (508هـ = 1211م) . ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص48؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص31.

[4] ابن خاقان، قلائد العقيان، ج3، ص676.

[5] هو محمد بن مزدلي ورث عن والده الشجاعة والجلد أهلته مزايا التدين والبطولة ليكون قائداً كبيراً، وقاتل النصارى بلا هوادة وبلغ في تقدمه في بلادهم مبلغاً كبيراً، وبعد استشهاد والده مزدلي، عينه الأمير علي بن يوسف بن تاشفين والياً مكان والده، واستشهد بعد أبيه بثلاثة شهور. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص249.

[6] ابن خاقان، قلائد العقيان، ج3، ص664.

[7] م. ن، ج3، ص665.

وحينما توفي القائد أبو الحسن فرحون ابن تلمت[1] وقف الفقيه ابن مغاور خطيباً أمام الحشود، ومما قاله:"... وبعدُ أيَّها الملأُ المُجْتَمعُونَ، والنَّفرُ المستمعُونَ، فإن في نبيكم ﷺ إسْوَةً حَسَنَةً...فكلُّ مُصَاب بَعْدَهُ جَلَلٌ، وإنْ عَظم وجَلَّ، وأَشْعَرَ النُّفُوسَ الخيفَةَ والوَجَلَ، وإنْ كانَ قائدُكُمُ المُفَدَّى، وقِدْحُكُمُ المُعَلَّى، وصَارِمُكُم المُجَلَّى... قدْ كَسَفَ وخَسَفَ واقْتُطِفَ نَورُهُ، ونُورُهُ اخْتُطِفَ... ونَضِبَ بَحْرُهُ ونَزِفَ، وهُدَّ طَوْدُهُ ونُسِفَ، فَهَلْ صَارَ إلى ما إليه مَصِيرُكُمْ، وهلْ رَكِبَ إلا الجادَّةَ التي عليها مَسِيرُكُمْ... (إنه) تركَ منَ الآثارِ الصالحَةِ ما تركَ، فعاشَ سَعيداً، ومَاتَ فَقيراً حَميداً، تَبْكيه الأرضُ والسماءُ، ويَنْدُبُهُ السَّنَا والسَّنَاءُ.. وَوَجَدَ إنْ شاءَ اللهُ عَمَلَهُ الصَّالِحُ مَذْخُوراً،... فَطَالَمَا سَدَّ ثُغُوراً، وغَدَا في الجِهَادِ وجِلاَّدِ الأعَادي جَلْداً صَبُوراً"[2] ثم يقوم الفقيه بتحريك النزعة الجهادية من خلال أسئلة عدة "فَمَنْ يَعْقِدُ بَعْدَكَ العَظَائِمَ ويَحُلُّهَا، ومَنْ يُغْمِدُ الصَّوارِمَ ويَسُلُّهَا، ومَنْ يَنْهَضُ بالدَّوْلة، منَ يَكْشِفُ الغَمّاءَ... منَ يُسَكِّنُ الدَّهْمَاءَ"[3]

وتظهر القصائد الشعرية التي تحمل بعض الخصال والقيم النبيلة التي تحلى بها الشهداء، ومن هذه الخصال أن القائد بالإضافة لكونه ضرورة نفسية يطمئن المجاهدون بوجودها فهو أيضاً ضرورة في ميادين الجهاد يسد مكاناً كبيراً ويتحمل الأعباء التي يعجز عنها سواه، ويترك فقدانه فراغاً كبيراً في نفوس المجاهدين، فقد قال ابن الزقاق يرثي أحد القادة:

وإذا كان لا يهوى الفرارَ من الرَّدَى ... حماهُ من المجدِ الأثيلِ[4] مكينُ

وهلاَّ به ضنَّ الزمانُ فإنَّه ... على أنْ يرينَا مثلَهُ لضنينُ[5]

فإن يكُ قد ولَّى حميداً فإنما ... له اللهُ بالذخرِ الجسيمِ ضمينُ[6]

ويرثي ابن عيطون[7] الشهيد أبو حفص الهوزني،[8]وفي قصيدته يذكر أن الشهادة زيادة في قدر الإنسان ورفعة في آخرته وهو ينتقل من الموت إلى الحياة قال ابن عيطون في الشهيد أبي حفص الهوزني:

ما زال قدرُك سامياً حتى غدا ... في زُمرةِ الشهداءِ وهوَ رفيعُ

ما ذقت موتاً إذ صُرِعْتَ وإنما ... نلتَ الحياةَ، وصبريَ المصدوعُ

هابَتْكَ حاشدةُ المنايا فانبَرتْ ... زحفاً إلى لقياكَ وهيَ جموعُ

---

[1] هو أحد القادة العظام الذين جاهدوا في شرق الأندلس زمن الموحدين، وهو مغربي الأصل. ينظر: بن شريفة، ابن مغاور، ص222.

[2] ابن شريفة، محمد، ابن مغاور، ص224.

[3] م.ن، ص224.

[4] الأثيل هو كل شيء له أصل قديم. الأزهري، تهذيب اللغة.ج 15، ص131 .

[5] البخيل، يقال أنا ضنين بالشيء أي أنا بخلت به. ينظر: الفراهيدي، العين، ج7، ص10.

[6] ديوان ابن الزقاق، ص280.

[7] عمر بن أحمد بن عبد الله بن عيطون التجيبي يكنى أباالخطاب، أحد بحور البراعة والعلم. ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج2، ص779.

[8] حفيد لأبي حفص الهوزني الذي قتله المعتضد وقد استشهد هذا عند نهر تاجه (503هـ= 1106م). ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج2، ص783.

حتـــى سُلِبْتَ النفسَ وهيَ عــزيزةٌ لم يُــبْدَ منها للعــدوِّ خُـــضـــوعُ[1]

ويدعو الناس إلى عدم الاغترار بزينة الدنيا الزائلة مقابل النعيم الدائم:

نغتـــرُّ بالـــدنيا ويَخـــدعُ بَعْـــضُنَا بعـــضاً بهـــا وجميعُنَـــا مخـــدوعُ
فـــسرُورُها هـــمٌ وصـــفُو نعيمِهـــا كَـــدَرٌ وحَبْـــلُ وصـــالِهَا مقطـــوعُ[2]

ويظهر أبو عامر بن أرقم صفات التدين عند عبد الله بن مزدلي فهو كثير الصيام:

للهِ صـــومُه بـــراً يـــومَ فِطـــرِهِم وما توخيتَ مـــن وجـــهٍ ومـــن عمـــلِ
ظللتَ يومان لـــم تنفـــعْ بـــه ظمـــأً وظلَّ رُمحُكَ في عـــلٍّ وفـــي نهـــلِ[3]

ويؤكد أبو الحسن بن أضحى صفة التدين وكثرة التعبد عند عبد الله بن مزدلي:

شِعَارُهُ البِـــرُّ والتَّقْـــوى، ومُؤْنِـــسُهُ في لَيْلِـــهِ رُمْحُـــهُ، والـــصَّارِمُ الـــذَّكَرُ[4]

ومن صفات الشهيد عدم الفرار من المعركة والنجاة الذليلة، فهو يقبل على المـــوت مقـــدماً غير محجم؛ إذ يعد الموت في سبيل الله حياة، كما يعد الذل والفرار موتاً حقيقياً وبذلك صور ابـــن الزقاق الشهيد فيقول:

البـــأسُ والإقـــدامُ أوردَكَ الـــرَّدَىْ إن كـــانَ أَنْجَـــىْ غيـــرَكَ الإحجـــامُ
قد كنـــتَ فـــي ذاكَ المقـــامِ مخيَّـــراً لكـــنْ ثَبَـــتَّ وَزَلَّـــتِ الأقـــدامُ
لم يُلْفَ فيه سوى الفرارِ أو الـــرَّدَىْ فـــاخترتَ صَـــرْفَ المـــوتِ وهـــو زؤامُ
يـــا حاملـــيه قِـــفوا عليـــه وقـــفـــةً يَشْـــفَى بهـــا قـــبلَ الـــوداعِ هُـــيـــامُ
لا تُـــسْلِمُوْهُ إلـــى الثَّـــرى فلـــسيفِهِ مـــذ كـــانَ مـــن أعـــدائِـــه اســـتـــسلامُ[5]

وقال ابن الملحِ[6] في وصف أحد الشهداء بأنه ينظر إلى الدنيا على أنها دار امتحان ويرى أن الحياة الحقه هي في الآخرة:

مهـــينٌ لـــدنياه يظـــنُّ حياتَـــهُ إذا لـــم يَمُـــتْ فـــي الله دارَ بـــوارِ
تـــسنَّمَ جـــدرانَ المكـــارهِ فـــانتهى مـــآثرَ لـــم تُحْجَـــبْ لـــه بجـــدارِ
سقى من قليبِ الحربِ أشجارَ مفخرٍ تدلَّـــتْ لـــه مـــن ســـاعةٍ بثمـــارِ[1]

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج2، ص783.

[2] م. ن، ق3، ج2، ص783.

[3] الأصفهاني، خريدة القصر، ج3، ص416.

[4] ابن خاقان، قلائد العقيان ج3 ص654.

[5] ديوان ابن الزقاق، ص213.

[6] هو الزاهد محمد بن اسحاق الشلبي، يكنى أبا بكر، من سكان مدينة شلب، فقيه، محدث، زاهد، أديب، شاعر، تولى الصلاة والخطبة ببلد، كان له ابنان هما أبو القاسم وأبو محمد، وقد رويا الحديث عنه. ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص452؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص331.

وقد وصف ابن حزمون[2] الشهيد أبا الحملات[3] بأنه فارسٌ مقدامٌ، أزهر الوجه، واثقٌ من شجاعته حين يكر على الأعداء ويفتك بهم:

يَـــا عَـــيْنُ بَكِّـــي الـــسِّرَاجْ ... الأَزْهَـــرَا النّـــيِّرَا اللامِـــعْ
وَكَـــانَ نِعْـــمَ الرِّتَـــاجْ ... فكُـــسِّرَا كَـــيْ تُنْثَـــرَا مَـــدامِعْ
إِذَا رَأَى الأَعْـــلاجَ وَكبَّـــرَا ... ثُـــمَّ انْبَـــرَى يُماصِـــعْ
رَأَهـمْ كـالدَّجَـاجِ مُـنـفَّرَا ... وَسْـطَ العـرَا الـوَاسـعْ
وَالخَـيْلُ تَـحْـتَ الـعَـجَاجْ ... لَهَا انْبـرَا ولـلْـبُـرَى قَـعَـاقِـعْ
مـضَـى بِـنَفْـسٍ تُـهـاجْ ... مُصَـبِّرَا مُصْطَـبِـرَا وَطَـائِـعْ
وَبَـاعَـهَا فِي الهَـيَاجْ ... لَقَـدْ دَرَى مَاذَا اشْتَرَى ذَا البَائِـعْ[4]

وقد أبلى المسلمون في معركة أنيشة بلاء حسناً، ومن بينهم الفقيه أبو سليمان الكلاعي الذي سقط شهيداً في هذه المعركة وقد أشاد الفقيه ابن الأبار بمناقب الشهداء في هذه المعركة بقصيدة طويلة جاء فيها:

مَضَوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُدْماً كَأَنَّمَا ... يَطِيرُونَ فِي إِقْدَامِهِمْ بِقَوَادِمِ
يَرَوْنَ جِوَارَ اللَّهِ أَكْرَمَ مَغْنَمٍ ... كَذَاكَ جِوارُ اللَّهِ أَسْنَى المَغَانِمِ
مَواقِفُ أَبْرارٍ قَضَوْا مِنْ جِهَادِهِمْ ... حُقُوقاً عَلَيْهِمْ كَالفُرُوضِ اللوازِمِ
فَلا يُبْعِدِ اللَّهُ الذينَ تَقَرَّبُوا ... إِلَيهِ بِإِهْدَاءِ النُّفُوسِ الكَرائِمِ
أضاعهم يوم الخميس حفاظهم ... وكرّهم في المأزق المتلاحم
أصيبُوا وكانُوا في العِبَادَةِ أُسْوَةً ... شَبَاباً وشيباً بالغَوَاشِي الغَوَاشِمِ
وَيا رُبَّ صَوَّامِ الهَواجِرِ وَاصِلٍ ... هُنَالِكَ مَصْرومُ الحَياةِ بِصَارِمِ
لقَد صَبروا فيها كِراما وصَابَرُوا ... فَلا غَرْوَ أن فَازُوا بِصَفْوِ المكَارِمِ
وما بَذَلُوا إلا نُفُوساً نَفِيسَةً ... تَحِنُّ إلى الأُخْرَى حَنِينَ الرَّوائِمِ[5]

---

[1] ابن بسام ، الذخيرة، ق2، مج1، ص464؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص331.

[2] هو أبو الحسن علي بن حزمون أحد الشعراء كان كثير الهجو، ووصل الأمر إلى حد هجو نفسه فقال:

إذا شئت أن تهجو تأمل خليقتي ... فإن بها ما قد أردت من هجو.

ينظر: ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص214.

[3] أبو الحملات مدافع بن يوسف بن سعد الجذامي، والده عالم مشهور، وهو أحد القواد الأعنة في الجيش الأندلسي ببَلَنْسِيَة، اشتهر بالشجاعة والفروسية، ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص217 ؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص456.

[4] ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص217 ؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص456.

[5] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س4، ص89.

المبحث الخامس

التحريض عقب سقوط المدن

كان لتكتل الصليبيين وسيرهم إلى الأندلس بجحافل جرارة للاستيلاء على الإمارات الأندلسية، وما نجم عن ذلك من سقوط عدد من المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى، أثر كبير في قيام العلماء بتحريض المجتمع الأندلسي على الجهاد، إذ كان لا بد من إذكاء روح الحماسة، وبثها في النفوس للقيام بأعباء الجهاد لإنقاذ المدن الإسلامية والدفاع عنها ودرء الخطر الداهم الذي أصبح يهدد الوجود الإسلامي في الأندلس.

فقد أثار سقوط مدينة بَرْبَشْتَر (456هـ=1064م) مجموعة من العلماء، وكان منهم أبو الوليد الباجي الذي ساءه حالة الضعف والخذلان عند المسلمين فأخذ يطوف بينهم ويحرضهم على القتال، وينبههم إلى مكامن الخطر وراء احتلال بَرْبَشْتَر، وتركت هذه المساعي التحريضية حالة ثورية عند الكثير من مسلمي الأندلس[1]، أما الفقيه ابن عبد البر فقد وجه رسالة إلى جميع المسلمين في جميع أنحاء الأندلس يستثير هممهم لنصرة إخوانهم في بَرْبَشْتَر، ومن أجل إثارة الحمية الدينية والعاطفة الوطنية، أخذ يصف حال المسلمين وما هم عليه من ذل وهوان، وأن الصليبيين يسومونهم الظلم والبطش ألواناً، ويعتدون على نسائهم ورجالهم وأطفالهم، يقول الفقيه في رسالته: "فلو رأيتم – معشر المسلمين – إخوانكم في الدين، وقد غلبوا على الأموال والأهلين، واستحكمت فيهم السيوف، واستولت عليهم الحتوف، وأثخنتهم الجراح، وعبثت بهم زرق الرماح، وقد كثر الضجيج والعويل والنياح، ودماؤهم على أقدامهم تسيل، سيل المطر بكل سبيل، ورؤوسهم قُدّامهم تطير، وقلوبهم في أجسادهم تستطير، ولا مغيث ولا مجير وقد صمت الآذان، بصراخ الصبيان، ونياح النسوان، وبكاء الولدان، وعلت الأصوات، وفشت المنكرات "[2] ثم يقوم الفقيه بإبراز صليبية الحرب، وأن رحاها تدور من أجل القضاء على الدين الإسلامي" فالجوامع والصوامع بعد تلاوة القرآن، وحلاوة الآذان، مطبقة بالشرك والبهتان، مشحونة بالنواقيس والصلبان، عوضاً من شيعة الرحمن... والكفر يضحك وينكي، والدين ينوح ويبكي"[3]، ثم يختم رسالته بتوجيه صرخة مدوية إلى الأندلسيين، يستفز قدراتهم ويحرضهم على الجهاد فيقول: "فيا ويلاه، ويا ذلاه، ويا كرباه، ويا قرآناه، ويا محمداه... فالله الله في إجابة داعينا، وتلبية منادينا، قبل أن تصدع صفنا تصدع الزجاج، فهناك لا ينفع العلاج،... فالحذر الحذر، فإنه رأس النظر... وقاتلوهم في أطرافهم قبل أن يقاتلوكم في أكنافكم، وجاهدوهم في ثغورهم، قبل أن يجاهدوكم في

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص95.

[2] م. ن، ق3، مج1، ص275.

[3] م. ن، ق3، مج1 ، ص177.

دوركم"[1] ولقد كان لهذه الدعوات التحريضية صداها في نفوس المسلمين؛ إذ لم يمر إلا وقت قصير حتى تجمع المجاهدون وتمكنوا من استعادة وتحرير بَرْبَشْتَر[2].

ولقد ذكر أبو بكر بن العربي نصاً يظهر ما يقوم به العلماء من حث للحكام وأبناء المجتمع على الجهاد، فيقول : " ولقد نزل بنا العدو سنة سبع وعشرين وخمسمائة، فجاس ديارنا، وتوسط بلادنا في عدد حدد الناس عدده فكان كثيراً، فقلت للوالي والمولى عليه: هذا عدو الله قد حصل في الشرك والشبكة، فلتكن عندكم بركة، ولتكن منكم إلى نصرة الدين المتعينة عليكم حركة، فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع الأقطار فيحاط بهم فإنه هالك لا محالة، وإن الله له"[3].

وخطب لسان الدين بن الخطيب في الحض على الجهاد بعد سلسلة متلاحقة من الهزائم وسقوط المدن، فكان يحرض المجتمع على الجهاد موضحاً ما أصاب سكان المدن التي آلت للنصارى، ومما قاله: "أيها الناس رحمكم الله تعالى، إخوانكم المسلمون، إن العدو قد دهم ساحتهم، ورام الكفر استباحهم، وزحفت أحزاب الطواغيت إليهم، ومد الصليب ذراعيه إليهم... وأنتم المؤمنون أهل البر والتقوى، وهو دينكم فانصروه، وسبيل الرشد قد وضح فلتبصروه... الجهادَ الجهادَ قد تعيَّن، الجارَ الجارَ، فقد قرر الشرعُ حقه وبيَّن، اللهَ اللهَ في الإسلام، اللهَ اللهَ في أمة محمد عليه الصلاة والسلام، اللهَ اللهَ في المساجد المعمورة بذكر الله، اللهَ اللهَ في وطن الجهاد في سبيل الله، قد استغاث بكم الدين فأغيثوه، وقد تأكد عهدُ الله وحاشاكم أن تنكثوه... أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة، أعانكم الله عند الشدائد، جدِّدوا عوائد الخير، يصل الله تعالى لكم جميل العوائد، صِلُوا رَحِمَ الكلمة، وآسوا أنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة، كتاب الله بين أيديكم، وألسنة الآيات تناديكم، وسنة رسول الله ﷺ قائمة فيكم، والله سبحانه وتعالى يقول فيه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) [4]...أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت، بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت، احفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عباده، جاهدوا في الله بالألسن والأقوال حق جهاده:

ماذا يكونُ جوابكم لنبيِّكم ... وطريقُ هذا العُذْرِ غير مُمَّهدِ

إنْ قال: لِمْ فَرَّطْتُمُ في أُمَّتِي ... وتركتموهُمُ للعدوِّ المعتدِي؟

---

[1] ابن بسام، الذخيرة ، ق3، مج1، ص178.

[2] م. ن، ق1، مج3، ص178.

[3] أحكام القرآن، ج2، ص255.

[4] سورة الصف، آية10– 12.

تاللهِ لــو أنَّ العقوبــةَ لــم تُخَــفَ لكَفَــا الحيَــا مــن وجْــهِ ذاك الــسَّيّدِ

اللهم اعطف علينا قلوب العباد، اللهم بُثَّ لنا الحمية في البلاد، اللهم دافع عن الحــريم والــضعيف والأولاد، اللهم انصرنا على أعدائك، بأحبابك وأوليائك، يا خير الناصرين، اللهم أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين"[1].

كما إن سقوط مدينته طليطلة بيد النصارى عام (479هـ=1085م) كان صــدمة جديــدة للمسلمين في الأندلس، فبادر جماعة من العلماء مرة ثانية يستنفرون المجتمع للجهاد، وممن انطلق نداؤه العالم المجهول، الذي ربط بين الذنوب والهزائم وجعل من الذنوب سبباً في الانهيار والسقوط، ثم دعا للانتقام والأخذ بالثأر وحض على الاستشهاد فقال:

فإنَّــا مــثلُهم وأشــدُّ مــنهم نجــورُ وكيــف يــسلمُ مَــنْ يجــورُ؟

أنأمــلُ أن يَحُــلَّ بنــا انتقــامٌ؟ وفينــا الفِــسقُ أجمــعُ والفجــورُ

وأكــلٌ للحــرامِ ولا اضــطرارٌ إلَيْــهِ، فيَــسْهُلُ الأمُــرُ العَــسيرُ

يزولُ الــستر عــن قــومٍ إذا مــا علــى العــصيانِ أُرخِيَــتْ الــستورُ

خُذوا ثــأرَ الديانــةِ وانْــصُروها فقــد حامــتْ علــى القتلــىْ النُّــسورُ

ولا تَهِنُوا وسُــلُّوا كــلَّ عَــضْبٍ تهــابُ مــضارباً منــهُ النحــورُ

وموتُــوا كلُّكــم فــالموتُ أَوْلــى بكــم مــن أن تُجــارُوا أو تَخُــورُوا

أصــبراً بعــد ســبيٍ وامتحــانٍ يُــلامُ عليهمــا القلــبُ الــصبورُ[2]

ومن خلال الأبيات السابقة تظهر حالة التفسخ الديني والأخلاقي التي كان عليها الأندلسيون في تلك الحقبة، وهو يعد ذلك من الأسباب المهمة التي أدت بالأمة إلى المحنة، وبعد تشخيص الداء يــدعو المسلمين إلى عدم الركون إلى حياة الذل والإهانة، فالموت في ميدان الشرف خير من حياة مليئــة بالظلم.

ويذكر ابن عذاري أن النصارى عندما بدأوا بحصار مدينة بَلَنْسِيَة قام علماؤها بكتابة الرسائل التي تحض المجاهدين على نصرتهم، فاستجابت فرقة من قوات المرابطين لندائهم، وتمكنت من تقويــة عزيمة سكان بَلَنْسِيَة،[3] لكنها لم تلبث أن سقطت بيد النصارى، وأثار سقوط بَلَنْسِيَة وإحراق حاكمها القاضي ابن جحاف موجة عارمة من السخط في صفوف مسلمي الأندلس، [4] وكتــب أبــو عبــد الرحمن بن طاهر وهو من بَلَنْسِيَة بعد احتلالها رسالة يدعو فيها المسلمين للنهوض مــن كبــوتهم،

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج6، ص165، 166.

[2] م.ن، ج4، ص485.

[3] البيان المُغْرب، ج4، ص305.

[4] ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص103.

والاستيقاظ من سباتهم العميق لنجدة بَلَنْسِيَة المحتلة وعمل ما هو ضروري من وسائل النضال والمقاومة لإجبار المحتل على الاندحار[1].

كما إن عملية التحريض كانت تصل إلى السكان الذين خضعوا لسيطرة النصارى للثورة على المحتل ورفض حالة الخضوع والخنوع، ومن أمثلة ذلك ما كتبه الفقيه ابن مغاور إلى أهل حصن من حصون المسلمين بثغر من ثغور بَلَنْسِيَة، ومما جاء في رسالته تلك "استغفروا الله... فَأَسرُّوا وفقكُمُ اللهُ بَيْنَكُمُ النَّجْوَى، وتَرَاضَوْا بالتَّقْوَى، ودَبِّرُوا أمْرَكُمْ بِليل، فَهُوَ أَسْتَرُ لأمركُمْ وأَخْفَى، واللهُ يُيَسِّرُكُمْ لليسْرَى، ويَنْقُلُكُمْ منْ الأحَطِّ الأَدْنَى إلَى الأَسْمَى.... فَتَقُوا باللهِ تَعَالَى واستَبْدُّوا استَبْدَاداً يُصَدِّقُ بالفعْلِ أَقْوَالَكُمْ (وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[2]، (وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)[3] فالجدَّ الجدَّ وإيَّاكُمْ وَالفَشَلَ والكَسَلَ، ولا تَتَّخِذُوا أَصْحَاباً إلاَّ صُدُورَ السَّيْف، تَجِدُوا العَاقِبَةَ أَحْلَى منَ العَسَل، فَكَأَنْ قد فُزْتُمْ بالظَّفَر، وبُؤْتُمْ بالغنيمةِ الباردَةِ والحَظِّ الأَوْفَرِ، فَخَرَجْتُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ، وإلى الظِّلِّ مِنَ الحَرُور[4].

وبعد سقوط مدينة شَاطِبَة وتدمير في يد النصارى كتب الفقيه أبو المطرف بن عميرة[5] رسائل عدة إلى القضاة والعلماء والأصدقاء يحرضهم فيها على الجهاد[6] فقد كتب رسالة شبه فيها مدينة شَاطِبَة بعروس حسناء يعتدي عليها النصارى ويستحلون حرمتها، ولم يكتفوا بذلك، بل يتمادون ويعتدون على مدينة تدمير أختها الثانية، ويذكر الفقيه الفظائع التي ارتكبها النصارى، فيمحو تاريخها، والتي أدت إلى محو معالم الحضارة في المدن المحتلة، ومثل هذه الرسائل كانت تحرك وجدان ومشاعر المسلمين للدفاع عن المدن التي يستهدفها النصارى.

كما أكثر الفقيه أبو المطرف بن عميرة من الدعوة للجهاد بعد سقوط مدينة بَلَنْسِيَة (630هـ= 1233م) في أواخر عهد الموحدين، فكتب رسائل تفيض حسرةً وألماً يصف فيها واقع المدينة الأليم، فقد وصف القتلى والأسرى وحال السكان وعيونهم لا تجف من الدموع، "ففي كل جانب عويل وزفرة، وبكل صدر غليل وحسرة"[7] والكفر "أخرس من مساجدها لسان الأذان، وأخرج من جسدها روح الإيمان"[8] ، ومن الجدير ذكره أن أغلب هذه الرسائل كانت تقرأ في المساجد أمام حشد كبير من المصلين[9] .

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق3، ج1، ص91.

[2] سورة آل عمران، آية 139.

[3] سورة محمد، آية 135.

[4] ابن شريفة، ابن مغاور، ص188.

[5] هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عميرة المخزومي ولد بجزيرة شقر(582هـ = 1186م) اهتم به والده منذ نعومة أظافره فأدخله الحلقات العلمية فحفظ القرآن والشعر وأصول اللغة وأصول الفقه، وطاف في البلدان الأندلسية يجمع العلوم الدينية وكان يحضر حلقات العالم الفقيه أبو الربيع الكلاعي وكان راوية ومحدثاً وأخذ عنه مشايخ عصره، له رسائل عديدة في موضوعات مختلفة أشهرها طلب نجدة الأندلس ووصف ما آلت إليه حالها. الأوسي، الأدب الأندلسي، ص139.

[6] ابن سعيد، القدح المعلي، ص47؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص310.

[7] الحميرى، الروض المعطار، ص48.

[8] الحميرى، الروض المعطار، ص49.

[9] ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص44.

الفصل الخامس

موقــف علمــاء الأندلــس

من المتقاعســين عن الجهــاد

المبحث الأول: موقف العلماء من المتقاعسين عن الجهاد زمن الطوائف.

المبحث الثاني: موقف العلماء من المتقاعسين عن الجهاد زمن المرابطين.

المبحث الثالث: موقف العلماء من المتقاعسين عن الجهاد زمن الموحدين.

المبحث الأول

موقف العلماء من المتقاعسين عن الجهاد زمن حكام الطوائف

أخذت عوامل الضعف تدب في بلاد الأندلس منذ قيام دول الطوائف، وأصبحت مطمعاً للنصارى من كل صوب، وكان الحكام المتخاذلون هم السبب الأكبر في حالة الضياع والتدهور التي أصابت شتى مناحي الحياة في الأندلس.

ويرى الداعية محمد الغزالي أن الأندلس لم تسقط بسبب شجاعة أو قوة النصارى، بل " إن المترفين الناعمين هم الذين أنزلوا راية الإسلام عن هذه الربوع الخضرة، إن حكام الطوائف في الأندلس لم يكونوا أبناء شرعيين لطارق بن زياد ولا غيره من الأبطال الذين باعوا أنفسهم لله فأورثهم الأرضين "[1]، وعندما كان الحكام يبتعدون عن الجهاد، كان العلماء يتوجهون بالنقد اللاذع إليهم ويتتبعون أخطاءهم وقصورهم، ولقد كان الحكام يصدرون أحكاماً قاسية ضدهم، لكن العلماء لم تخفهم هذه الإجراءات القمعية[2]، بل ارتفعت أصواتهم ينبهون المسلمين إلى خطر النصارى الداهم، ويحذرون من التمادي في الخصومة، ويهاجمون المتخاذلين عن الجهاد وينبذون المتحالفين مع الأعداء على إخوانهم من المسلمين[3].

ولقد أكثر العلماء من نبذ المتخاذلين عن الجهاد من حكام الطوائف، الذين جنحوا إلى التخاذل والتواكل وإهمال الرعية والإخلاد إلى الراحة فأصبحوا بسبب تخاذلهم عن الجهاد كالدمى في يد النصارى يتلاعبون بهم[4]، وكانت مهمة العلماء تنحصر في قيامهم بدور الخطباء الذين ينبهون المسلمين للأمور الخطيرة، ليتفادوا الخلل، فأصبح نقدهم للمتخاذلين عن الجهاد ذا أثر توجيهي، يهدف إلى الإشارة إلى مواطن الضعف في المجتمع، وهكذا تجاوز العلماء في فعالياتهم الجهادية من موقف المحرض على الجهاد إلى ناقد للمتقاعسين سواء حكاماً أو محكومين.

لقد كان على رأس العلماء الناقمين على الحكام المتقاعسين عن مسيرة الجهاد الفقيه ابن حزم الذي عاش في عصر الطوائف، وقد شهد عن كثب النفسية الجبانة لحكام الطوائف فأخذ في ذمهم جهاراً نهاراً وطالب المجتمع بذمهم جميعاً[5]، ومما ذكره ابن حزم عن حكام عصره "والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم يحملونهم أسارى إلى بلادهم... وربما أعطوهم المدن والقلاع

---

[1] دستور الوحدة الثقافية، ص13.

[2] الفحام، الحياة الأدبية في شرقي الأندلس في عصري المرابطين والموحدين، "رسالة دكتوراه غير منشورة"، جامعة عين شمس، ص193.

[3] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص86.

[4] ابن بلقين، التبيان، ص73.

[5] ابن حزم، رسائل، ج3، ص173.

طوعاً فأخلوه من الإسلام وعمروها بالنواقيس، لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفاً من سيوفه"[1]، وهنا يظهر مدى حنق ابن حزم على حكام عصره، وأنه يضعهم جميعاً في ميزان الحق ويقومهم تقويماً لاذعاً، ويرميهم بأشد صور الخيانة لله والدين والأندلس، فيقسم بالله أن هؤلاء الحكام يبيعون دينهم ووطنهم من أجل البقاء على سدة الحكم، واستمر ابن حزم في سرد خطر انحرافاتهم وفضحها على الملأ، بغية زرع السخط والكراهية في نفوس الأندلسيين على الحكام الذين بدلاً من مجاهدة الأعداء، قاموا باغتصاب أموال الناس ظلماً وعدواناً، فيعطونها للنصارى[2]، وهذه الأموال كانت سبباً في ضياع الديار الإسلامية وعوناً للنصارى "حتى استشرف لذلك أهل القلة والذمة، وانفلتت ألسنة أهل الكفر والشرك بما لو حقق لنصر فيه أرباب الدنيا لاهتموا بذلك ضعف همنا، لأنهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الامتعاض للديانة الزهراء، والحمية للملة الغراء، ثم هم (حكام الطوائف) مترددون مما يؤول إليه إهمال هذه الحال من فساد سياستهم، والقدح في رياستهم"[3] .

لقد كان ابن حزم من أبرز العلماء الذين تصدوا لانحراف الحكام ووضعهم في مكانهم من التاريخ دون خوف أوجبن، لهذا عُد لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين.[4]

وفي موضع آخر يهاجم ابن حزم حكام عصره الذين كانت السمة الغالبة في سياستهم القائمة على جمع الضرائب والمكوس من أجل مصالحهم الذاتية، وتخليهم عن مقاومة النصارى؛ حيث يقول: "إن كل مدبّر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه، أولها عن آخرها، محارباً لله ورسوله، وساعياً في الأرض بالفساد، للذي ترونه عيانا، في شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضارَّهم، وإباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي يقضون على أهلها، ضاربون للمكوس والجزية والضريبة من أهل الإسلام، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله، غرضهم فيها استخدام نفاذ أمرهم"[5].

يبدو أن ابن حزم لم يقتصر انتقاده على الحكام فقط، بل انتقد علماء عصره المقصرين عن مهامهم والمسؤوليات التي أخذت على عاتقهم حيال اشتداد الخطر النصراني؛ حيث " انشغلوا بعمارة القصور عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم"[6] ولهذه الأسباب فهم في نظره"... ليسوا من أهل الفقه... ولا يحسنون شيئاً سوى التناغي والقول الفاسد"[7]

---

[1] ابن حزم، رسائل ، ج3، ص176.

[2] م.ن، ج3، ص175.

[3] م. ن، ج3، ص45.

[4] ابن مفلح، المقصد الأرشد، ج2، ص214..

[5] ابن حزم، رسائل، ج3، ص173.

[6] م. ن ، ج3، ص41.

[7] م. ن، ص174.

ومثل ابن حزم في ذلك صديقه ابن حيان الذي كان شديد اللهجة ولا يتحرج عن ذكر الأخطاء والانحرافات السياسية لحكام الطوائف، بل كان هو الآخر يذكرها صراحة في جرأة شديدة، لذلك عده ابن سعيد على أنه رائد في الذم والثلب لحكام الطوائف،[1] أما ابن بسام فيعد ابن حيان من أكثر العلماء هجاءً[2]، غير أن الدكتور مصطفى الشكعة يرى أن هجاء ابن حيان لكثير من حكام الطوائف ووزرائهم يدخل في دائرة الهجاء السياسي، ولم يكن الهجاء هدفا بحد ذاته، بل هو وسيلة يعبر بها ابن حيان في هجاء حكام عرفوا بالعسف والظلم، أهملوا الرعية وتقاعسوا عن الجهاد، أو وزراء اتسموا بالجهل والبخل، أو أمراء اشتهروا بسفك الدماء وقتل الأبرياء وتدمير العمران، أو قضاة تنكبوا سبيل العدل وأسرفوا في أحكام الظلم[3].

وقد حمل ابن حيان حرباً لا هوادة فيها ضد معظم حكام الطوائف في عهده لتخاذلهم عن نصرة المسلمين في محنتهم وقد سماهم بسبب ذلك "أمراء الفرقة الهمل"[4] ومضى في نقدهم قائلاً : "احتوى عليهم الجهل واقتطعهم الزيفُ، وأركستهم[5] الذنوبُ، ووصَمَتهُمُ العيوبُ، ليسوا في سبيل الرشد بأتقياء، ولا على معاني الغي بأقوياء، شاء من الناس هامل يعللون نفوسهم بالباطل، من أدل الدلائل على فرط جهلهم بشأنهم، اغترارهم بزمانهم، وبعادهم من طاعة خالقهم... وذهولهم عن النظر في عاقبة أمرهم، وغفلتهم عن سد ثغورهم حتى يظل عدوهم الساعي لإطفاء نورهم... يقطع كل يوم طرفاً ويبيد أمة... يعللون نفوسهم بالباطل"[6] ، ولقد غفلوا عن حماية الثغور فتوسعت حدود النصارى [7] .

وعندما سقطت بَرْبَشْتَر بيد النورمان[8] (456هـ=1064م)، هاجم ابن حيان معظم حكام الطوائف لتخاذلهم عن نصرة المسلمين في محنتهم، إذ بدلاً من نجدة المدينة المنكوبة، بادر أمراء الطوائف إلى اتخاذ التدابير الدفاعية " ولقد طما العَجَبُ من أفعالِ هؤلاء الأمراءِ، أَنْ لم يكن عندهم لهذه الحادثةِ الغراء في بَرْبَشْتَر إلاّ الفزَعُ إلَى حَفرِ الخنادقِ، وتعليةِ الأسوار، وشدِّ الأركان، وتوثيقِ البنيان، كاشفين لعدوهم السوءَة السوءَاءِ من إلقائهم يومئذ بأيديهم إليهم، أمورٌ قبيحاتُ الصُّورَ،

---

[1] المغرب، ج1، ص118.

[2] الذخيرة، ق1، ج2، ص85.

[3] المغرب والأندلس، ص361.

[4] ابن بسام، الذخيرة ق2، مج1، ص278.

[5] رددتهم ورجعتهم. ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص190.

[6] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص189.

[7] م. ن، ق3، مج1، ص189.

[8] يعرف النّوْرمَان في التاريخ الأوروبي بالفيكنج(Al- vikings) أي سكان الخلجان، وهم يرجعون إلى أصل جرماني، واعتنقوا النصرانية في بداية القرن الرابع الهجري، وسكنوا مقاطعة نورماندي في شمال غربي فرنسا، وأطلق عليهم المؤرخون المسلمون أسماء مختلفة، مثل الأردمانيين، الروذمنيين، المجوس بسب إشعالهم النار بكثرة، واعتقدوا أنهم كانوا يعبدونها، وكانوا يغيرون على الأندلس من المنافذ البحرية والنهرية، فقد أغاروا على إشبيلية وشذونة وباجة ووشقة. ينظر: عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج1، ص330؛ مؤنس، " غارات النورمانيين على الأندلس "، المجلة التاريخية المصرية، (م2، ع1، مايو 1949) ص24 .

مؤذناتُ الصدورِ بأعجازٍ تُحِـــلُّ الغِـــيَر"[1] ، وصب ابن حيان جام غضبه على أحمد يوسف بن سليمان بن هود الذي لم يدافع عن المدينة، وخذل أهلها وتقاعس عن نصرتهم، فقال عنه: "أسلمهم.. لِخَطْبهم.. وَوَكَلهم إلى أنفسهم، وقعدَ عن النفير نحوهم"[2] ، كما أنه حمل حملة عنيفة على إسماعيل بن ذي النون حيث وصفه بأنه"أوَّلُ الثوارِ لمفارقةِ الجماعة، وفرَطهم في نقض الطاعـــة... وكـــان فرطَ الملوكِ في إيثارِ الفُرقة، فاقتَدى به مَنْ بَعْدَه، وأمّـــوا في الخِلافِ نَهْجه... فـــصارَ جُرثومـــةَ النفاق وأوَّل من استنَّ سُنّة العصيانِ والشقاق، ومنه تفجّر ينبوعُ الفِتَن والمِحَن".[3]

كما حمل ابن حيان على قبائل البربر التي ساهمت بشكل كبير في فرقة الصف الأندلسي، وكانوا سبباً في التمزق السياسي فيها، وكان بوده أن يستغل البربر شجاعتهم وبسالتهم وبأسهم على أعداء المسلمين النصارى، لكن ما حدث أنهم ولغوا في دماء المسلمين ووظفوا فروسيتهم ضد أبناء ديانتهم.[4]

ولقد هاجم ابن حيان الفقهاء المتخاذلين في عدم إكمال دورهم الجهادي، واتهمهم بـــالتواطؤ مع حكام الطوائف فقال: لم تَزَلْ آفةُ الناسِ منذ خُلقوا في صِـــنْـــفين منهم، وهـــم كـــالملح فـــيهم: الأمراءُ والفقهاء، قـــلَّما تـــتـــنافرُ أشكالهم، بصلاحهم يَصْلُحونَ، وبفسادِهم يُـــرْدَوْنَ، فقد خصَّ اللهُ تعالَى هذا القرنَ الذي نحن فيه باعوجاجِ صـــنـــفيْهم لدينا هذين، بما لا كفايةَ له ولا مَخلَصَ منـــه، فالأمراءُ القاسطون قد نكبّوا بهم عن نَهج الطريق، ذياداً عن الجماعة، وحَوْشـــاً[5] إلـــى الفرقـــة، والفقهاءُ أئـــمَّـــتهُم صموتٌ عنهم، صدوفٌ عما أكَّـــدَ اللهُ عليهم في التبيين لهم، قد أصـــبحوا بـــين آكلٍ من حلَوائهم، خائضٍ في أهوائهم، وبين مستشعرٍ مخافَـــتَهُمْ، آخذٍ بالتُّـــقـــيةِ[6] فـــي صِـــدقهم، وأولئكَ هم الأقـــلُّون فيهم"[7]

واتسعت دائرة النبذ عند ابن حيان حتى نال سكان طليطلة ما ناله الحكام والعلمـــاء بـــسبب تقاعسهم عن الجهاد والاستعداد له، ويسخر من أهل طليطلة الذين خرجوا لقتال عدوهم في ثيـــاب الحرير، فهزمهم النصارى وقتلاهم يلبسون الملابس المرفهة ولم يعتبروا بمـــا حـــدث، "فـــــنبذوا السلاح... وعطَّلوا الجهاد، وقعدوا فوق الأرائك مقعدَ الجبابرة بين أهل الأندلس، ينتظـــرون مـــن ينبعث من أهلها للقتال عنهم حِسْـــبَةً، فتباً لهم تباً "[8].

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص181.

[2] م. ن، ق3، مج1 ص181.

[3] م.ن، ق4، مج1، ص142.

[4] م. ن، ق2، مج1، ص21.

[5] حوش الفؤاد أي قاسي القلب.م.ن، ج6، ص290.

[6] يظهرون الصلح والاتفاق وباطنهم بخلاف ذلك. م، ن، ج15، ص404 .

[7] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص180 ؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص454.

[8] ابن بسام، االذخيرة، ق3، مج1، ص180.

ولقد هاجم الفقيه ابن عبد البر بعض علماء عصره لتقصيرهم في أداء واجباتهم المطلوبة منهم من إرشاد الحكام، وتقاعسهم عن واجباتهم الأساسية والتي أهمها تحريض الحاكم والمحكوم على الجهاد [1]، وقد ذمهم بأبيات من الشعر قائلاً:

رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوب ... ويتبِعُها الذلَّ إدمانُها
وتركُ الذنوب حياةُ القلوبِ ... وخيرٌ لنفسكَ عصيانُها
وهل بدَّلَ الدينَ إلا الملوكُ ... وأحبار سوءٍ ورُهبانُها
وباعوا النفوسَ فلم يربَحوا ... ولم تغلُ في البيع أثمانُها
لقَد رتعَ القومُ في جيفةٍ ... يبينُ لذي العقلِ أنتانُها[2]

ولقد عاد ابن عبد البر ينتقد حكام عصره في الأندلس؛ لأنهم كانوا يستعبدون الأهالي يجمعوا الأموال منهم كي يقدموها للنصارى للحفاظ على الجاه والمنصب السياسي، ومما قاله: " فصار كل من غلب منها على موضع ملكه استعبد أهله، وكثر فيها الأمراء فضعفوا وصاروا خولاً للنصارى"[3].

ولقد انتقد ابن رشيق القيراوني[4] حكام الطوائف الذين اقتسموا ألقاب الخلافة، وتوزعوها فتلقبوا بـ(الناصر، والمعتضد، والمعتمد، والمنصور، القادر بالله) [5]، بل إن بعض حكام الطوائف ذهبوا في التسمي إلى ما هو أبعد من الألقاب، فقد تسمى عبد الملك بن جهور بـ (ذي السيادتين، المنصور بالله، الظافر بفضل الله)، وتسمى أحمد بن جراح صاحب شلب بـ (ملك الملوك قاطع الشكوك) [6]، غير أن هذه الألقاب لا تتناسب مع أفعالهم وأقوالهم، وقد صور هذه الحالة ابن رشيد القيرواني حينما قال:

مِمَّا يُزَهِّدُني في أَرْضِ أَنْدَلُسٍ ... سَماعُ مُقْتَدِرٍ فيها وَمُعْتَضِدِ
أَلْقابُ مَمْلَكَةٍ في غَيْرِ مَوْضِعِها ... كالْهِرِ يَحْكي انْتِفاخاً صَوْلَةَ الأَسَدِ[7]

---

[1] جامع بيان العلم، ج3، ص258.

[2] م.ن، ج، ص258.

[3] القصد والأمم، ص35.

[4] الحسن بن رشيق القيرواني، يكنى أبا علي، أديب، ناقد، باحث، كان أبوه من موالي الأزد، ولد في المسيلة (بالمغرب) وتعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر، رحل إلى القيروان، واشتهر فيها، وحدثت فتنة فانتقل إلى جزيرة صقلية، (ت: 463هـ = 1071م). الحموي، معجم الأدباء، ج4 ، ص11.

[5] ابن خلدون، العبر، ج2، ص751.

[6] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، 259، 260 .

[7] المراكشي، المعجب، ص105.

وتضمنت الرسالة، التي وجهها الشهيد ابن الهوزني للمعتضد حاكم قُرْطُبَة، نقداً واضحاً لكثير من حكام الطوائف لعدم طاقتهم بالقتال، وتخاذلهم عنه جبناً وخوفاً من ويلات الحرب وشدتها، فقد قال للمعتضد " فانتهز فرصتها، فقد بان من غيرك العجز، وطبق مضاربها "[1] ثم يستنكر على المسلمين وكثير من فقهائهم تخاذلهم عن النفير، وكأنهم لم يسمعوا بآيات القرآن الكريم التي تدعو إلى الجهاد، ويتهمهم بضعف الإيمان والخنوع والجبن عن مواجهة الأعداء، "كأنَّ الجميعَ في رَقْدَةِ أهلِ الكهف، أو على وعدٍ صادق من الصرف والكشف وأنّى لمثلها بالدفاع عن الحريم، ولمّا نمتثلْ أدبَ العزيز الحكيم في قوله:(وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) [2]وقوله تعالى" (لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ)[3] ومن أين لنا دفعهم بالكفاية أو كيف، ولم نمتط إليهم الخوف، ولم نساجِلْهم السيفَ[4]، بل لمّا يُرْأبْ من صدوعهم ثلم، ولا رُدَّ في نحورهم سهم، إن حاربوا موضعاً أرسلناه، وإن هذا لأمرٌ له ما بعده[5]، وقد أسف على مسلمي عصره من تخاذلهم عن الدفاع عن دين الله، فتركوه يموت ويلحد، ويستهجن على حكام عصره كثرة استعانتهم باليهود في أجهزة الدول الرسمية حتى أصبحت لهم صلاحيات واسعة.

ثم يحذرهم من التقاعس عن الجهاد لأن ذلك يجلب سخط الله وعقابه، كما عاقب الأمم السابقة، ومما قاله :

أيا أسفا للدين إذ ظلَّ نُهْبَةً ... بأعيننا والمسلمونُ شهودُ
أفي حرمِ الرحمن يُلْحَدُ جَهْرَةً ... ويجعلُ أشراكَ الإله يهودُ
وَيُثْلَبُ بيتُ اللهِ بين بيوتكم ... وقادِرُهُ عن ردّ ذاك قعيدُ
ويوضَعُ للدَّجّالِ بيتٌ بمكّة ... ويخفى عليكم مَنْزِعٌ وقصودُ
أعيذكمُ أن تُدْهِنُوا فيمسّكُمُ ... عقابٌ كما ذاقَ العذابَ ثمود
وأقْبِحْ بذكرٍ يستطير لأرضكم ... يؤمُّ به أقْصَى البلادِ وفود
ولا عَجَبٌ أنْ جانسَ الحوض ضفدَعٌ ... وقدماً تساوي مَطْلَبٌ وشهود[6]

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص84.

[2] سورة البقرة، آية251.

[3] سورة الحج، آية40.

[4] من الحرب سجال، أى سَجّل منها على هؤلاء، وآخر على هؤلاء، والمساجلة مأخوذة من السَّجْل.ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص325.

[5] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص85.

[6] م. ن، ق2، ج1، ص92.

ولقد انتقد أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني_تهافت حكام الطوائف على الترف والبذخ، وإيثارهم لحياة الدعة والنعيم والإسراف في الإغراق فيها، وحذر من التقاعس عن الجهاد، فهو يُعرِّض بأحد حكام الطوائف وانشغاله بالملذات، وتقاعسه عن الجهاد وتغافله عن أمور جنده، وتزايد قوة عدوه، الأمر الذي سيؤدي إلى سقوط الإمارة بغتة، ومما قال عن هذا الحاكم: " همه جواز يومه، وحلاوة نومه، وأعلى همته إرجال جمته، واعتدال عمته، وأسر سروره تناهي قدوره، وترويق خموره، أعداؤه سمان في أمان، متعامٍ عن الأمر الواضح، مستغن بعبده عن جنده، متشاغل بالأنياب الطاحنة في فمه عن الأنياب الوالغة في دمه، ينام عن مسهرات الأيام... وخواطره لاهية وقواعده واهية، حتى تبغته الداهية " [1]، وينتقد القيرواني جبن أحد حكام الطوائف بشكل لاذع فيقول: " هو يوم الطاعنة ولد الملاعنة، لا حسب يقاتل عنه ولا نسب يستحي منه، إذا الحرب دعت أبطالها، وزلزلت الأحشاء زلزالها، نخب ما بين جنبيه، وغاب السواد من عينيه، مهزمة لجنوده، مهدة لعدته وعديده، يوسع أعذار الفرار، ولا يرى الجبناء من عار... يزحف عند الزحف إلى الخلف، ويروعه الواحد وهو في الألف"[2]، وكذلك يشتد استهجان القيرواني من تخاذل عدد من الوزراء وجبنهم، فبدلاً من نصيحة الحكام وتحريضهم على الجهاد فقد انشغلوا عن مصلحة الدين والوطن والسعي وراء الملذات والترف واللهو" حتى إذا طرقت السرايا، وسيقت السبايا، ونفر النافر، وضج البادي والحاضر، فتفرقوا في البلاد، فزع إلى الوزير، في وجه التدبير، فكان جوابه دموعه، وصوابه هلوعه"[3].

كما واستخدم العلماء الشعر كمادة إعلامية للتشهير بحكام الطوائف المتخاذلين الذين تركوا مدن وحصون الأندلس تتساقط في أيدي النصارى، وانشغلوا عنها بخصوماتهم السياسية وانهمكوا في ملذاتهم ونعيمهم ولهوهم، وكان الفقيه السميسر[4] من أكثر العلماء نقداً لاذعاً لهؤلاء الحكام؛ فقد هجاهم وحط من منزلتهم بجرأة نادرة وذكر عنه ابن بسام أنه "له مذهب أفرغ فيه مجهود شعره من القدح في أهل عصره" والفقيه في قصيدته يعلنها ثورة على هؤلاء الحكام الذين فرطوا في الدفاع عن الإسلام وخذلوه حين أسلموه للأعداء برضوخهم لهم، فتخلوا عن قيمه الجهادية، وقعدوا عن حمايته واستعانوا بالنصارى بعضهم على بعض في عراكهم وحروبهم ومن أجل ذلك وجب مقاومتهم وشق عصا الطاعة عليهم، ومما قاله في القصيدة:

---

[1] ابن بسام، الذخيرة ، ق4، ج1، ص191.

[2] م. ن، ق4، ج1، ص191.

[3] م. ن، ق4، ج1، ص192.

[4] هو خلف بن فرج الإلبيري، يكنى أبا القاسم، شاعر هجاء، أصله من إلبيرة وأصله من غرناطة، أدرك الدولة العامرية نهايتها، (ت: 480هـ = 1087م) الزركلي، الأعلام، مج2، ص311.

نـــــادِ الملـــــوكَ وقـــــلْ لهـــــم ... مـــــاذا الـــــذي أحدثـــــتُمو
أســـــلتمُ الإســـــلامَ فـــــي ... أســـــرِ العـــــدا وقعـــــدتمُو
وجـــــبَ القيـــــامُ عليكمـــــو ... إذ بالنـــــصارى قمتمـــــو
لا تـــنكـــروا شـــق العـــصـــا ... فـــعصا الـــنبي شـــقـــقـــتـــمـــو[1]

ولقد أورد ابن بسام في ذخيرته أبياتاً أخرى للسميسر هدد فيها هؤلاء الحكـام وتوعـدهم بـالثورة للإطاحة بهم فهو يقول:

رجونـــــاكم فمـــــا أنـــــصفتمونا ... وأملنـــــــــاكم فخـــــــــذلتمونا
سنـــــصبر والزمـــــانُ لـــــه انقـــــلابٌ ... وأنـــتم بالإشـــارةِ تـــفـــهـــمـــونا[2]

وله أبيات أخرى تصدى فيها لهؤلاء الحكام ووصفهم بالخيانة وأنهم هانوا فهانوا :

خنـــــتم فهنـــــتم فكـــــم أهنـــــتم؟ ... زمـــــان كنـــــتم بـــــلا عيـــــون
فـــــأنتم تحـــــتَ كـــــلِّ تحـــــت ... وأنـــــــــتم دون كـــــــــل دون
سكـــــــــنتم ريـــــاح عـــــادِ ... وكـــــلَّ ريـــــحٍ إلـــــى ســـــكون[3]

إن السميسر في الواقع كان من أكثر الشعراء جرأة وجسارة ينتقد الحكام علـى خـذلانهم ويفضح سياستهم القائمة على مصالحهم الذاتية، فقد صرح بخيانة حـاكم غَرْنَاطَـة عبـد الله بـن بلقين[4].

صـــــاحبُ غَرْنَاطَـــــةَ ســـــفيه ... وأعلـــــمُ النـــــاسِ بـــــالأمورِ
صـــــانع أذفـــــوفش والنـــــصارى ... فـــــانظرْ إلـــــى رأيـــــهِ الدبـــيـــــرِ
وشـــــادَ بنيانَـــــهُ خلافـــــاً ... لطاعـــــــــةِ الله والأميـــــــــرِ
يبنـــــي علـــــى نفـــــسه ســـــفاها ... كأنّـــــــــه دودةُ الحريـــــــــرِ
دعـــوهُ يـــبنـــي، فسوفَ يـــــدريْ ... إذا أَتَـــتْ قـــــدرةُ القـــــديـــرِ[5]

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق2، ج1، ص372.

[2] م. ن، ق1، ج1، ص184.

[3] المقري، نفح الطيب، ج4، ص108.

[4] عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس الصنهاجي، آخر ملوك غرناطة من الدولة الصنهاجية في زمن حكام الطوائف، وليها بعـد وفـاة جده باديس بن حبوس عام (465هـ = 1072م) واستمر حكمه فيها إلى أن هاجمه المرابطون، وتغلبوا عليه عام(483هـ = 1090م)، ونقل منفياً إلى السوس الأقصى. الزركلي، الأعلام، مج4، ص75.

[5] ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص38 ؛ ابن أبي الزرع، روض القرطاس، ج2، ص68.

وهنا يوجه السميسر إنذاراً لاذعاً إلى الحكام المتخاذلين ويهددهم بمصيرهم المحتوم الذي ينتظرهم إن لم يفيقوا من سباتهم العميق، وهو ما حدث بالفعل لاحقاً حين اسقط يوسف بن تاشفين حكوماتهم المتعددة.

ولقد هاجم الشاعر المجهول انحراف حكام الطوائف عن رسالتهم الجهادية وخذلانهم وخنوعهم ودفع الجزية للنصارى عن يدٍ وهم صاغرون، وانتقد خطة حكام الطوائف الزائفة، فيقول:

تحاربُنَا الأعادِيْ باصطناعٍ ... فينجذب المخوّلُ والفقيرُ
فباقٍ في الديانةِ تحتَ خزيٍ ... تثبطه الشويهةُ والبعيرُ
وآخرُ مارقٌ هانتْ عليه ... مصائبُ دينِهِ فله السعيرُ
وقيل تجمعوا لفراق شكل ... طليطلة تملكها الكفور
فقل في خطة فيها صغار ... يشيب لكربها الطفل الصغير[1]

فالعالم هنا ثائر غاضب، فالإسلام ممتهن وأهله متهاونون، ويعلنها ثورة على الأفكار الانهزامية التي تروَّج من المتقاعسين، الذين رضوا بالسلامة في ظلال الفواكه والشجر والماء والقصور ثم يقدمون الإتاوة المفروضة عليهم للنصارى.

كفَى حَزْنَاً بأنّ النّاسَ قالُوا ... إلى أيْنَ التّحَوّلُ والمْسِيرُ
أنتْرُكْ دُورَنَا ونَفِرُّ عَنْها ... وليس لَنَا وَرَاءَ البْحَرِ دُورُ
وظِلٌ وارِفٌ وخريرُ ماءٍ ... فلا قُرٌ هناكَ ولا حَرُورُ
ويُؤْكلُ من فواكِهِها طرّىٌ ... ويُشرَبُ من جَدَاوِلِها نَميرُ
يؤدَّى مَغرمٌ في كلّ شهرٍ ... ويؤخَذُ كلَّ صائفةٍ عُشُورُ
فَهُمْ أحمى لحوزتِنا وأولى ... بنا وهمُ الموالي والعشِيرُ
نخورُ إذا دُهِينا بالرّزايا ... وليس بمعجبٍ بَقَرٌ يخورُ
ونجبنُ ليس نزأرُ، لو شَجُعْنا ... ولم نَجْبُنْ لكان لنا زَئِيرُ
لقد ساءَتْ بنا الأخبارُ حتّى ... أمَاتَ المخبرين بها الخبيرُ
أتَتْنَا الكُتْبُ فيها كلُّ شرٍ ... وبَشّرنا بأنْحُسِنَا البَشِيرُ[2]

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص387.

[2] م.ن، ق1، مج2، ص388.

كما وأثار حادث سقوط بربشير (456هـ= 1064م) في يد النصارى مشاعر الفقيه الزاهد عبد الله بن خرج اليحصبي "ابن العسال"[1] فقال:

وَلَقَدْ رَمَانَا المُشْرِكُونَ بِأَسْهُمٍ ... لم تُخْطِ لكن شَأْنُهَا الصَّمَّاءُ
هتكُوا بخَيْلِهمُ قصورَ حريمها ... لم يبْقَ لا جَبَلٌ ولا بَطْحَاءُ
جاسُوا خِلالَ دِيَارِهِمْ فَلَهُمْ بها ... في كلِّ يَوْمٍ غارةٌ شَعْرَاءُ
باتَتْ قُلُوبُ المسلمين برعبِهِمْ ... فحماتُنَا في حَرْبهم جُبَنَاءُ
كمْ مَوْضِعٍ غنموه لم يُرْحَمْ به ... طِفْلٌ ولا شيخٌ ولا عَذْرَاءُ
ولَكَمْ رضيعٍ فَرِّقُوه من أُمِّه ... فلهُ إليها ضَجَّةٌ وبكَاءُ
ولَرُبَّ مولودٍ أبُوه مُجَدَّلٌ ... فَوْقَ التُّرَاب وفَرْشُه البيْدَاءُ
وعزيزِ قومٍ صارَ في أيديهمُ ... فعَلَيْهِ بَعْدَ العِزَّةِ استحذاءُ
ومصونةٍ في خِدْرِها محجوبةٍ ... قد أبْرَزُوها مَا لها استخفاء[2]

وفي الأبيات السابقة يوضح الفقيه ما صنع الصليبيون من دمار، ثم يذكر السبب في انتصارهم وهزيمة المسلمين ألا وهو جبن حكام الطوائف، وتقصيرهم في واجبهم في الدفاع عن الديار الإسلامية، ثم يبدأ في إثارة الحمية بالحديث عن عدوان وفساد الصليبين على الشيوخ والأطفال والنساء، وكل ذلك بسبب واضح وهو تقاعس حكام الطوائف عن الجهاد في سبيل الله، والذنوب المتفشية في المجتمع الأندلسي زمن الطوائف وهي الداء الأهم في نظره حين قال:

لَوْلا ذنوبُ المسلمين وأنّهُمْ ... ركبوا الكبائرَ ما لَهُنَّ خَفاءُ
ما كان يُنْصَرُ للنَّصارى فارِسٌ ... أبداً عليهم فالذُّنُوبُ الداءُ
فشرارُها لا يَخْتَفُون بشرِّهم ... وصَلاَحُ مُنْتَحِلي الصَّلاحِ رياء[3]

---

[1] هو عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي، يعرف بابن العسال، ويكنى أبا محمد، طليطلي الأصل، سكن غَرْنَاطَة واستوطنها، كان فذاً في وقته، غريب الجود، طرفاً في الخير والزهد والورع، يضرب في كل علم بسهم، وأشعاره في الزهد مشهورة، ويجلس للوعظ، وكان فقيهاً جليلاً، فصيحاً لسناً، وكان الأغلب عليه حفظ الحديث والنحو واللغة والآداب، وكان عارفاً بالتفسير، شاعراً مفلقاً، وكان له مجلس حفل يقرأ عليه في التفسير، وكان يعظ الناس بمساجد غَرْنَاطَة، قال العديد من القصائد التي يبين فيها أسباب ضعف المسلمين، كما دعا في قصائده إلى الوحدة والجهاد، (ت: 487هـ = 1095م)، وقد نيف عمره على الثمانين. ابن سعيد، المُغْرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص21؛ الحميري، الروض المعطار، ص90،91؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص352.

[2] الحميري، الروض المعطار، ص41.

[3] م.ن، ص41.

وينتقد أبو طالب عبد الجبار هذه الطوائف، وفساد حكامها وانغماسهم في الترف والمجون، والقوات النصرانية تتقدم في احتلالها للإمارات الإسلامية، ومما قاله:

ثم تمادتْ هذه الطوائفُ ... تَخلُفُهمْ من آلهم خوالِفُ
دانتْ بدِين الجَوْر والعدولِ ... إذْ سُلِبَتْ عقائلُ العقولِ
فأهملوا البلادَ والعِبَادَا ... وعَطّلوا الثغورَ والجِهادَا
واشتغلتْ أذهانُهمْ بالخمرِ ... وبالأغاني وسماعِ الزَّمْرِ
وزادهم في الجهل والخِذلانِ ... أنْ ظاهروا عصابة الصُّلبانِ
فاستولتِ الرومُ على البلادِ ... واستعبدوا حرائرَ العِبادِ[1]

ومن أسباب هزيمة المسلمين في نظره أن النصارى تجاوزوا العدل والحق ولكن هذه الحال هي حال حكام الطوائف، ويصف الشاعر هؤلاء الحكام بصفات مهينة ويقرعهم لتخاذلهم ورضاهم بالذلة والمهانة والعبودية للنصارى، فيقول:

فإنا مثلهم وأشدُّ منهم ... نجورُ وكيف يسلم مَنْ يجورُ
أنامنُ أن يحلَّ بنا انتقام ... وفينا الفسق أجمع والفجورُ
لقَدْ ذهبَ اليقينُ فلا يقينٌ ... وغرَّ القومَ بالله الغَرورُ
فلا دينٌ ولا دُنيا ولكن ... غرورٌ بالمَعِيشةِ ما غرورُ
رَضُوا بالرقِّ يالله ماذا ... رآه وما أشار بهِ مُشيرُ
وأكلٌ للحرامِ ولا اضطرار ... إلَيْهِ فيَسْهُلَ الأمْرُ العَسيرُ
ولكن جرأة في عقر دار ... كذلك يفعلُ الكلبُ العقورُ
نخورُ إذا دُهينا بالرزايا ... وليس بمعجب بقر تخور
يزول الستر عن قومٍ إذا ما ... على العصيان أرخيت الستورُ [2]

وكما هو واضح فإن ارتكاب المعاصي، والجرأة على حدود الله في السر والعلن كانت سبباً في نزول المصائب، ولقد ألقى الفقيه أبو الحسن بن الجد[1]على حكام الطوائف تبعة التقصير الذي خلف نتائج في غاية السوء وأدى إلى انهيار الإمارات الإسلامية:

---

[1] ابن بسام، الذخيرة ق1، ج2، ص944.

[2] المقري، نفح الطيب، ج2، ص592.

أرى الملـــوكَ أصـــابتهم بأنـــدلسٍ دوائـــرُ الـــسوءِ لا تُـــبقي ولا تـــذرُ
ناموا وأسرى لهم تحـتَ الـدُّجى قمـرٌ هـوَى بـأنْجمهم خَـسْفاً ومـا شَـعروا
وكيـف يـشعرُ مَـن كفَّـه قـدحٌ يحـدو بـه مُلْهِـياهُ النـايُ والـوترُ
صـمت مـسامعه فـي غيـر نغمتـه فمـا تمـر بـه الآيـاتُ والـسورُ
كـأنني بكـم قـد صـرتم سـمراً وما لكـم فـي الـورى عـين ولا أثـرُ
أمـاتكم قبـل مـوتٍ سـوءُ فعلكُـمُ وكيـف بالـذكر إذ لـم تُحْـسَن الـسِّيَرُ
تـلـقاه كالـفـحل مـعـبوداً بـمجلسه له خـوار، لكن حـشـوه خـورُ[2]

فالحكام انشغلوا كما يرى الفقيه بلهوهم ومجونهم، وتركوا الجهاد وتعلقت قلوبهم بالدنيا وزينتها فأصبحت قاسية، فلم تعد الآيات القرآنية الجهادية تجدي نفعاً عندهم، إنهم أمام وزرائهم كالفحول غير أن انتفاخهم انتفاخ الباطل ، ويلتقي هذا الفقيه مع أحد العلماء المجهولين الذي جاهر بنقد المأمون بن ذي النون[3] (حاكم طليطلة) عندما تقاعس عن نصرة طليطلة وانصرف وسط الأخطار التي كانت تحيط بطليطلة إلى بناء القصور المترفة وعيون النصارى تترصد طليطلة للانقضاض عليها، فقال:

أتبنـي بنـاءَ الخالـدينَ وإنمـا مقامُـك فيهـا لـو علمـتَ قليـلُ
لقـد كـان فـي ظـلِّ الأراكِ كـفـايةً لمـن كـل يـوماً يعتريـه رحيـلُ[4]

أما الشاعر المجهول فقد اعتبر أن الحكام والمحكومين متقاعسون على حد سواء بالجهاد في سبيل الله فيقول:

أضعنا حقـوقَ الـربِّ حتـى أضـاعَنا وقُـصِّتْ عـرى الإسـلام إلا يـسيرها
بمـا قـد كـسبنا نالنـا مـا أنالنـا كذا السيرةُ الـسوأى لـدى مـن يـسيرها
بـشقوتِنا الخـذلان صـاحب جـمعنـا وبـؤنـا بـأحوال يُـذَمُّ حـضورُهـا[5]

---

[1] هو حازم بن محمّد بن الحسن بن حازم الأنصاري، يكنى أبا الحسن، من سواحل كورة تدمير، من شرقي الأندلس، وهو خاتمة شعراء الأندلس الفحول، مع تقدمه في معرفة لسان العرب وأخبارها، (ت: 684هـ = 1287م). المقري، نفح الطيب، ج6، ص228.

[2] ابن بسام، الذخيرة، ق2، ج1، ص256، 257؛ المقري، نفح الطيب، ج6، ص211 .

[3] هو يحيى بن إسماعيل بن ذي النون، حكم من عام(435هـ - 467هـ=1043م- 1075م) استولى على إمارة بلنسية من حاكمها عبد العزيز العامري، زوج ابنته، وضمها إلى مملكته عام(457هـ = 1065م) وعزل عبد العزيز وعين أبا بكر عبد الله بن محمد بن مروان حاكماً بإسمه، وبعد موت المأمون انتهز أبو بكر الفرصة ونادى بنفسه أميراً عليها. ابن بسام، الذخيرة، ق4، ج1، ص110؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص12؛؛ المراكشي، المعجب، ص125؛ ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص266؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص176، ابن خلدون، العبر، ج4، ص261

[4] المقري، نفح الطيب، ج6، ص85.

[5] م.ن، ج4، ص485.

ولقد تبنى هذا التصور عالم آخر هو أبو موسى بن هارون الإشبيلي الذي وجه انتقاده للمجتمع لما يبديه من طاعة وخضوع لهؤلاء الحكام المتقاعسين الجبناء فيقول:

لما تفرقت الأهواء واضطرمت ثارَ البغاةُ فقامت للردى علماً

وتوزَّع الأمر أهلوه وقام به من لم يجد قدماً فيه ولا قدماً[1]

وفي عصر الطوائف كان أهل بَلَنْسِيَة من الإهمال والإغفال الشيء الكثير بشؤون الحرب، ومالوا إلى الدعة والراحة وأقبلوا على الملذات والأكل والشراب رغم أن العدو النصراني يتربص بهم الدوائر، فكان على سكانها أن يعيشوا حياة استعداد وحذر، ولكنهم ما برحوا يقيمون الاحتفالات متجمعين خارج مدينتهم في ثيابهم المترفة الحرير، فكمن لهم النصارى وأعملوا فيهم القتل والأسر الأمر الذي جعل أحد العلماء ينظم أبياتاً ينبذ تقاعسهم وجبنهم:

لَبِسوا الحديدَ إلى الوَغَى ولبْستُمُ حُلَلَ الحريرِ عليْكُمُ ألوانَا

ما كانَ أقْبحَهُمْ وأحْسَنَكُمْ بِها لوْ لمْ يَكُنْ بَبَطْرَنَةٍ مَا كانَا[2]

وهكذا كان دأب الشعراء المخلصين لدينهم كالجندي في الميدان يجاهد بكلماته منتقداً ومحمساً ومثيراً لشعور المسلمين من أجل الذود عن مقدساتهم.

---

[1] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص382.

[2] المقري، نفح الطيب، ج6، ص190.

المبحث الثاني

موقف العلماء من المتقاعسين عن الجهاد زمن حكام المرابطين

إن دولة المرابطين لم تدخر جهداً في الدفاع عن حرمة الديار الإسلامية، وبذل القادة قصارى جهدهم في إبعاد الخطر النصراني والتصدي للحملات الصليبية؛ فلم يتسلل التقاعس والتخاذل إلى نفوسهم، غير أن هناك إشارات تاريخية تدل على وجود قليل من القادة المتخاذلين في أواخر دولة المرابطين، فانبرى عدد من العلماء بلومهم لعدم صمودهم في جبهات القتال ومن ذلك ما وجهه قاضي مدينة سَرَقُسْطَة برسالة إلى الأمير تميم بن علي بن يوسف بن تاشفين[1] حين فر أمام جيوش ألفونسو المحارب (512هـ=1118م) حتى أوشك الأعداء على أخذ مدينة سَرَقُسْطَة، فاتهم الأمير بضعف الإيمان والجبن فقال "إن من ضَعْف الإيمان وأشد الضَعْف الفرار من الضِعْف، فيكف من أقل من النِصْف، فما هذا الجبن والفزع، وما هذا الهلع والجزع، بل ما هذا العار والضبع؟ أتحسبون يا معشر المرابطين، وإخواننا في ذات الله المؤمنين، إن سبق على سَرَقُسْطَة القدر بما يتوقع منه المكروه والحذر، أنكم تبلعون بعدها ريقاً، وتجدون في سائر بلاد الأندلس ــ عصمها الله ــ مسلكاً من النجاة أو طريقاً ؟ كلا والله ليسومنكم الكفار عنها جلاءً وفراراً"[2] وكانت هذه الرسالة سبباً في قيام المرابطين بمحاولتين لاستعادة سَرَقُسْطَة لكنها باءت بالفشل[3].

وغالباً ما كان قائد الجيش ينال النصيب الأكبر من التوبيخ والذم في حالة الانهزام، ويتحمل مسؤولية تثبيت الجيش وحثه على الصبر في يوم الكريهة، فكيف بالقائد إذا كان أول الفارين، كما هو الحال في أبي محمد بن أبي بكر بن سير حين فر من معركة القلاعة سنة (523هـ = 1129م)، وحاول الاعتذار عن فراره لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، فلم يشفع له وطلب الأمير من كاتبه أبو محمد بن عبد الغفور الذي كتب رسالة يعنف فيها القائد لانهزامه أمام النصارى، ويوجه إليه الاتهامات التي منها الجبن والخذلان، ثم الفرار، وحضه على أن يكتم القائد خوفه في القتال عن مواجهة الأعداء، وعليه أن يتجلد ويتثبت أمام الأعداء[4]، ثم يوبخ الجنود، ويستنكر عليهم هزيمتهم بقوله: "عاقبكم الله بما أنتم أهله، فأنتم أشجع الناس أقفاءً وظهوراً، وأجبنهم

---

[1] هو الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين، أخو الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، ولي حكم غرناطة بين حكم (500-503هـ = 1106-1109م) ثم نقل إلى تلمسان بالمغرب الأوسط وعاد بعد ذلك إلى الأندلس فتولى حكم غرناطة مرة أخرى، وبعدها نقل إلى إشبيلية فحكمها سنة وبضعة شهور، ثم ولي على قُرْطُبَة وغرناطة، (ت:520هـ = 1126م) . ابن القطان، نظم الجمان، ص9 (هامش).

[2] مؤنس، الثغر الأعلى، ص134،135.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص586.

[4] الأصفهاني، خريدة العصر، ج3، ص432.

وجوهاً ونحوراً، ليس منكم من تدفع به كريهة، ولا عندكم في الرشد روية ولا بديهة، فمتى وأي وقت تفلحون، ولا شيء بعد ذلك تصلحون"[1].

وكانت وقعة القلاعة (523هـ = 1129م) من الهزائم الكبيرة التي مني بها المرابطون؛ لذا فقد كتب مروان بن أبي الخصال[2] رسالة أخرى، على لسان الأمير علي بن يوسف يذم فيها المنهزمين في الوقيعة نفسها، ويحضهم على الثبات في ساحة المعارك المقبلة، ومما قاله في ذم المنهزمين: "يا فرقة خبثت سرائرها، وطائفة انتفخ سحرها، وغاض على حين مدها بحرها، فقد آن للنعم أن تفارقكم، وللأقدام أن تطأ مفارقكم"[3]، ثم يصب جام غضبه على القائد قائلاً "أي بني اللئيمة أعيار الهزيمة، إلام يزيفكم الناقد، ويردكم الفارس الواحد، فليت لكم بارتباط الخيول، لقد آن أن نوسعكم عقاباً، وألا تلوثوا على وجه نقاباً، وأن نعيدكم إلى صحرائكم، ونطهر الجزيرة من رحضائكم"[4]

وقد أثارت هذه الرسالة المليئة بالتقريع والتهجم حفيظة أمير المسلمين عليّ بن يوسف، فعزل ابن أبي الخصال بسببها عن عمله في الديوان؛ لأنه بالغ في إهانة المرابطين.[5]

وكان ابن الصيرفي أحد العلماء الذين تأثروا من حالة الهزائم المتكررة التي أصابت جيش المرابطين في أواخر عهدهم فقال في قصيدةٍ يلوم المرابطين:

أنّى فزعتُم يا بني صنهاجة ... وإليكم في الروع كان المفزعُ
ما بال سيدكم تورط لم يكن ... لكم التفات نحوه وتجمعُ
تلك التي جَرَّتْ عليكم خطةً ... شنعاء وهي على رجالٍ أشنعُ
ألا رعيتُمْ ذاك وأحسابكم ... وأنفتم من قالةٍ تستشنعُ
أبطأتم عن تاشفين ولم يزل ... إحسانه لجميعكم يتسرعُ[6]

ولقد هاجم أبو بكر بن العربي المتقاعسين عن الجهاد، ووصفهم بالثعالب في سياق حديثه عن تفسير قوله تعالى: (انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [7]، ومما قاله:" يجب نفير الكل إذا تعين الجهاد على الأعيان بغلبة العدو على قطر من

---

[1] مؤنس، الثغر الأندلس، ص140.

[2] هو مروان بن أبي الخصال الغافقي، من سكان شقورة، سكن قُرْطُبَة مع أخويه أحمد وأبو عبد الله، كان محدثاً فقيهاً يجلس طلبة العلم حوله للأخذ عنه وكان من رجالات الأندلس رجاحة وشهامة، كان من أعظم النثريين الأندلسيين في ذلك الحين، وألف كتاب سراج الأدب. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص51؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص124.

[3] ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص18.

[4] المراكشي، المعجب، ص114.

[5] مؤنس، الثغر الأندلس، ص141.

[6] ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص414.

[7] سورة التوبة، آية 41.

الأقطار، أو بحلوله بالعُقْر، فيجب على كافة الخلق الجهاد والخروج إليه، فإن قصروا عصوا، ولقد نزل بنا العدو[1]، فجاس ديارَنا، وأسر جيرتنا، وتوسط بلادنا في عدد هال الناس عدده، وكان كثيراً، وإن لم يبلغ ما حدّدوه، فقلت للوالي والموالي عليه، هذا عدو الله، قد حصل في الشَّرَك والشَبكة، فلتكن عندكم بركة، ولتظهر منكم إلى نصرة دين الله المتعيّنة عليكم حركة، فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع الأقطار فيحاط به، فإنه هالك لا محالة إنْ يسركم الله له، فغلبت الذنوب، ووجفت القلوب بالمعاصي، وصار كل أحد من الناس ثعلباً يأوي إلى وِجاره، وإن رأى المكروه بجاره، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل "[2] كما حذر من ظاهرة التقاعس عن الجهاد وأنذر المتقاعسين بعقاب ينزله الله عز وجل عليهم مثل حبس المطر أو سيطرة العدو على مقدرات ومقدسات البلاد، أو أن يستبدل الله المتقاعسين عن الجهاد بجماعة مؤمنة مخلصة لدينها، هذا فضلاً عن عذاب الآخرة [3]، وانتقد ابن العربي الذين يكنزون أموالهم، أو أولئك الذين يسرفون ويبذرون أموالهم في متاع الدنيا من شراب وطعام، لكنهم لا يتصدون لفك الأسرى، أو تجهيز المجاهدين بعدة الحرب[4].

---

[1] هي حملة ألفونسو المحارب الشهيرة التي انطلق بها من شمال الأندلس مخترقاً المدن حتى وصل جنوبها، وبهذا فقد اخترق الأندلس من أقصاه إلى أقصاه متحدياً المسلمين، حيث خرج في عام(519هـ = 1126م) على رأس قواته وهاجم بلنسية التي تصدت له حاميتها المرابطية، وخلال الهجوم انضمت إليه جموع النصارى المعاهدين في بلنسية، وكانوا أينما حل ينضمون إلى جيشه ليدلونه على الطرق والمسالك، ويكشفون له على عورات البلاد، ثم هاجم جزيرة شقر ودافع عنها أهلها، ثم واصل زحفه مخترقاً كل شرق الأندلس مارا بشاطبة ودانية ومرسية، وواصل تقدمه في قلب الأندلس، وفي هذه الأثناء كانت قوات المرابطين تتجمع ثم بدأت تتبع جيوش ألفونسو وملاحقتها، وقامت باشتباك معه مراراً لكنها لم تدخل معه في معركة فاصلة، ولقد خسر كثيراً من جنوده أثناء هذه الاشتباكات، ثم وصل جنوب الأندلس، وعاد إلى قاعدته سرقسطة بعد خمسة عشر شهراً في هذه الحملة. ينظر: السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك النصرانية، ص253.

[2] أحكام القرآن ج2، ص943.

[3] م.ن، ج2، ص938.

[4] م.ن، ج2، ص921، 922.

المبحث الثالث

موقف العلماء من المتقاعسين عن الجهاد زمن حكام الموحدين

احتدم الصراع بين المسلمين والصليبين في الأندلس في عهد الموحدين، وقام عدد من العلماء بدورهم المنشود في تحريض الحكام والناس على الجهاد، وفي الوقت نفسه وجهوا نقداً شديداً إلى من ظهر منه الجبن أو التقصير في واجب الجهاد؛ فهذا أبو موسى بن هارون، الذي صدر عنه كلام يدل عن نفس متحسرة، يصف سوء الأوضاع في الأندلس وتردي أحوالها ويحمل المسلمين مسؤولية الدفاع عنها، وإنقاذها من الكفر– على حد وصفه– الذي أرهق أهلها، وتركهم جثة هامدة، وهو في قصيدته لا يعذر المسلمين الأندلسيين أبداً في ركونهم للدنيا وتقصيرهم عن إنقاذ مدن الأندلس فقال:

ماذا يبطِّئكُم عنَّا وحولكُم ... أنْ تُبصروا دارَ قومٍ أصبحت رمَمَا

وحقُّنا واجبٌ في الدينِ يمنعنا ... مع الجوار الذي ما زال منتظما

سطا بها الكفرُ إذ قل النصير بها ... فمن معز بها الإسلام ما سلما

لا عذرَ في تركها للكفرِ مُسْلَمةً ... إنّ الزمانَ وأنتم فيه ما عقمَا

كم نستغيثُ ولا أنصار يصرخنا ... ونستطبُ لداءٍ طالما حسما

لم يبق فينا سوى الأنفاس خافتةً ... فكلنا في وجودٍ يشبهُ العَدَما[1]

وبعد هزائم عدة مُني بها الجيش الموحدي وأوشكت إشْبِيْلِيَة على السقوط بعث ابن سهل الأندلسي قصيدة يقرع فيها جيش المسلمين لتخاذلهم عن نصرة دينهم، ويحثهم على الجهاد، ومما قاله فيها:

يا مَعشَرَ العُرْبِ الَّذينَ تَوارَثوا ... شِيَمَ الحِمِيَّةِ أَكبَراً عَن أَكبَرِ

نادى الجِهادُ بِكُم لِنَصرٍ مُضمَرٍ ... يَبدو لَكُم بَينَ العِتاقِ الضُمَّرِ

وَلَو أَنَّكُم جَهَّزتُمُ عَزماتِكُم ... لَهَزَمتُمُ مِنها العَدُوَّ بِعَسكَرِ

الدينُ ناداكُم وَفَوقَ سُروجِكُم ... غَوثُ الصَريخِ وَبُغيَةُ المُستَنصِرِ

وَالخَيلُ تَضجَرُ في المَرابِطِ حَسرَةً ... أَلاَّ تَجوسُ خلالَ رَهطِ الأَصفَرِ

أَينَ الحَفائِظُ ما لَها لَم تَنبَعِث ... أَينَ العَزائِمُ ما لَها لا تَنبَري

أَيَهُزُّ مِنكُم فارِسٌ في كَفِّهِ ... سَيفاً وَدينُ مُحَمَّدٍ لَم يُنصَرِ

جِدّوا وَنَمّوا بِالجِهادِ أُجورَكُم ... ما خابَ قَصدُ مُشَمِّرٍ وَمُثَمِّرِ[1]

[1] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص385.

فالشاعر هنا يأمر العرب المسلمين بخوض حوض المنايا جهاداً في سبيل الله وضماناً لهم بالنجـــاح في دنياهم، ثم يذكرهم بأنّ المسلمين والعرب أهل حمية ونخوة، ورثوها عن أجدادهم، ثم يـــستنكر عليهم عدم استعدادهم للجهاد وتقاعسهم عنه، إذ لو سلكوا سبل الجهاد لهزموا العدو بلا ريب بسبب شجاعتهم، وهو بذلك يستنهض عزائمهم، ويشعل ما خمد من رجولتهم، ثم يستنكر عليهم
عدم إخراج السيوف من أغمادها، وخيولهم ضجرت من طول البقاء في رباطها، ويعنفهم بسبب هذا الجبن والخوف وعدم الثأر لدين محمد ﷺ .
وقد أنكر أحد علماء مُرْسِيَة على الخليفة العادل تقاعسه عن الغزو وتأخره عن الجهاد والمسلمون لا يأمنون على حياتهم.

ولـــيسَ الـــصليبُ يـــرى مانِعَـــاً لغيـــــر تـــــواتر إعـــــدامنَا
وســـيّدُنا ناظِـــــرٌ فـــي الجـــوازِ يـــرومُ الـــنـــجـــاة بـــإســـــلامِـــنَا[2]

و نتيجة لسقوط عدد من المدن الإسلامية، نظم أبو البقاء الرندي قصيدة يبكي فيها هذه المدن، منتقداً فيها أولئك المتقاعسين عن فريضة الجهاد ومما قاله:

يا راكـــبين عتـــاقَ الخيـــلِ ضامرةً كأنّهـــا في مجـــال السّـــبـــق عِقبـــــانُ
وحامـــلينَ سُيـــوفَ الهندِ مرهفـــةً كأنّهـــا في ظـــــلامِ النّقـــــع نِيـــرانُ
أعندكـــم نبـــأ من أهلِ أندلسٍ؟ فقـــد ســـرى بحديـــثِ القـــومِ رُكبـــانُ
كم يستغيث بنا المستضعفـــون وهم قتـــلى وأســـــرى فمـــا يهتـــز إخوانُ؟[3]

ولقد ذم العلماء سكان الأندلس وما هم فيه من ترف وانغماس بالذنوب، وكانوا يربطون بين الذنوب والمصائب التي حلت ببلاد الأندلس، وأفضت إلى سقوط كثير من مدنها بأيدي النصارى ، فكـــانوا يحثون المسلمين على الإقلاع عن المعاصي، ويرشدونهم إلى وجوب تطهيـــر النفـــوس، وتنقيـــة الضمائر، ويظهرون العلاقة بين الذنوب والهزائم المتكررة[4] ، ومما قاله الفقيه ابن أبي الخـــصال في إحدى خطبه " ألا تَسْـــتوحِشُون لتباريح العصر، وركود ريحِ النَّصر، وتـــداعي أمـــمِ الكفـــر، وإجفَالنا عن مقاومتهم إجفال العُفْر، ألا نقلع عن الذنوب التي فتَّتْ أعضادنا، وقَـــضَتْ باهتـــضامنا

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج1، ص481.
[2] المقري، نفح الطيب، ج1، ص481؛ الحميري، الروض المعطار، ص415
[3] المقري، نفح الطيب، ج6، ص232؛ أزهار الرياض، ج1، ص47.
[4] حمدان، أدب الزهد في عصر المرابطين والموحدين بالأندلس، " رسالة دكتوراه غير منشورة" ، جامعة عين شمس، ص234.

واضطهادنا"[1] ، كما انتقد العلماء إقبال أهل الأندلس على الدنيا، وتهافتهم على متاعبها، وتقاعسهم عن الجهاد، ومن ذلك ما قاله ابن أبي الخصال : " كلا، لا عَتْبَ لكم عليها، قد أمّتكم جهارا بأحْجارها، ولدغتكُمْ مراراً من أجحارها ، وعمَّتكم صغاراً بذحولها وأوتارها، وأنتم تَتَهافتون تهافت الفراش على حُطامها ونارها، انفضوا رحمكم الله بها نفضاً، وأجمعوا لها كما رفضتكم رفضاً، واستبدلوا من نصب غُرُورِها بالزهدِ فيها وخفضا،...فاستَقِلّوا رحمكم الله عثاركم، واستقبلوا عدوكم وخذوا ثأركم، وخلّدوا في صُحف القبول آثاركم، وأخلصوا لله طاعتكم، وحققوا إنابتَكم وضراعَتْكم " [2]

وممن تخاذل عن الجهاد وتنكب طريق الحق محمد بن سعد بن مردنيش، وارتبط مع النصارى بمعاهدات واتفاقيات عسكرية، وكان مسبقاً أحد قادة المرابطين، ولكن بعد ضعف سيطرة المرابطين على الأندلس، مال ابن مردنيش إلى النصارى وتعاون معهم[3] وقد ضم الجيش كثيراً من المرتزقة من النصارى ، وبنى لهم ثكنات عسكرية وزودها بأسباب الرفاهية والحانات، وأغدق عليهم الصلات الوفيرة من المال والإقطاعات، بل قاتل جنباً إلى جنب مع النصارى ضد المسلمين، وحاول أكثر من مرة اقتحام المعسكر الإسلامي لإنجاد النصارى المحصورين[4] ، وفي عام (554هـ =1161م) اتجه بجيشه – بدعم من قوات نصرانية – لمحاصرة قُرْطُبَة فنازلها، ودمر زروعها، لكنها صمدت في وجهه، لذا توجه إلى إشبيلية فحاصرها وعانى أهلها كثيراً جراء هذا الحصار[5]، وتركت تصرفات ابن مردنيش أصداء عند العلماء ، فقد حملوا عليه بشدة، وصبوا جام غضبهم عليه، ونعتوه بأبشع الصفات، كما هو الحال عند ابن سيّد حيث يقول:

جنَّ ابنُ سعدٍ بالنفاقِ جنونه ... وطَغَى إلى أنْ بَاتَ فيهِ الأوْلَقُ[6]
نُظِمَتْ لهُ جردُ العتاقِ تمائم ... ليستْ على أهْلِ الجنون تُعلّقُ
فَقَضَى حَصيراً إذْ تَيقّنَ أنّه ... إمّا قتيلٌ أو أسيرٌ موثَقُ
غرّ الشقّيُّ بِنْأيكُمْ عَنْ أرضِهِ ... جهلاً، وظنّ بِأنَه لا يُلْحَقُ
أومَا رأى شمسَ الضحى في جَوّها ... والمغربُ الأقصى لها والمَشْرِقُ

---

[1] حمدان، أدب الزهد في عصر المرابطين والموحدين بالأندلس، ص234، نقلاً عن رسائل ابن أبي خصال، ص528.

[2] ر. ن، ص234، نقلاً عن رسائل ابن أبي خصال ، ص526.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص132.

[4] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص33.

[5] ابن صاحب الصلاة، المن، ج2، ص116.

[6] الجنون.ابن منظور، لسان العرب،ج8، ص410.

وقد كان العلماء المسلمون مدركين مدى خطورة تحالف ابن مردنيش مع النصارى، فهو يعضد عقيدتهم، ويخدم سياسته الإجرامية، ويثبت وجودهم في البلاد الإسلامية، لذلك فقد توعده ابن المنخل الشلبي، وهدده بمصيره النحس، وصوره بأنه رجل ضال، خُدع بالنصارى، ومما قاله:

وأرى الشقّيَّ ابنَ الشقّي تغرُّهُ فئةٌ أضلَّ ضَلالَها إسلامها
فلسوفَ يصبحُ بالفضاءِ مُجدَّلا إنْ لم تُطَهِّرْ نفسُه آثامَها
ويمدُ للتوحيدِ كفّ ضراعةٍ بعتابِ نفسٍ رافَضاً إجرامَها[1]

ويصف أبو القاسم الرندي[2] شخصية ابن مردنيش بأنه إنسان خارج عن الدين بسبب تعاونه مع الأعداء، فهو يقول:

أمّا ابنْ سعدٍ فهو أوّلُ مارقٍ يا ليتَهُ بأبيهِ سَعْدٍ يَكْتَنِي[3]

ولقد عاش الإمام القرطبي[4] وشهد أهم وقعتين جرتا في عصره وهما الأرك والعقاب، ولقد امتد به العمر ليشاهد سقوط عدد من المدن الأندلسية، وقد أهاجت هذه الهزائم المتتالية نفس الإمام القرطبي على الحكام والولاة الذين تخاذلوا وضعفوا وهانوا واستكانوا، وانصرفوا عن الجهاد إلى الملذات، واستغرقوا في الشهوات، فهاجمهم بعنف وأغلظ عليهم، وقرعهم ووبخهم وأعلن أنه لا طاعة لهم، وأن مدحهم والتقرب إليهم وملازمتهم من عمل السوء والانقياد إلى الشيطان.

ومما قاله في أهل عصره: " ولم يزل المسلمون بالأندلس يرجعون القهقرى إلى أن استولى عليهم، وغَلَبَتْهم الفتن الواقعة بينهم، والتفصيل يطول، ولم يبق الآن من الأندلس إلا اليسير، فنعوذ بالله من الفتن والخذلان، والمخالفة والعصيان، وكثرة الظلم والفساد والعدوان"[5]، ولقد سَّجل القرطبي سبب تقهقر المسلمين في الأندلس ومما قاله في أهل عصره: " إنهم تركوا الجهاد، وجَبُنُوا عن القتال،

---

[1] ابن صاحب الصلاة، ج2، ص460.

[2] هوأخيل بن إدريس الرندي، أحد الكتاب والشعراء المجدين، (ت:560هـ = 1165م). ينظر: الحلة السيراء، ج2، ص241؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج1، ص335.

[3] المقري، نفح الطيب، ج2، ص202.

[4] هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، يكنى أبا عبد الله، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين، الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، متبحرٌ في العلم، وله تصانيف كثيرة تدل على كثرة إطلاعه، ألف كتاب جامع أحكام القرآن، وكتاب التذكرة بأمور الزهد والقناعة، وكتاب التذكار في أفضل الأذكار وغيرها الكثير. المشيني، مدرسة التفسير في الأندلس، ص99.

[5] التذكرة لأحوال الموتى، ص736.

القتال، وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأي بلاد، وأسر وقتل وسبى واسترق، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ذلك بما قدمت أيدينا وكسبت"[1].

وقال مقراً بعيوب عصره "ولجهلنا، وغلبة شهوتنا علينا، وظفر عدونا اللعين بنا، صرنا أحقر من الفِراش وأذل من الفَراش، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " [2] واستنكر القرطبي على مسلمي الأندلس كثرة الذنوب وفساد الأخلاق قال: " هذا هو الزمان الذي قد استولى فيه الباطل على الحق، وتغلب فيه العبيد على الأحرار من الخلق، فباعوا الأحكام، ورضي بذلك منهم الحكام، فصار الحكم مكسا، والحق عكسا، لا يوصل إليه، ولا يقدر عليه... بدلوا دين الله، وغيروا حكم الله، سمّاعون للكذب، أكّالون للسحت... الأعمال القبيحة، والنيات الفاسدة، منعت من ذلك[3].

واستهجن القرطبي ظاهرة الفرار من العدو في المعارك، وأرجع ذلك بسبب الذنوب والمعاصي الشائعة بين الأندلسيين، ومما قاله: " حتى ينكسر العدد الكبير منا قدام اليسير من العدو، ... كل ذلك بما قدمت أيدينا...، فالأعمال فاسدة، والضعفاء مهملون، والصبر قليل، والاعتماد ضعيف، والتقوى زائلة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [4]، وقال أيضا (قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [5]وقال أيضا: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)[6] وقال: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ [7] وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[8]، فهذه أسباب النصر وشروطه، وهي معدومة عندنا، غير موجودة فينا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، على ما أصابنا وحل بنا، بل لم يبق من الإسلام إلا ذكره، ولا من الِّدين إلا رَسْمُه، لظهور الفساد، ولكثرة الطغيان، وقلة الرشاد، حتى استولى العدو شرقاً وغرباً، براً وبحراً، وعمت الفتن، وعظمت المحن، ولا عاصم إلا من رحم "[9]

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص39.

[2] م.ن، ج14، ص122.

[3] الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص179.

[4] سورة آل عمران، آية 200.

[5] سورة المائدة، آية 23.

[6] سورة النحل، آية 128.

[7] سورة الحج، آية 40.

[8] سورة الأنفال، آية 45.

[9] الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص255.

الفصل السادس

دور علماء الأنـــدلس في نشر الوعي العسكري

المبحث الأول: دور العلماء في بناء الجندي المسلم.

المبحث الثاني: دور العلماء في بناء القائـــد المسلم.

المبحث الثالث: دور العلماء في التعريف بالوسائل القتالية.

المبحث الأول

دور علماء الأندلس في بناء الجندي المسلم

شهدت الأندلس، خلال عهود الطوائف والمرابطين والموحدين، كثيراً من الحروب والمعارك مع النصارى، وقام العلماء خلال ذلك بدور جهادي آخر وفقاً للظروف الحربية السائدة يتمثل في إسداء النصائح والإرشادات ذات الطابع العسكري للقادة والجنود وتوجيههم إلى ما فيه سلامة الجيش والنيل من العدو، وكانت هذه النصائح إما على شكل رسائل إلى القادة[1] أو تسجيلها في مؤلفاتهم العلمية[2]، واختص عدد من هذه المؤلفات في دراسة الحروب والمعارك، كما يذكر الطُّرطُوشِيّ: "واعلموا أن الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتباً، ورتبوا فيها ترتيباً، فلا يسع أهل سائر الأقاليم حملها"[3] وتتضمن هذه المؤلفات إشارات عسكرية عدة مثل تعبئة المواكب والحيل العسكرية والأساليب القتالية وطرق الدفاع والهجوم[4]، وتكون هذه الإرشادات العسكرية أحياناً على شكل قصائد شعرية.[5]

ومن وجهة نظر بعض العلماء أن ثقافة الحروب من الأهمية بمكان، لذا وجب تعلمها، فمن ذلك ما ذكره الفقيه ابن هذيل: "وأما الثقافة والعلم في المحاربة فمن الواجب المؤكد تعلمها" [6].

إن الإرشادات العسكرية والتوجيهات العديدة في فنون القتال تقود إلى حقيقة إلمام العلماء بالفقه العسكري، وهذا من نتاج انخراط العلماء في الصفوف الأولى لكتائب المجاهدين بالشكل الذي أتاح لهم فرصة تكوين مبادئ وتفصيلات الفقه العسكري بالإضافة للفقه الديني.

ولقد أسهم علماء الأندلس في بناء الجندي الأندلسي من خلال مؤلفاتهم التي بينوا فيها صفات الجندي المسلم وسبل إعداده، فالجند هم "حماة البيضة والذّادّون عن الحرمة، والدافعون عن العورة، وهم جُنَنُ الثغور، وحراس الأبواب، والعِدَّةُ للحوادث، وإمداد المسلمين، الحَدّ الذي يلقى العدو، والسهم الذي يرمى به، والسلاح المدفوعُ في نحره، فيهم يُذب عن الحريم، وتؤمن السبل، وتسد الثغور، وهم عزُ الأرض، وحماة الثغور، والذَّادةُ عن الحريم، والشوكة على العدو"[7]، ولأن الجندي المجاهد مهم – كما سبق – فمن الضرورة أن يتحلى بخصال وصفات عدة ومنها:–

---

[1] مجهول، أخبار مجموعة، ص152.

[2] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص677–690؛ المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص165 ؛ ابن هذيل، عين الأدب والسياسة، ص296.

[3] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج،2، ص678.

[4] م. ن، ج2، ص678.

[5] العبر، ابن خلدون، ج1، ص338.

[6] عين الأدب والسياسة، ص300.

[7] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص492.

أولاً: تزكية النفس والاستعداد الروحي للقتال:

فعلى المجاهد أن يستعد روحياً للمعركة قبل الاستعداد بأسباب القوة؛ لأن المجاهدين يقاتلون بأعمالهم، فقبل لقاء العدو يجب "أن يقدم عملاً صالحاً، من صدقة وصيام، ورد مظلمة، وصلة رحمٍ، ودعاءٍ مخلصٍ، وأمرٍ بمعروفٍ، وتغيير منكرٍ"[1]، وإذا ما كان المجاهدون لدين الله ورسوله ناصرين فإن الله تبارك وتعالى سيمدهم بالنصر المؤزر[2] مصداقاً لقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)[3]، أما الذنوب والمعاصي فهي تجر الفرار والانهزام، وهي قاعدة عسكرية راسخة أكدها الله عز وجل[4]، بقوله: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) [5] .

كما أن الفقيه ابن عبد البر يحذر من الذنوب التي تؤدي في النهاية إلى الهلاك، أو تأخير النصر ويستشهد على ذلك من التاريخ الإسلامي فعندما جاء وفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتح أحد الأقاليم سألهم: متى لقيتم عدوكم؟ قالوا: أول النهار، قال: فمتى انهزموا؟ قالوا: آخر النهار، فقال: إنا لله! أو قام الشرك للإيمان من أول النهار إلى آخره!! والله إن كان هذا إلا عن ذنب أحدثتموه بعدي، أو أحدثته بعدكم".[6]

ومن الأبيات الشعرية التي قيلت[7] في هذا المجال:

يا أملَ النصر العزيز على العدا ... أجب الهُدى تسعدْ به وتؤيَّدِ

سر النجاةِ إلى النجاة مُشمِّراً ... إن الهدى لهو النجاة لمن هُدي

يا من يقول غداً أتوب ولا غدٌ ... ألديكَ علمٌ أنْ تعيشَ إلى غدِ

هذا الجهاد رئيسُ أعمال التُّقى ... خذ منه زادك لارتحالك تسعدِ

هذا الرباط بأرض أندلسٍ فَرُحْ ... منه لِمَا يُرضي إلهك واغتدِ

سوّدتَ وجهَك بالمعاصي فالتمسْ ... وجهاً للُقيا الله غيرَ مسوَّدِ[8]

وكذلك ما ذكره ابن هذيل عن صفات المجاهدين:

إذا شهدوا الحروب رأيت أُسْداً ... تهشّ كرامةً نحو الطِّعان

فهم بِيض وفي الإيمان بِيضٌ ... فما تدري مَن السيفُ اليماني[9]

---

[1] م. ن، ج2، ص678.

[2] م. ن، ج2، ص691.

[3] سورة محمد، آية 7.

[4] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص691.

[5] سورة آل عمران، آية 155.

[6] ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج2، ص469.

[7] قائل هذه الأبيات الشعرية هو عبد الله بن المرابط. ابن خلدون، العبر، ج7، ص262.

[8] ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص262.

[9] عين الأدب والسياسة، ص300.

ولا يقتصر الاتصال بالله تعالى على بداية المعارك، فذكر الله من الأفعال الحسنة التي حث الله عز وجل عليها أثناء قتال الأعداء،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [1]، وقد أكد العلماء[2] على ضرورة الإكثار من ذكر الله في ميدان الجهاد؛ فذكر الله يعين على الثبات في الشدائد، ويساعد على ثبات القلب وسكونه عند جزع القلوب[3]، بالإضافة لذلك فإن الذكر سببٌ في النصر على الأعداء؛ إذ إن الله تعالى هو عصمة المستنجد ووزر المستعين[4]، ويذكر أبو حيان الأندلسي[5] أن السكينة تتنزل على الجنود عند التحام القتال؛ حيث يصاب الجندي بحالة من الذهول عن كل شيء " فيعتريه مثل السكر، لهول الملتقى "[6] ويكون الذكر إما بالدعاء للمجاهدين بالصبر والنصر وإما بالدعاء على الكافرين بالخذلان والدمار.[7]

ثانياً: الشجاعة:

يذكر الإمام الطُّرطُوشِيّ أن الشجاعة هي "أم الخصال وينبوع الفضائل، ومن فقدها لم تكمُل فيه خصلة، وأصل الخيرات كلها في ثبات القلب، ومنه تستمد جميع الفضائل...والشجاعة غريزة يجمعها حسن الظن بالله تعالى وهي حالة متوسطة بين الجبن والتهور "[8] ، والشجاعة كما يراها الفقيه المرادي[9] هي "رباطة الجأش، وقلة التخوف في موطن البأس، فإن صحب ذلك الحذر والتوقي، ووضع القتال في مواضعه، كان ذلك شجاعة، وإن صحبه ترك التوقي، وقلة الحذر، ووضع القتال في غير مواضعه، كان هوجاً"[10].

أما الجبن فهو شدة الخوف، واضطراب الجأش، والنكول عن مواضع الحرب، فإن كان النكول عن مواطن الهرج لا غير ذلك، فهو تثبت، وليس بجبن[11] والجبن غريزة في أصل الخليقة

---

[1] سورة الأنفال، الآية 45.

[2] ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج2، ص471 ؛ ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج2، ص536 ؛ الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص493؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص17 ؛ ابن هذيل، عين الأدب، ص296؛ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج4، ص498 .

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص17.

[4] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص536.

[5] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج4، ص498.

[6] م. ن، ج4، ص498.

[7] م. ن، ج4، ص498.

[8] سراج الملوك، ج2، ص667.

[9] هو محمد بن الحسين المرادي الحضرمي، ولد في القرن الخامس، كان عالماً وإماماً في أصول الدين، والأدب، والشعر، وكان ذا حظ وافر في البلاغة والفصاحة، وقد أهلته هذه الصفات أن يتولى القضاء، وقد ألف كتاب الإشارة في تدبير الإمارة، الذي هو عبارة عن كتاب في الأخلاق موجه للحاكم المرابطي، (ت:489هـ =1076م). ابن بسام، الذخيرة، ق4، ج1، ص364؛ ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص548 .

[10] الإشارة في تدبير الإمارة، ص60.

[11] م. ن، ص60.

سببها سوء الظن بالله تعالى[1] ، والشجاع يقاتل عمن لا يؤدب به إلى رحله، والجبان يفر عن أهله وولده[2]

وقدم بعض العلماء علاجاً لحالة الجبن عند بعض الجنود فعليهم:-

1- الثقة المطلقة بأن الانهزام والفرار من ميدان الجهاد لا يؤخر الأجل، بل لعله السبب الرئيس في تعجيله، ففي المعارك التي تنتهي بالهزيمة يموت من الجبناء والضعفاء أكثر مما يموت فيها من الشجعان والأقوياء، فالجبن على هذا الأساس لا يؤدي إلى السلامة[3]، بل السلامة تكون كما يراها ابن عبد البر [4] في قوله :

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياةً مثل أن أتقدما

ويدلل الفقيه على قاعدته السابقة بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في كتابه إلى خالد بن الوليد: احرص على الموت توهب لك الحياة، ومن هذا قول الخنساء:

نهين النفوس وهون النفوس عند الكريهة أوقى لها[5]

و يعمق الطُّرطُوشِيّ الفكرة نفسها حين يوجه نداءً عاماً للجنود قائلاً: "واعلم أن الفار من القتال طريدة من طرائد الموت "ورب حياة سببها التعرض للوفاة، ووفاة سببها طلب الحياة... والفار يمكن من نفسه، والمقاتل يدفع عن نفسه... وثمرة الشجاعة الأمن من العدو[6].

2- تزويد الجندي نفسه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على الثبات[7] كقوله ﷺ : " لا تتمنوا لقاء العدو وإذا لقيتموه فاثبتوا ".

3- على الجندي دوماً أن يتذكر ما ينتج عن الجبن من العار والفضيحة والذلة وحرمان الحاجة، بخلاف الشجاعة فهي أكرم وأسلم، وغالباً ما تؤدي إلى الخلاص، وتقود للنصر والظفر، وهى من محاسن الأخلاق، وغرائز الكرام[8] واستقبال الموت خير من استدباره[9] ، ومن الأدوية المهمة لحالة الجبن طرد الجندي عن فكره كل الوساوس التي تقود للفرار والهزيمة، وأن يكون أول من هاجم الأعداء وآخر منصرف، مع الحذر والتوقي، والمدافعة في موضع الضر[10].

---

[1] المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص60؛ الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص667 .

[2] ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج2، ص475.

[3] المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص60.

[4] بهجة المجالس، ج2، ص468.

[5] م. ن، ج2، ص468.

[6] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص668.

[7] المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص60.

[8] م. ن، ص60.

[9] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص668.

[10] المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص60.

4- ومن الأمور التي تساعد على إزالة الجبن من نفوس الجنود أن عليهم أن يعلموا - بما لا شك فيه - أن كل مكرمة تكتسب لا تحقق إلا بالشجاعة، وجميع الفضائل ما لم تصاحبها الشجاعة لم تتحقق وكانت مخدوعة، فبالشجاعة ينتهي المؤمن عن النواهي ويأتمر بالأوامر، وبالشجاعة يصاب اكتساب الفضائل، وينتهي عن اتباع الهوى، ويصبر الجليس على إيذاء الجليس وجفاء الصاحب، وبالشجاعة يكتم الأسرار ويدفع العار، ويقتحم الأمور الصعاب، ويتحمل أثقال المكاره، ويصبر على أخلاق الرجال، وبالشجاعة تنفذ كل عزيمة ويضحك الرجال في وجوه الرجال وقلوبهم مشحونة بالضغائن والأحقاد[1]، في حين أن الجبن مقتلةٌ وضعف ومصدر للرذائل ومضرة على صاحبها[2] .

5- ومن الأمور التي تزيد من شجاعة الجندي أن يحمل أحد الجنود الأبطال على العدو وحده يحتسب نفسه على الله، ليقوي نفوس المسلمين ويدخل الشجاعة في قلوبهم، ويلقي به الرعب في قلوب الأعداء[3] وهو ما يعرف في أيامنا هذه "بالعمليات الاستشهادية".

ويرى بعض الفقهاء[4] أن الشجاعة تحسن في ثلاثة مواطن :-

أولها: عند التقاء الجيشين، وقبل بداية المعركة يخرج من صفوف المسلمين رجل إلى وسط المعترك، يحمل ويكر وينادي هل من مبارز؟

وثانيها: إذا التحم الجيشان واشتد القتال، يكون الجندي رابط الجأش، ساكن القلب، لم يُخالطه التردد والاضطراب.

وثالثها: على الجندي إذا انهزم أصحابه أن يقوي قلوب أصحابه ويشجعهم بالكلام الحماسي ويقوي عزائمهم، ويكون أكثرهم شجاعة "فالمقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين[5].

ثالثاً: الثبات في ميدان القتال:

يرى الإمام الطُّرطُوشِيّ أن المقصود بالثبات هو "الجد عند اللقاء، والصبر عند البلاء، فإن كانت لهم الغلبة فليمعنوا في طلب الأعداء، وإن تكن عليهم فليكسروا الأعنة، وليجمعوا الأسنة"[6].

ومن المزايا الواجب على المجاهد التحلي بها - من وجهة نظر العلماء - الثبات في ساحة الوغى، وهى ملازمة للشجاعة فالجندي بالشجاعة يقاتل وبالثبات يزيد في شجاعته وتشتد بها حميته[7] ، كما إن الثبات في القتال يؤدى إلى النصر والظفر على الأعداء؛ لذا فإن الفقيه ابن هذيل

---

[1] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص670.

[2] الطُّرطُوشِي، ج2، ص671 ؛ المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص60.

[3] ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص116؛ ابن رشد، البيان والتحصيل، ج2، ص564.

[4] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص671.

[5] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص671.

[6] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك ، ج2، ص493.

[7] المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص37.

يؤكد على هذا المعنى حينما يخاطب الجندي المسلم بقوله:"اعلم أن الحرب معالمها الصبر... فثمرة الصبر التأييد"[1]، كما إن الفقيه الطُّرطُوشِيّ يذكر " إن الحرب أولها الكلام وآخرها الموت، وهي مرة المذاق إذا كشفت عن ساقها، من صبر فيها انتصر وعَرَفَ، ومن ضعف عنها انهزم وتلف "[2] كما إنه يورد قصة حدثت في بلده طُرْطُوشَة تعمق أهمية الثبات للوصول إلى النصر؛ فقد خرجت سرية من المجاهدين إلى بلاد النصارى فبينما هم يسيرون إذ تفاجأوا بسرية كثيرة العدد من جنود النصارى فهاجموا المسلمين هجوماً خاطفاً، فثبت المجاهدون وتجلدوا ولم يهرب منهم أحد ثم كانت نهاية المطاف بأن جبن النصارى لثبات المسلمين وفروا منهم "ثم منحنا الله تعالى أكتافهم، فجعلناهم حصيداً"[3]، أما الفقيه ابن عبد البر فإنه يوظف الأبيات الشعرية التي تدفع باتجاه الصبر والثبات في أرض القتال، والتي منها

ويومٍ كأن المصطَلِينَ بحرِّه ... وإن لم يكن نارٌ قيامٌ على الجمْر
صبرنا له حتى تَقَضَّى وإنما ... تُفرَّج أيامُ الكريهة بالصبْر[4]

وأيضاً:

بكى ً صاحبي لما رأى الموت موقناً ... مطلاً كإطلال السحاب إذا اكفهرْ
فقلت له : لا تبكِ عَيْنُك إنما ... يكون غداً حسن الثناء لمن صبر[5]

ويورد الفقيه ابن عبد البر حواراً دار بين عمر بن الخطاب وجماعة من قبيلة عبس، وهذا الحوار فيه درس وعبرة لأهمية الثبات في أرض القتال، فقد سأل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) جماعة " من قبيلة عبس قال: فيم كنتم تظهرون على أعدائكم، ولستم بأكثر منهم؟ قال أحدهم كنا نصبر بعد الناس هنيهة "[6] .

رابعاً: عدم تحقير العدو:

ومن القضايا الخطيرة التي عالجها العلماء والتي من شأنها إلحاق هزيمة منكرة بالجيش الإسلامي، قضية الاستهتار بالعدو؛ وسبب ذلك – في الأغلب – هو الإعجاب بكثرة العدة والعتاد[7] ، قال الله

---

[1] عين الأدب والسياسة، ص300.
[2] سراج الملوك، ج2، ص689.
[3] م. ن، ج2، ص672.
[4] بهجة المجالس، ج2، ص471
[5] م. ن، ج2، ص472.
[6] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص469.
[7] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص698.

الله تعالى(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) [1]

وفي هذا الإطار يحذر الطُّرطُوشِيّ الجنود من هذه الآفة الخطيرة التي تعيق النصر وما هو مطلوب من الجندي؟ "أن لا يحقر عدوه وإن كان ذليلاً، ولا يغفل عنه وإن كان حقيراً فكم من برغوث أسهرَ فيلاً.... ومثل العدو مثل النّار إن تداركت أولها سهل إطفاؤها، وإن تُركت حتى استحكم ضرامُها صعب مرامها، وتضاعفت بليتها"[2] وفي موضع آخر يعود ويبدي تخوفه الشديد من الوقوع في شرك العجب قائلاً: "لكن أشد ما كنت حذراً ما كنت عند نفسك أكثر قوة وعدداً، من استضْعَفَ عدوه اغتر، ومن اغتر ظفر به عدوه"[3]

ويذكر الشاعر :

فلا تحقرن عدواً رماك وإن كان في ساعديه قِصَرْ

فإن السيوف تحز الرقاب وتعجز عمَّا تنال الإبَرْ[4]

وعلى الجندي أن يكون أشد ما يكون من عدوه حذراً ما كان عند نفسه أكثر قوة وعدداً، قال الشاعر:

ولا أتمنى الشر والشر تاركي ولكن متى أحمل على الشر أركب

ولست بمفراح إذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتقلب[5]

وفي إطار التوجيهات العسكرية للجنود المجاهدين فقد طرح العلماء مبادئ عسكرية عامة، فالفقيه ابن رشد يبين أن أهم الواجبات المطلوبة من الجندي هي طاعة القائد، والوفاء بالأمان، والثبات في ساحة القتال، وأن لا يفر واحد من اثنين [6]، وأما الفقيه الطُّرطُوشِيّ فيدعو الجنود المجاهدين إلى الالتزام بآداب الحرب، وهي كما يراها: الثبات في الميدان، وذكر الله كثيراً، وعدم التنازع، والصبر؛ لأنه لا نصر بدون صبر ثم يحذرهم من الاختلاف والتنازع [7]، ولأهمية وحدة الكلمة والصف فإنه يكرر نصائحه للجنود بالطاعة وعدم الاختلاف قائلاً "أيها الأجناد، أقلوا الخلاف على الأمراء، فلا ظفر مع اختلاف، ولا جماعة لمن اختلف عليه... وأول الظفر الاجتماع، وأول الخذلان الافتراق، وعماد الجماعة السمع والطاعة... أشعروا قلوبكم في الحرب الجرأة، فإنها سبب

---

[1] سورة التوبة، آية 25.

[2] سراج الملوك، ج2، ص677.

[3] م. ن، ج2، ص704.

[4] م. ن، ج2، ص704 ؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص219.

[5] ابن هذيل، عين الأدب، ص300.

[6] المقدمات الممهدات، ص355.

[7] سراج الملوك، ج2، ص690.

الظفر، واذكروا الضغائن، فإنها تبعث على الإقدام، والتزموا الطاعة فإنها حصن المحارب"[1] ثم يختم نصائحه للجنود المجاهدين" لا تجبنوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تغلوا عند الغنائم، وصونوا الجهاد عن عرض الدنيا"[2]

أما الفقيه ابن هذيل فهو يدعو الجندي إلى عدم بذل جهده وقوته في بداية المعركة خوفاً من التعب والعجز لاحقاً[3].

---

[1] م. ن، ص703، 704.

[2] م. ن، ص705.

[3] عين الأدب والسياسة، ص301.

المبحث الثاني

دور العلماء في بناء القائد المسلم

ساهم العلماء في وضع مواصفات عدة للقائد النموذجي حين يلتزم بعدد من المزايا، بالإضافة لذلك كانت لهم إسهامات إيجابية في عرض مجموعة من التوجيهات للقائد العسكري تكون له ذخيرة، فضلاً عما يملكه القائد ذو الأهمية القصوى في المعركة من خبرة فنية ومهارة قتالية لما له من دور كبير في إدارة شئون المعركة ووضع الخطط العسكرية.

والقائد – أولاً– من الضرورة أن يجمع صفات الجندي السابقة وإلا فإنه يفتقر لمقومات القيادة "فأسدٌ يقود ألف ثعلب خيرٌ من ثعلب يقود ألف أسد، فلا ينبغي أن يقدم على الجيش إلا الرجل ذو البسالة والنجدة، والشجاعة والجرأة، رابط الجأش، صادق البأس... فإنه إذا كان كذلك، وصدر الكل عن رأيه، كان جميعهم (الجنود) كأنه مثله... وإلا رد الغنم للزريبة"[1]، ولا يختلف الفقيه المرادي كثيراً عما سبقه من ذكر لصفات القائد، فالقائد يجب أن يكون له "وثبات كوثبات الأسد، وروغان كروغان الثعلب، وصبر كصبر الحمار، وهجمات كهجمات الخنزير، بكور كبكور الغراب، وعبادة كعبادة الهدهد"[2]

ومن أهم التوجيهات التي أسداها العلماء للقادة:

أولاً: اتخاذ الجنود الشجعان:

وضع الأندلس كثغر قريب ومجاور للعدو النصراني، فرض اتجاهاً عسكرياً عبر عنه بعض العلماء، وهذا الاتجاه العسكري يذهب إلى أن قوة الجيش تقاس بعدد شجعانه وأبطاله وليس بكثرة أعداده، لهذا على القائد أن يحرص على معرفة عدد الشجعان في جيش العدو عن طريق العيون والجواسيس[3]؛ لأن النصر والهزيمة كانا يتوقفان في الأغلب على عدد هؤلاء الشجعان، ويورد الفقيه الطُّرطُوشِيّ قصة حدثت في إحدى المعارك وهذه القصة نقلها عن شيخه أبي الوليد الباجي الذي ذكر أن المنصور بن أبي عامر في إحدى غزواته وقف يشاهد عدد وعدة جيوشه، وحوله عدد من الوزراء والقواد، فسأل المنصور قائد العسكر كم ترى عدد الجنود؟ فأجابه الكثير غير أن هذا القائد أغاظ المنصور بكلمةٍ صرح بها وهو أن هذا الجيش الذي يملأ السهل ويسد الأفق لا يضم إلا أقل من خمسين من الشجعان الأبطال، فسبه المنصور وعزله، فلما تصاف الجيشان، خرج أحد النصارى الأبطال يطلب المبارزة وتمكن من قتل أربعة من جنود المسلمين الواحد تلو الآخر، مما أدى إلى ارتفاع الروح المعنوية عند النصارى وضعفها عند الجنود المسلمين، فقيل للمنصور بضرورة إحضار قائد العسكر فهو أعلم بطبيعة جنوده، فلما حضر سمى بعض الجنود

---

[1] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص679.

[2] المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص38.

[3] م. ن، ج2، ص688.

وطلب منه الخروج لملاقاة هذا النصراني فتمكن المسلم من قتل النصراني، فقال قائد العسكر: "عن هؤلاء الرجال أخبرتك أنه ليس في عسكرك منهم خمسون"[1]، هذه القصة توضح أن قوة الجيش في رأي الطُّرطُوشِيّ كانت تقاس بعدد شجعانه وأبطاله.

وهناك قصة ثانية حدثت في الأندلس توضح أهمية اتخاذ القائد عدداً من الجنود الشجعان في جيشه وأن كفة الميزان في النهاية ترجح للجيش الذي يضم عدداً أكبر من الشجعان، فيروي الطُّرطُوشِيّ[2] أنه لما التقى جيش المستعين بن هود مع جيش نصراني على مدينة وشقة[3] وكان الجيشان متكافئين من حيث العدد فكلاهما يضم عشرين ألف جندي، فطلب قائد النصارى مِمّن يثق بخبرته العسكرية أن يجمع معلومات حول أشهر الأبطال والشجعان في جيش المستعين، وبعد مدة زمنية تبين بأن عددهم لا يزيد عن سبعة من الأبطال الشجعان وعدهم واحداً واحداً، ثم طلب هذا القائد منه الحصول على عدد ممن عرف بالشجاعة والإقدام في جنوده، فوجد عددهم يفوق عدد شجعان الجيش الإسلامي، فقال قائد النصارى ضاحكاً مسروراً "يا بياضك من يوم" [4] ثم بدأ بالحرب وثبت الفريقان حتى فنى أكثر العسكرين، فلما كان وقت العصر حمل النصارى على المسلمين حملة واحدة فتفرق جيش المسلمين ولم تمر إلا ساعة حتى انهزم جيش المسلمين، فأشار مقدم العسكر على السلطان أن ينجو بنفسه، وتمكن النصارى من احتلال مدينة وشقة ، [5] وهكذا يحاول الفقيه الطُّرطُوشِيّ جاهداً إقناع القواد بضرورة اتخاذ الجنود الشجعان، ومعرفة عددهم، ويختم هذه القصة بقوله "فليعتبر ذو الحزم والبصيرة مِنْ جمعٍ يحتوى على أربعين ألف مقاتل ولا يحضره من الشجعان المعدودين إلا خمسة عشرَ رجلاً، وليعتبر بضمان العلج بالظفر واستبشاره بالغنيمة لما زاد في أبطاله"[6]وإن وجود مثل هؤلاء الشجعان الأبطال يؤثر إيجاباً على درجة تماسك الجند وقدرتهم على الثبات في أرض المعركة؛[7] لذا على القائد "اصطناع الشجعان، واختيار الأبطال، وذوي البسالة والإقدام والجراءة "[8].

والنـــاس ألـــف منهمـــو كواحـــد ... وواحـــدٌ كـــالألف إن أمْـــرٌ عَنَـــى[9]

---

[1] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص681.

[2] م. ن، ج2، ص686.

[3] وشقة، مدينة حصينة قديمة، عليها سوران، من كور الثغر الأعلى الأندلسي، تقع على بعد خمسين ميلاً شمال شرقي سَرَقُسْطَة، وكان بها أكثر من ستين مسجداً . ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص377؛ الحميري، الروض المعطار، ص196؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص166.

[4] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص686.

[5] م. ن، ج2، ص686.

[6] م. ن، ج2، ص686.

[7] المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص37.

[8] م.ن، ص37.

[9] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص685.

ثانياً: توطيد علاقة القائد بالجندي:

وفي نسق التوجيهات العسكرية الصادرة من العلماء إلى القواد، فإنهم تناولوا طبيعية العلاقة الواجب على القائد اتباعها نحو الجنود، فالقائد يجب أن تتسم علاقته بالجنود بالوسطية، شديد في غير عنف وليِّن في غير ضعف[1] أو شدة في غير إفراط، ولين في غير إهمال[2]، وينبغي للقائد أن لا يغفل حوائج جنده ومرتباتهم فإن ذلك يؤدي إلى فساد قلوبهم واختلال أحوالهم[3] ، والمكافأة لهم على قدر بلائهم والتزامهم[4]، لذا وجب عليه أن يعرف لكل واحد منهم حق نجدته، ولا ينسى له محمود أفعاله[5]، وعلى القائد العام أن لا يكثر من الهبات فيستغني عنه الجند، ولا يضيق عليهم ويحرمهم من المال فيضجوا ويحنقوا عليه، وليعطهم عطاء قصداً[6]، كما ويستحب للقائد الأندلسي أن يكون جنده من أجناسٍ مختلفة، حتى لا يتهيأ لهم الاتفاق على الانقلاب والثورة عليه[7] .

ومن الأمور التي يجب أن يتجنبها إيثار أحد الجنود لقرابته أو أن يكأفئه بما لا يستحق، فإن ذلك يؤدي إلى نشر البغضاء والكراهية في صفوف الجنود[8].

وعلى القائد أن يراعي اختلاف طبائع الجند، وأنه من يصلح لأمرٍ ما، ليس من الضرورة أن يصلح لغيره، فالشجاع الذي لا رأي له، يصلح للقتال بنفسه، ولا يصلح مثلاً لإمارة إحدى السرايا أو الكتائب، والشجاع المدبر ذو الرأي الحسن والحيلة يصلح للقتال بنفسه، كما ويصلح لقيادة إحدى السرايا، فينبغي على القائد أن يضع جنده فيما يصلحون له ولا يولي أحداً منهم في غير موضعه[9].

ثالثاً: استخدام الخداع في الحروب:

من النظم العسكرية المسلم بها أن الحرب خدعة ومن أمثال العرب قديماً "رب حيلة أنفع من قبيلة"[10]، وفي الكثير من المعارك يتبين أن السبب الرئيس في انتصار أحد الجيشين هو الخديعة والحيل[11] .

---

[1] ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج2، ص234.

[2] م. ن، ج2، ص238.

[3] المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص37.

[4] ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج2، ص234.

[5] المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص37.

[6] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص493.

[7] المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص37.

[8] م. ن، ص39.

[9] م. ن، ص39.

[10] ابن خلدون، العبر، ج1، ص339.

[11] م. ن، ج2، ص339.

ولأهمية الخداع والدهاء في الحروب فإن بعض علماء الأندلس[1] عدها من الضروريات الواجب توفرها في القائد العسكري لاستخدامها في الحروب أولاً وليحترز منها حتى لا يقع في الخديعة.

والحيل هي من نتائج الفكر والتجارب، وهي مواد العقول، والحيلة في كثير من الأحيان أنجح من القوة[2]، وأبلغ من الجرأة[3] ، ومن أشكال الخداع في الحرب أن يسلك القائد طريقاً غير الطريق التي تصل للعدو حتى لا يتهيأ العدو للاستعداد الكافي لمواجهة جيش المسلمين[4]، وأيضاً أن يثبت جواسيس في جيش النصارى يستعلم أخبارهم ورؤساءهم وقادتهم وذوي الشجاعة منهم[5] ، وكذلك الاتصال بقادة جيش النصارى ويعدهم وعداً جميلاً بأن يعطيهم الهبات الفاخرة والأموال الكثيرة في حال الانسحاب من المعركة أو الغدر بالقائد العام لجيش النصارى[6]،أو إيهام القائد العام لجيش النصارى بأن قواد جيشه يضمرون الغدر به[7]، من خلال تزوير بعض الرسائل الصادرة التي تنبئ بوجود خيانة في صف جيش النصارى[8].

ومن أشكال الخديعة إيهام العدو بأن جيش المسلمين قد عقد اتفاقيات سرية مع قوى وأطراف أخرى استعان بها ضد النصارى[9] وذلك بأن يسقط بعض الأسهم المزورة في يد العدو[10] ، وأيضاً على القائد المسلم أن يشعر عدوه بأن جيش المسلمين يتهيأ للرجوع ولا يرغب بالمجابهة، وذلك باتفاق مع بقية القواد على نشر خبر، وإنهاء حالة الحروب فتنتقل هذه الأخبار عبر الجواسيس إلى الأعداء ثم يقوم بمباغتة العدو فجأة[11]، وعلى القائد صنع الكمائن في الحروب، والكمائن هي فرقة عسكرية تهاجم العدو في حالة انسحاب جيش المسلمين[12] ، ومن النصائح العامة التي قدمها العلماء للقادة عند وقوع الحرب عليه، إذكاء العيون والجواسيس في النهار، ومبالغة الاحتياطات الأمنية ليلاً، وليكن القائد في القلب يحيطه الأبطال والشجعان، وليجعل الشمس في ظهر الجنود والريح ضد العدو وقت الهجوم، والماء والمرعى وقت النزول، وإخفاء آثار السرايا عن العدو، ويشدد التركيز على حماية ظهر الجيش خوفاً من هجوم مباغت من الخلف، فيصبح الجيش الإسلامي بين نارين،

---

(1) المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص64 ؛ الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، 680.

(2) المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص64.

(3) ابن هذيل، عين الأدب والسياسة، ص301.

(4) م. ن، ص301.

(5) الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص681.

(6) م. ن، ج2، ص681.

(7) المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص64.

(8) الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص681.

(9) المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص64.

(10) الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص681.

(11) المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص64.

(12) الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص684.

الإسلامي بين نارين، وليحذر القائد من الكمين، وفي حال هزيمة الأعداء فلا يسرع في ملاحقتهم خوفاً من الكمين[1].

ولقد أهدى الفقيه ابن الصيرفي قصيدة شعرية في سياسة الحرب إلى الأمير تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين، وهذه القصيدة أنشدت عقب محنة أصابت الأمير تاشفين خلال معركة خاضها مع الأسبان ليلاً في شمال قُرْطُبَة عام (528هـ=1133م)، ففي هذه المعركة انهزمت جيوش تاشفين، وانفض أتباعه عنه، حتى إن سائسه قدّم له فرسه لينجو عليه، فانتهره وقال: لا أسلم وأُسلم الأمة، وظل يجاهد ويقاتل ببطولة فالتف حوله عبيده ثم عاد الأبطال والشجعان يدافعون عنه وتمكنوا من قتل أحد قادة الأسبان المهاجمين، ففر النصارى وتوقف القتال[2]، والقصيدة تتضمن ألواناً من فنون وحيل الحرب، كما تحتوى على نصائح حربية، ومما جاء في القصيدة :

أهديك من أدب الوغى حِكماً ... كانت ملوك الحرب مثلك تولعُ
لا أنني أدرى بها لكنها ... ذكرى تخص المؤمنين وتنفعُ
والواد لا تعبره وإنزل عنده ... بين العدو وبين جيشك يقطعُ
قبل التناوش عبئ الجيش مفسحاً ... حيث التمكن والمجال الأوسعُ
إياك تعبئة الجيوش مضيقاً ... والخيل تفحص بالرجال وتمرعُ
حصن حواشيها وكن في قلبها ... واجعل أمامك منهمُ من يشجع
والبسْ لبوساً لا يكون مشهراً ... وصَّى بها صنع الصنائع تبّعُ
واركب من الخيل السوابق عدة ... حصناً حصيناً ليس فيه مدْفعُ
واحذر كمين الروم عند لقائها ... وامض كمينك خلفها إذ تدفعُ
لا تبقين النهر خلفك عندما ... تلقى العدو فشره متوقعُ
واجعل مناجزة العدو عشيةً ... ووراءك الهدف الذي هو أمنعُ
واصدمه أول وهلةٍ لا تكترث ... بعد التقدم فالنكوص يضعضعُ
وإذا تضايقت الجيوش بمعركٍ ... ضنكٍ فأطراف الرماح توسعُ
واجعل من الطُّلاَّع أهل شهامةٍ ... للصدقِ فيهم شيمةٌ لا تخدعُ
لا تسمع الكذاب جاءك مرجفاً ... لا رأي للكذاب فيما يصنع[3]

---

[1] المرادي، الإشارة في تدبير الإمارة، ص63.

[2] ابن القطان، نظم الجمان، ص215 ؛ ابن خلدون، المقدمة، 277.

[3] ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص124-129 ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص260.

ومن النظم العسكرية الواردة في هذه القصيدة ضرورة حفر الخنادق حول المدن لحمايتها من أي عدوان نصراني خارجي، وترتيب وتعبئة الجيش جيداً قبل التحام الجيشين، وتكون التعبئة المناسبة في تقوية القلب والجناحين مع الاهتمام بنصب الكمائن لجيش النصارى، والتأكيد على عنصر المفاجأة والمباغتة في الحرب[1]، كما إن معدات الحرب لها أهميتها؛ لذا من الأفضل استخدام الخيول السريعة، كما إن الرماح تغير ميزان الحرب من الهزيمة إلى النصر، وعلى القائد أن يصم أذنيه لحديث الجبناء والمنهزمين وكثرة تهويلهم بإمكانات وعدد العدو، وفي المقابل يتخذ من أهل الشهامة والصدق جنداً ومستشارين.

ومن الاحتياطات العسكرية المهمة، التي ذكرها العلماء للحفاظ على سلامة القائد ما ذكره الفقيه الطُّرطُوشِيّ بضرورة أن يغير القائد خيله وزيه العسكري أو بعض العلامات التي تميزه عن الجنود خوفاً من معرفة العدو بها ويبذلون قصارى جهدهم في قتله، كما عليه عدم البقاء في خيمته طويلاً ويغير خيمته بين الحين والآخر، ويخفي مكانه في بعض الأحيان حتى لا يكون فريسة سهلة لسرية مفاجئة من عدوه؛ فلذلك عليه أن لا يسير بعدد قليل من جنوده ولا يبتعد كثيراً عن معسكر جيش المسلمين، فإن جواسيس الأعداء تترصده في كل مكان[2].

أما بعد انتهاء المعركة كلياً والعودة إلى المدينة فيدعو ابن رشد القائد بأن يكون في آخر الناس حتى يقدم المساعدة اللازمة للمتأخرين من الجنود سواءً الجرحى أو المرضى، ويكثر من الاطمئنان عليهم في حدود ضوابط الحماية الشخصية للقائد[3].

---

[1] الصلابي، الجوهر الثمين، ص194.

[2] سراج الملوك، ج2، ص691.

[3] المقدمات الممهدات، ص352.

المبحث الثالث

دور العلماء في التعريف بالوسائل القتالية

أولاً:أدوات القتال:

قدم العلماء معلومات مفصلة عن أصناف الأسلحة كونها إحدى أدوات القتال، ولما لها من أهمية بالغة في تسيير مجرى المعارك، وهم بذلك يقدمون للمجاهدين خبرة عسكرية في آلية استخدام الأسلحة، ومن الأدوات التي ذكرها العلماء:-

1- القوس:

وتستخدم القوس إذا كان العدو على مسافة المائتي ذراع وهي من الأسلحة الهجومية[1] ، وقد صورها ابن خفاجة[2] بشكل الهلال وشبه السهم حين يطلق بالحية فقال

عوجاء تعطف ثم ترسل تارةً فكأنّما هي حيةٌ تنساب

وإذا انتحت والسهم منها خارج فهي الهلالُ انقض منه شهاب

والقوس سريعة جداً ودقيقة الإصابة، وهي في سرعتها تشبه الكوكب، قال الفقيه ابن الزقاق:

وقد تألق نصل السهم منـدفعاً عنها فقل كوكب يرمي به قزح[3]

وأكثر الأسلحة التي توقع خسائر في صفوف الأعداء هي الرماية[4]، والقسي في الأندلس نوعان: القوس العربية، وهي أنسب للفارس؛ لأنها أسرع وأقل مؤنة، والقوس الإفرنجية، وهي أنسب للرجال؛ لأنها أبلغ وأكثر معونة[5].

ويقدم الفقيه ابن هذيل أنسب الطرق لصناعة القوس، كما ويضع بين يدي المجاهد الآلية السليمة لاستخدام القوس والسهم، وهو يتحدث بشكل تفصيلي في هذين الأمرين، ومما قاله في طرق صناعة القوس: "واعلم أن القوس تربط على وجهين بالنظر... والقياس" فأما طريقة النظر فيشارك في صناعته ثلاثة نفر وهم العريف والعلم والرامي، ولكل واحد منهم درجة زائدة على صاحبه، فيزيد المعلم على الرامي رطوبة اليدين، ويزيد العريف على المعلم نور القلب، فيربطون القوس بالنظر، فإن غم عليهم قاسوا بالضابط، وأما طريقة القياس أن يفتح الضابط، وتفتح طرفه في الحرف الأسفل من ثقب الحلق، ثم تضع الطرف الآخر في حرف آخر الصدر من القضيب، ثم اطلب به الجهة الأخرى، فإن تساوى القياس فهو المراد، وإن زاد طرف الضابط على حرف الصدر فهو مخفوض

---

[1] ابن هذيل، عين الأدب، ص301.

[2] ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص361.

[3] ديوان ابن زقاق، ص127.

[4] ابن هذيل، عين الأدب، ص296.

[5] م. ن، ص297.

فارفعه، وإن نقص فهو مرفوع فاخفضه، حتى يستقيم لك القياس"[1].. وهكذا يستمر الفقيه في شرحه صناعة القوس ثم يقدم النموذج الأمثل لاستخدامها "ضع الجباد على رقيق خاصرتك، وخذ المخطاف بيدك اليسرى بعد إشباع يدك اليمنى تحت المفتاح، وضعه في الوتر، واطلع به ثم أوقعه على بركة الله، فإن خرجت عنه الإبهام فإن خروجك بسلام، ثم حول القوس وانقلها إلى يدك اليسرى وركب السهم وارمِ ما أحببت،[2] " ثم يقدم نصيحة للمجاهد الرامي قائلاً له "أوقع بحلم، وانظر بعلم، واضرب بغضب... وشد اليسار وحد النظر، فقد صح لك من الأمر أثر"[3]، ومن اتبع الإرشادات السابقة يكون في مرتبة "الجرَّاد، وهي مرتبة تطلق على أمهر الرماة "[4]، ومما يجب مراعاته في استخدام القوس طبيعة المناخ السائد، فإذا كانت حالة المناخ شتاءً لزم أن يعرض قوسه للشمس كثيراً لتصبح رطبةً لينةً، وإن كان المناخ صيفاً فاجعل القوس في مكان بارد حتى تبرد[5]، وينصح المجاهد إذا مشى للغزو في سبيل الله فعليه أن يكثر من الزاد ولا يخلو سلاحه من القوس الخفيفة[6]

2– الرماح:

وتستخدم الرماح إذا دنا الأعداء مسافة تصل الرماح للعدو[7] ، والرمح الجيد هو ليس بالطويل كثيراً بحيث يصعب التحكم فيه، كما أنه من غير المستحب قصره، ويفضل أن يكون معتدلاً متوسط الطول، وأما عرضه فهو ليس رفيعاً بحيث تلتقي الأصابع عليه وليس عريضاً جداً فيصعب إمساكه والتحكم فيه[8] .

والرماح قد تصيب هدفها أو تخيب لكنه يظل عنصراً ضرورياً في ساحة القتال[9] .

وعن طريقة استخدام الرمح أثناء ركوب الفرس فعلى الفارس "أن يأخذ رمحه بيمينه، وعنانه بشماله مع سرجه، ويضع طرف رمحه بالأرض، وليبعد منها قليلاً، ويضع صدر قدمه اليسرى في ركابه الأيسر، ثم يعتمد على الرمح، ويشيل نفسه على فرسه، وينهض وهو يدير الرمح على كفل الفرس إلى الجانب الأيمن حتى يستقل بسرعة، ثم يضع الرمح في يساره مع العنان، ويسوي ثيابه وآلته بيمينه، ثم يصرف الرمح إلى يمينه... ولا ينبغي أن يتعرض الرجل لأخذ رمحه من الأرض وهو

---

[1] ابن هذيل، حلية الفرسان، ص215.

[2] م. ن، ص216.

[3] م. ن، ص216.

[4] م. ن، ص216.

[5] م. ن، ص217.

[6] م. ن، ص218.

[7] ابن هذيل، عين الأدب، ص301.

[8] م. ن، ص302.

[9] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص673.

راكب، فربما وطئه الفرس فكسره أو ضربه فأبعده عنه، بل ينزل ويأخذ رمحه ويركب"[1] وعن نزول الفارس عن فرسه وهو يحمل رمحه، فيذكر الفقيه نفسه الطريقة السليمة التي تجنب الفارس أي أخطار متوقعة فعلى الفارس أن يحمل رمحه بيساره ويضع طرف رمحه بالأرض عند يد الفرس اليسرى، ويأخذ القربوس بيده اليمنى ثم ينزل، وحين يصير إلى الأرض يأخذ رمحه بيمينه بسرعة، لئلا يدور عليه الفرس فيحطم الرمح أو يصاب الفارس أو غيره من زملائه المجاهدين[2] .

واستخدام الرمح بحاجة لتدريب ومران، ومن أراد تعليم استخدام الرمح وهي طريقة قام الفقيه بشرحها بالتفصيل[3] .

3- السيف:

ويستخدم السيف عندما يشتبك الجيشان ويصبح الجندي مقابل نده من الأعداء[4]، ومن شرط استخدام السيف بأن لا يسل إلا عند الضرب به وإن سل قبل ذلك أورث الجبن، ومن أكثر الأسلحة التي تحتاج للحذر عند الاستخدام هو السيف، فقد وجد الكثير ممّن استخدم السيف بدون حذر أنه أصاب أذن فرسه، وربما أصاب أذن نفسه، أو رجله، وينبغي للمجاهد أن يتمرن ويتدرب جيداً على السيف حتى يتمكن من استخدامه بحرفيه عالية[5] .

ويعد الطُّرطُوشِيّ السيف من أهم المعدات العسكرية الضرورية للمجاهد ولا يمكن التخلي عنه أبداً[6]، والسيف هو الصاحب الولي، والصديق الوفي، والرسول الوحي[7]، والسيف يُغني عن غيره، ولا يغني عنه غيره – في الأغلب – ويُعمل به عمل السلاح كله؛ فإن الجنود كانوا يطعنون به كالرمح، ويضربون به كالعمود، ويقطعون به كالسكين، ويتخذونه جمالاً في الملأ، وسراجاً في الظلمة، وأنساً في الوحدة، وجليساً في الخلاء، ورفيقاً للسائر... وهو قاضي القتال وفيصل الحكم بين الرجال[8]، وجمع الفقيه ابن هذيل ما ورد في السيف من الأحاديث والأخبار والأشعار بل جمع ما فيه من الأسماء والصفات[9] ، كما قدم بعض التوجيهات للمجاهد الذي لا بد أنه سيستخدم السيف ومن هذه التوجيهات أن على الفارس ألا يضرب العدو إلا ما كان قبالة وجهه وعليه أيضاً أن يكون أشد حذراً على نفسه وهو على فرسه، وليعْتَل يده أثناء الضرب ما أمكنه ويحاول أن

---

[1] ابن هذيل، حلية االفرسان، ص205.

[2] م. ن ، ص205.

[3] م. ن، ص206.

[4] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص673.

[5] ابن هذيل، عين الأدب، ص302.

[6] الطُّرطُوشِيّ، سراج الملوك، ج2، ص673.

[7] ابن هذيل، حلية الفرسان، ص184.

[8] م.ن، ص187.

[9] م. ن، 187-196.

يجعل عدوه على يمينه ولا سيما الذي يحمل الرمح[1]، كما ويدعو الفقيه نفسه الجندي المسلم على التمرن والتعلم على السيف ليصبح خبيراً متقناً في استخدامه ويقدم الفقيه الطريقة السليمة للتمرن والتدريب حتى يعلم متى يضرب شمالاً ومتى يضرب يميناً[2].

4- الدرع:

من الأسلحة الدفاعية، ويرتديها الفارس وقاية من ضربات السيوف وطعنات الرماح، ويعدد الفقيه ابن هذيل أنواع الدروع وهى مهمة لحماية الجندي المسلم نفسه من أي ضربة فيكون بذلك أقوى ساعداً وأسلم حالاً ممن لا يرتدى الدروع، ومن الدروع التي دعا الفقيه لارتدائها "المغفر" وهو يغطي الرأس والوجه، والبيضة وهي ما يلبس لحماية الرأس[3] .

5- الترس: ومن الأسلحة الدفاعية الترس[4] ، وقد عرف المرابطون مثل هذا النوع وصنعوه[5] ، ويعدد ابن هذيل مجموعة من الضوابط عند استخدام الترس والتي منها أن يترِّس بوسط تُرْسه من السيف والرماح، ولا يلصقه ببدنه وأن يحمي نفسه بالترس، وكذلك يحمي فرسه، وأن يصد الحجارة بصدر الترس وأن يصد رمح العدو بمعظم الترس، وعندما يركب الفرس إن كان الترس طويلاً يحمله بيده اليسرى ويكون حذراً من أن يضرب في ذقنه، وإن كان قصيراً فيحمله تحت إبطه[6] ، وينصح للترس أن يصنع من جلود حيوان اللمط وهو حيوان يعمر في الصحاري، وهذا النوع من الجلود لا يثقب[7].

6- الخيول:

من أكثر العناصر أهمية في الحرب في بلاد الأندلس، ولها أهمية في إحراز النصر، وللاهتمام الكبير الذي حظيت به الخيل فقد قام الفقيه عبد الرحمن بن هذيل بتأليف كتاب يختص بالخيول وأنواعها وأسمائها سماه "حلية الفرسان وشعار الشجعان" تحدث فيه عن فضائل الخيل؛ وذلك لأنها معدة للجهاد... الذي فيه بقاء الإسلام والمجاهدين الذادين عنه إلى يوم القيامة[8]، وعدّد ابن هذيل[9] مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة الداعية لاقتناء المجاهدين للخيول، والخيل في الحرب أفضل من جميع الحيوانات فهي أصبر البهائم وأشدها قوة، وأسرعها، وأقلها مئونة في العلف والمشرب، والخيل يحمل من فارسه وآلته وسلاحه ما لا تحمله الحيوانات الأخرى، وأفضل ما يستخدم في

---

(1) ابن هذيل، حلية الفرسان ، ص198.

(2) م. ن، ص199.

(3) م.ن ، ص230.

(4) م. ن، ص231.

(5) ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج4، ص131.

(6) ابن هذيل، حلية الفرسان، ص232.

(7) م. ن، 232.

(8) م. ن، ص39.

(9) م. ن، ص40.

الهجمات السريعة الخيول[1] ، "فينبغي للفارس ألا يغفل من تفقد فرسه ومربطها وجميع أحوالها في سياستها وعلفها وسقيها"[2] ويقدم المؤلف الصفات الخلقية للخيل الأصيل الذي يساعد المجاهد في ساحة القتال[3]، ويذكر بعض عيوب الخيول وطريقة علاجها لتكون أكثر صلاحية وأداءً في المعارك[4] ، وفي فصلٍ خاص يتحدث المؤلف عن كيفية قيادة الخيول أثناء المعارك ومن ذلك ما قاله "وإحسان الفروسية إنما هو بحسن القعود في السِّرج والثبات، وتعديل العنان... وليكن جلوسه مستوياً، منتصب الظهر، معتدل المنكبين، لا منحنياً، ولا مستلقياً، ولا متصدراً، ولا منحدباً... فإذا أحكم الجلوس فليلزم بفخذيه دفتي السرج، ويطوّل فخذيه، ويسوِّر رجليه في الركابين ولا يفتحهما ولا يؤخرهما... وليعتن بتمكين صدور قدميه في الركابين، ويعتمد على الأيمن أشدَّ يسيراً عند العمل بالرمح، وللرامي أن يعتمد على الأيسر أشدَّ يسيراً"[5].

ويفضل ألا يحمل المجاهد سلاحه بنفسه طيلة الطريق ويمكنه أن يستعين بأحد الخدم أو العبيد لحمله أدوات الحرب من عتاد، وفي هذا حفاظاً للجندي على قوته وعافيته[6]، وفي حال فقدان المجاهد لإحدى معداته العسكرية سواء سيفاً أو رمحاً أو خيلاً فلا غضاضة من الاستعانة بسلاح الأعداء ليتابع نشاطه الجهادي[7] ، وحتى يصبح المجاهد خبيراً ماهراً في استخدام مختلف الأسلحة جميعاً وجب عليه أن يكثر من مصاحبة ومجالسة من اشتهر بفروسيته وخبرته في استخدام الأسلحة المختلفة وخاض العديد من الحروب "حتى يعرف كيفية الطعن والضرب والثقافة في السلاح بالحرب ووجوه العمل في الكر والفر والامتناع، والدخول على المبارزين، والخروج عنهم في المطاعنة والمصارع وملاحظة مواقع السهام وأوقات الإقدام والإحجام... واستدبار الشمس عند اللقاء[8].

كما ينبغي على المجاهد أن يتمرن ويتدرب بشكل متكرر على الطريقة الأفضل لاستخدام الأسلحة العديدة، ويحرص أن يأخذ هذا العلم من أصحاب التجربة والفن في هذا المجال، ولا بد أن يأخذ قسطاً من التدريب العملي ليكسب المجاهد المهارات القتالية مثل المراوغة والمناجزة والعطف في القتال، وتعطيل الرمح إن وجه إليه، أو ملكه ورده إلى الأعداء وقطع عنان فرس العدو "ومن لم يتمرن في ذلك فلا تغره نفسه"[9] .

---

[1] ابن هذيل، حلية الفرسان ، ص44.

[2] م. ن ، ص52.

[3] م. ن، ص94-104.

[4] م. ن، ص105- 129 .

[5] م.ن، ص138.

[6] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج2، ص524.

[7] م. ن، ج3، ص7.

[8] ابن هذيل، عين الأدب، ص302.

[9] م.ن ، ص302.

وكما أسهب العلماء في التوجيهات العسكرية فقد كان لهم دور كبير في بناء وصناعة بعض المعدات العسكرية مثل الأبراج الخشبية التي تستخدم في حصار المدن[1]، ويذكر قصة تدل على دور العلماء في صناعة الأسلحة الهجومية والقصة حدثت في عهد الموحدين؛ حيث قام الملك النصراني فرناندو الثالث الملقب (بالقديس) بمحاصرة إحدى قواعد شرق الأندلس، وتمكن أبو جعفر ابن فرج من الحفاظ على مدينته بشجاعة عالية وحسن دفاعه وضبطه، فقام الملك فرناندو بإجبار أحد العلماء المسلمين بصناعة برج مرتفع يعلو على أسوار القاعدة المحاصرة، وهدده – إن لم يفعل – بقتل جميع أفراد أسرته، وتحت الضغط والتهديد قام هذا العالم بصناعة البرج المطلوب، لكنه أرسل رسالة في الخفاء للقائد أبو جعفر بن فرج يبلغه "أني صنعت هذا البرج اضطراراً لحفظ دمي، وصون من ورائي من الأهل، فاحتل في إحراقه لئلا تكون ذنوب المسلمين في عنقي وعنقك إن تركته، وأنت قادر عليه بأنواع الحيل، وقد طليته بدهان خفي يقبل النار بسرعة، فاعرف كيف تكون في الكتم والإبقاء عليّ"[2] فاختار ابن فرج مجموعة مختارة من الجنود وأراقوا القطران والكتان والنيران على أسفل البرج ليلاً وأحرقوه ومات من كان فيه من الجنود النصارى[3].

وتدل هذه الحادثة على قدرة العلماء في الصناعة العسكرية، كما تدل على وفاء العلماء وإخلاصهم في حب وطنهم ودينهم.

ولقد وضع العلماء العديد من القواعد العسكرية العامة مثل عدم الاستعانة بأي طرف من النصارى على طرف آخر؛ لأنه لا يُؤمن مكرهم وخديعتهم[4]، كما لا يُؤمن وجود النصارى في المدن التي تتعرض للحرب من أن يشعلوا ثورة داخلية أثناء انشغال القوات الإسلامية في حربهم، ويرى الفقيه ابن رشد أن من تبين من أهل الذمة، وثبت عليه قتل أحد المسلمين خلال مدة الحرب، فعليه القصاص[5] ، ويعامل الثائرون معاملة المحاربين الأعداء[6] ، وهنا تبرز أهمية فتوى الفقهاء وهو دور جهادي آخر حيث أفرزت حالة الصراع بين المسلمين والنصارى أحكاماً شرعية وهو ما يعرف بالسياسة الشرعية، ومن الفتاوى التي تدخل في هذا الإطار الفتاوى الجريئة التي أطلقها الفقيه ابن رشد عقب تعاون النصارى الذميين مع قوات ألفونسو المحارب، فتوجه الفقيه بنفسه إلى حاكم المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين وأقنعه بضرورة إبعاد النصارى الذميين المتواطئين مع ألفونسو المحارب، وبالفعل تم تغريبهم إلى بلاد المغرب العربي[7].

---

[1] عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص407؛ ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص435.

[2] الحميري، الروض المعطار، ص166.

[3] م. ن، ص167.

[4] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج3، ص6.

[5] م. ن، ج3، ص20.

[6] م. ن، ج2، ص610.

[7] ابن الأبار، المعجم، ص64؛ ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص90؛ النباهي، المرقبة العليا، ص99.

لم تقتصر حالات غدر القوات الإسلامية على أهل الذمة من النصارى ففي بعض الأحيان تعاون عدد من المسلمين، سواء جنوداً أو مدنيين، مع قوات النصارى ليكونوا جواسيس معهم وإمدادهم بتحركات ومعلومات تخص جيش المسلمين، وقد أفتى الفقيه ابن رشد بإهدار دم كل من يثبت عليه تهمة التجسس؛ "لأن الجاسوس أضر على المسلمين من المحارب، وأشد فساداً في الأرض منه"[1].

وعن طريقة القتال وتعبئة الجيش فقد تحدث الفقيه الطُّرطُوشِيّ عن أفضل الطرق في نظره حيث يقول: "فأما صفة اللقاء وهو أحسن ترتيب رأيناه في بلدنا، فهو أن تتقدم الرجالة بالدرق الكاملة، والرماح الطوال، والمزاديق المسنونة النافذة، فيصفوا صفوفهم، ويركزوا مراكزهم، رماحهم خلف ظهورهم في الأرض، وصدورهم شارعة إلى عدوهم، وهم جاثمون في الأرض، وكل رجل منهم قد ألقم الأرض بركبته اليسرى، وترسه قائم بين يديه، وخلفهم الرماة المختارون التي تمرق سهامهم من الدروع، والخيل خلف الرماة، فإذا حملت الروم على المسلمين، لم يتزحزح الرجالة عن هيئاتهم، ولا يقوم رجل منهم على قدميه، فإذا قرب العدو، رشقتهم الرماة بالنشاب، والرجالة بالمزاريق، وصدور الرماح تلقاهم، فأخذوا يمنة ويسرى، وتخرج خيل المسلمين بين الرماة تلقاهم، فأخذوا يمنة ويسرى، وتخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالة فتنال منهم ما شاء الله"[2] كما وينصح الطُّرطُوشِيّ بأن يكون الأبطال والشجعان في القلب، فإنه إذا انهزم الجناحان الميمنة والميسرة وبقي الجنود في القلب ورايتهم تخفق وطبولهم تضرب كانوا سبباً في ثبات الجناحين وعودة الفارين إلى الجبهة، أما إذا انكسر القلب تمزق الجناحان.

ويضرب الطُّرطُوشِيّ مثالاً على ذلك بالطائر إذا انكسر أحد جناحيه يرجى شفاؤه لكن إذا انكسر الرأس فلا أمل في الشفاء[3]. ويقدم البكري ترتيباً آخر للجيش الإسلامي فالمقدمة يجب أن تضم الرجال الأشداء ويقفون في صفوف متراصة بأيدي الصف الأول القنا الطوال للطعان، وما يليه من صفوف يحملون بأيديهم المزاديق"[4].

ويرى الطُّرطُوشِيّ بأن كثرة التكبير في الحروب تؤدي إلى الفشل والجبن، وينصح المجاهد بأن يكثر من ذكر الله في نفسه، كما وينصحهم بغض البصر عن عدة وعدد الأعداء فإنه أربط للجأش وأسكن للقلوب[5]، ويتبنى كل من الفقيه ابن عطية والفقيه القرطبي هذا الاتجاه القائل بكراهية رفع الصوت والتكبير في جبهة القتال لكنهما يستثنيان من ذلك إذا كبر الجميع في وقت واحدة عند الهجوم الخاطف؛ لأن ذلك يفت في عضد العدو[6] .

---

[1] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج2، ص537.

[2] سراج الملوك، ج2، ص698.

[3] م. ن، ج2، ص684.

[4] المسالك والممالك، ص166.

[5] م. ن، ج2، ص704.

[6] ابن عطية، المحررالوجيز، ج2، ص536 ؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص18.

الفصل السابع

علماء الأندلس فـــي ميادیـــن الجهـــاد

المبحث الأول : مشاركة علماء الأندلس في القتال.

المبحث الثاني :علماء استشهدوا في ميادين القتال بالأندلس.

المبحث الأول

مشاركة علماء الأندلس في القتال

لقد كان للعلماء دور بارز في الجهاد الحربي فضلاً عن الأدوار السابقة، حيث اختار الكثير منهم الجهاد طريقاً لتجسيد المفاهيم والمعاني الجهادية، ولا شك أن مشاركة العلماء في المعارك تجعل منهم قدوة حسنة، وتعمل على رفع معنويات المجاهدين، ومن هؤلاء العلماء الفقيه أبو مروان العذري والفقيه أبو بكر القصيرة[1] وكلاهما حضر معركة الزلاقة[2] وقام الفقيه أبو بكر بن القصير بوصفها في رسالةٍ له[3].

ومن العلماء الذين التحقوا بقوافل المجاهدين عبدوس بن محمد بن أبي زمنين الذي كان يرابط في الثغور لمدة طويلة كما كان يقوم بصناعة الطعام للمرابطين رغم علو شأنه في العلم[4] .

والفقيه ثابت بن محمد الجرجاني العدوي خرج للجهاد مع الموفق أبي الجيش لغزو سَرْدَانِيا[5]، كما كان يرابط في الثغور الأندلسية؛ لذا فقد كان محل احترام وتقدير الخاصة والعامة[6]، أما عبد الله بن سعيد الشنتجالي (430هـ= 1039م) فقد التزم الرباط في أحد الثغور فكان طلاب العلم يفدون إليه وهو مرابط بها[7]، والشيء نفسه يقال عن أحمد بن محمد بن عبيدة الأموي (436هـ= 1044م) [8]، ومثله الفقيه أحمد بن كوثر النحوي (440هـ=1049م) الذي كان يتجول في الثغور بهدف نشر العلوم الدينية بين صفوف المجاهدين[9] ، وأحمد بن محمد بن عمر الصرفي (445هـ= 1054) الذي كان ملازماً لثغور المسلمين، وينتقل بينها ينشر العلم[10]، وكان الفقيه أحمد بن محمد بن الصدفي الزاهد (450هـ=1059) صواماً قواماً منقبضاً عن الناس ملازماً لثغور المسلمين وحينما توفي حضر جنازته المأمون بن ذي النون[11]، وعبد الله بن مالك القرطبي (460هـ=1068) الذي كان كثير الجهاد والرباط في الثغور[12]، وكان الفقيه أحمد بن محمد بن

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق2، ج1، ص241.

[2] م. ن، ق2، ج1، ص241.

[3] م. ن، ق2، ج1، ص243.

[4] ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص649.

[5] سَرْدَانِيا: جزيرة في البحر المتوسط، كبيرة ليس هناك بعد الأندلس وصقلية وكريت أكبر منها، وقد فتحها المسلمون عام (92هـ = 711م) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص236 .

[6] الضبي، بغية الملتمس، ج1، ص310.

[7] ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص138.

[8] ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص27.

[9] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص25.

[10] ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص62.

[11] م. ن، ج1، ص61.

[12] ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص140.

عبد الرحمن بن أحمد البلنسي الأنصاري (479هـ=1085م) ويعرف "بابن الحداد"[1] خرج طالباً للجهاد مع الأمير يوسف بن تاشفين[2]، وكان المقرئ علي بن محمد بن عمران البلنسي، ويعرف بأبي الحسن ابن النقاش، راوياً مقرئاً من تلاميذ أبي بكر بن العربي، وكان رجلاً صالحاً حسن الصوت يزور الحكام ويذكرهم بالآخرة ويقرأ عليهم كتب الرقائق ويحضهم على الجهاد من خلال كتب المغازي، وكان ينضم للمجاهدين المتطوعين[3]، ومن المفترض أنه كان يمارس أنشطة تحريضية تدعو للثبات والإقدام طالما أنه موجود بين المجاهدين لا سيما أن له أسبقية في مجال التحريض.

وقد استشهد أبو حفص الهوزني عند نهر تاجه (503هـ= 1106م) [4]، وقد رثاه الفقيه ابن عيطون بقصيدة قال فيها:

ما زال قدرُك سامياً حتى غدا ... في زُمرةِ الشهداءِ وهوَ رفيعُ
ما ذقت موتاً إذ صُرِعْتَ وإنما ... نلتَ الحياةَ، وصبريَ المصدوعُ
هابَتْكَ حاشدةُ المنايا فانبَرتْ ... زحفاً إلى لقياكَ وهيَ جموعُ
حتى سُلِبَتْ النفسُ وهيَ عزيزةٌ ... لم يُبَدْ منها للعدوِّ خُضوعُ[5]

وفي العام نفسه عام (503هـ = 1106م) سارت القوات المرابطية صوب طليطلة بقيادة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، محاولة استرجاعها إلى حكم المسلمين، وتمكنت من السيطرة على طَلَبِيرَة[6]، وتمكنت القوات الإسلامية من السيطرة على الحصون والقلاع المحيطة بالمدينة، ومن ثم ضُرب الحصار عليها، ولكن بعد ثلاثة شهور من هذا الحصار انسحبت القوات الإسلامية بسبب تفشي مرض الطاعون في الجيش[7]، ولقد شارك العديد من العلماء في هذه الحملة، منهم الفقيه عبد الله بن علي بن عبد الملك بن سمجون اللواتي (ت: 524هـ =1130م)[8] .

---

[1] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص42.

[2] م.ن ،ج2، ص42.

[3] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ص375.

[4] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج2، ص783.

[5] م. ن، ق3، مج2، ص783.

[6] ابن القطان، نظم الجمان، ص13.

[7] ابن بسام، الذخيرة، ق4، مج1، ص128.

[8] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص915.

ولزم محمد بن سليمان بن إبراهيم الرباط في الأندلس وسمع بها من العلمـــاء وروى عنـــه جماعة من العلماء هناك[1]، وكان الفقيه أبو عبد الله بن حمدين (508هـــ=1114م) يتقدم صـــفوف المجاهدين يُقاتل بشدة ويحرض على الجهاد[2].

وكان الفقيه أبو سعيد خلوف[3] (516هـــ =1122م) يكثر من الغزو في جيوش المرابطين وهو من كبار العلماء آنذاك[4]، ومن أبرز علماء الأندلس محمد بن أحمد بن أحمد بن رشـــد أبـــو الوليد (520هـــ=1126م) [5]فقد كان أوحد زمانه في الفقه، ويعد ابن رشد عميد علماء عـــصره[6] وحين سئل أيهما أفضل الحج أم الجهاد أفتى بسقوط فرض الحج عن أهل الأندلس في وقتهم، لعدم الاستطاعة التي جعلها شرطاً في الوجوب، وأن الجهاد أفضل منه"[7]، ولأن الجهاد واجب وفـــرض عنده فقد كان هذا الفقيه كثير الانضمام إلى الحملات العسكرية وكان القادة يجلونه ويقدرونه أثنـــاء غزوهم[8]، كما إن هذا الفقيه أفتى بإجلاء عدد من نصارى قُرْطُبَة إلى بلاد المغرب بسبب انضمامهم لقوات ألفونسو المحارب أثناء حملته المشهورة عام(520هـــ= 1126م)، واستجاب أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين لطلب ابن رشد وتم نفي عدد كبير منهم.[9]

ومن العلماء المجاهدين أيضاً ، عبد الله بن محمد بن عبد الله الخشني، يكنى أبا محمد من أهل مرسية، وكان حافظاً للفقه على مذهب مالك، بصيراً بالفتوى، مقدماً في الشورى، عارفاً فـــي التفسير، معظماً في أهل بلده، وتوفي بمرسية ســـنة(520هـــــ= 1126م) [10] ، ومـــن العلمـــاء المجاهدين محمد بن أحمد بن عمران بن عبد الرحمن بن محمد بن نمارة الحجري[11] الذي عايش منذ نعومة أظفاره سقوط بَلَنْسِيَة وتربى على موائد القرآن والحديث والفقـــه، وعـــاد إلـــى بَلَنْـــسِيَة برجوعها إلى السيادة الإسلامية عام (495هـــ=1102م) وكان كثير التواضع ووقع في الأسر عام (533هـــ= 1139م) [12] .

---

[1] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س6، ص217.

[2] ابن القطان، نظم الجمان، ص70.

[3] هو أبو سعيد خلوف بن خلف الله من أصول بربرية، ولي قضاء غَرْنَاطَة، و(ت:516هـــ = 1122م) ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيـــان، ج3، ص670 (هامش).

[4] ابن خاقان، قلائد العقيان، ج3، ص670.

[5] النباهي، المرقبة العليا، ص98.

[6] ابن الأبار، المعجم، ص64؛ النباهي، المرقبة العليا، ص98.

[7] أبو مصطفى، دراسات أندلسية، ص39 .

[8] ابن الأبار، المعجم، ص64 ؛ ابن الأبار، تحفة القادم، ص46.

[9] ابن السماك العاملي، الحلل المـُـوشِـــية، ص93 ؛ النباهي، المرقبة العليا، ص99.

[10] ابن بشكوال، ج2، ص284.

[11] المراكشى، الذيل والتكملة، س6، ص17

[12] م.ن، س6، ص17.

ويعد أبو بكر بن العربي من أبرز علماء الإسلام وهو محمد بن عبد الله بن أحمد العربي المعافري الإشبيلي يكنى بأبي بكر[1] وكان من أهل التفنن في العلوم، متقدماً في المعارف كلها، متكلماً في أنواعها[2]، تولى قضاء مدينة إشْبِيْلِيَة فكان عادلاً شديداً على الظالمين، رقيقاً رحيماً بالمساكين[3]، سافر هو ووالده إلى بغداد للالتقاء بالإمام الغزالي ليشرحا له الأوضاع السياسية السائدة في الأندلس في أواخر عهد الطوائف فحصلا منه على فتوى بإباحة إسقاط أنظمة الطوائف، ولما طلب الغزالي من ابن العربي الإقامة في بغداد رفض وأبى إلا الرجوع إلى الأندلس حتى لا تضيع عنه فريضة الجهاد[4] ، وبذلك فقد آمن هذا الفقيه بالجهاد على معناه الحقيقي.

ويذكر ابن الأبار أن الفقيه ابن العربي شارك في الحملة التي دعا إليها الشهيد أبو علي الصدفي وقاتل قتالاً مستميتاً، لكن لم تكتب له الشهادة، وحين سئل عن كيفية نجاته رغم كثرة القتلى قال: "حال من ترك الخباء والعبا"[5] دلالة عن ضراوة المعركة وارتفاع عدد القتلى، وأكثر ابن العربي "في تردده غازياً على بَلَنْسِيَة"[6] وحينما يقدم ابن العربي نصائحه للمجاهدين حول أفضل الأسلحة على الإطلاق قال "وقد شاهدت القتال مراراً فلم أر في الآلة أنجع من السهم"[7] كما وتبرع الفقيه بمبلغ ضخم من المال لإصلاح سور إشْبِيْلِيَة، ودعا الناس إلى التبرع بجلود الأضاحي لاستخدام ثمنها في هذا العمل الجليل، وبالفعل تمكن المرابطون من إصلاح السور وأصبح قوياً ضد أي خطر وتهديد نصراني[8].

ولما تقدمت القوات النصرانية نحو إشْبِيْلِيَة وبدأت تدمر المزارع والأشجار حول المدينة، قام ابن العربي بتحريض الوالي بضرورة التصدي لهم ومجاهدتهم، ثم أخذ يحرض العامة ويدعوهم لمقاومة النصارى، فإنه هالك لا محالة"[9]

ولما سقطت دولة المرابطين في بلاد المغرب وحلت مكانها دولة الموحدين الفتية، مما أثر سلباً على قوات المرابطين في الأندلس، فاستغل النصارى ضعف المرابطين فضاعفوا وتيرة هجماتهم على الإمارات الأندلسية التي استقلت عن بعضها البعض لعدم وجود سلطة مركزية، هذه الظروف السياسية أحزنت الفقيه ابن العربي صاحب التاريخ الطويل في توحيد الأندلس، وهنا قام بدور منشود وفعال لإعادة توحيدها تحت قيادة قوية واحدة فتوجه على رأس وفد يضم العديد من

---

[1] الخطيب، مقدمة العواصم من القواصم، ص10.

[2] م. ن، ص105.

[3] الخطيب، مقدمة العواصم من القواصم، ص106.

[4] مؤنس، الجغرافيا والجغرافيين، ص400.

[5] ابن الأبار، المعجم، ص17.

[6] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س4، ص147.

[7] ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص862.

[8] الخطيب، مقدمة العواصم من القواصم، ص52.

[9] ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص943.

الفقهاء إلى حاكم الموحدين علي بن عبد المؤمن لتقديم البيعة والولاء له ودعوته الجادة لإعادة وحدة الإمارات الأندلسية، أما عبد المؤمن فقد رحب بهم كثيراً"[1] .

وهكذا تظهر جلياً الأدوار الجهادية التي مارسها الفقيه ابن العربي بدءاً بالاهتمام الشديد بوحدة الأندلس تحت قيادة مركزية سليمة الفكر والعقيدة، ومن ثم نضاله الداخلي لإصلاح وبناء المجتمع المسلم على قواعد العدل والمساواة والرفق بالفقراء والمساكين ومروراً بتحريضه المستمر على قتال النصارى لصيانة بلاده من اعتداءاتهم، وتتويج أدواره بالممارسة العملية للجهاد في ساحات القتال وما تتطلبه عملية الجهاد من جهد مالي وجسدي.

وكان الفقيه الهواري[2]ينضم إلى كتائب المجاهدين، ونال احتراماً شديداً من قبل الأمير تميم ابن يوسف بن تاشفين قائد الحملة[3]، وكان عبد الغافر بن رجلون المرواني وهو أحد كبار علماء الأندلس كثير الرباط وأبلى في معركة الأرك بلاءً حسناً عام (591هـ= 1195م) [4] وفي كثير من الأحيان كان الجيش الإسلامي يقاتل على أرض غريبة عنه لا يعرف طرقها ودروبها، وأماكن تجمع الأعداء، لذا فقد شارك العلماء في العمليات الجهادية كأدلاء للجيش كما هو الحال في "الحافظ إبي عمران موسى بن حمو كان دليلاً للجيوش لشهامته وخبرته بالثغور"[5] في عهد الموحدين، وكان الفقيه علي بن أحمد الأزدي (608هـ=1211م)[6] ينشر العلوم الدينية من حديث وفقه على المرابطين في الثغور[7] .

ومن أشكال جهاد العلماء "إيواء المجاهدين" حيث إن الفقيه سفيان بن أحمد[8] أخفى أحد القواد المجاهدين بعد انتصار الروم على جيش المسلمين[9].

ولم تقتصر مشاركة العلماء في الجهاد كمتطوعة، بل شاركوا في قيادة الحملات؛ فالفقيه يحيى بن غانية[10] الذي يصفه المراكشي بأنه "كان حسنة من حسنات الدهر... رجلاً صالحاً، شديد

---

[1] ابن السماك العاملي، الحلل المُوشِية، ص148،147.

[2] هو الفقيه ابراهيم بن أبي الفتح بن عبيد الله بن خفاجة الهواري، يكنى أبا اسحاق، من سكان جزيرة شقر، تلقى علومه الدينية على يد أبي علي الصدفي، وكان فقيهاً، صدراً في البلغاء، متقدماً في الكتاب والشعراء، نزيه النفس، (ت:533هـ = 1037م) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص124.

[3] ابن الأبار، تحفة القادم، ص48.

[4] ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج1، ص226.

[5] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص519.

[6] ابن الأبار، تحفة القادم، ص107.

[7] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ص154.

[8] هو الفقيه سفيان بن أحمد بن عبد الله بن محمد محدثاً وراوياً، (ت:606هـ = 1209م). المراكشي، الذيل والتكملة، س4، ص47.

[9] م. ن، ج4، ص47.

[10] بنو غانية هم زعماء من قبيلة صنهاجة وسموا بذلك لأن الأمير يوسف بن تاشفين زوج علي بن يحيى فتاة من أهل بيته تسمى غانية وأنجبت منه يحيى ومحمد، وقد ولي علي بن يوسف بن تاشفين، محمد بن علي بن يحيى على جزر البليار، وقد حمل أبناء محمد وأحفاده راية المرابطين في جزر البليار بعد سقوط دولة المرابطين، وكثيراً ما أطلق عليهم الميورقيين نسبة إلى جزيرة مَيُورْقَة كبرى جزر البليار. ينظر: سيسالم، التاريخ السياسي لجزر البليار، ص278.

شديد الخوف لله (عز وجل) والتعظيم له والاحترام للصالحين هذا مع علو قدم في الفقه واتساع رواية الحديث، وكان فارساً شجاعاً إذا ركب عُد وحده بخمسمائة فارس"،[1] وقد أهلته هذه الصفات لقيادة حملات عديدة ضد النصارى حتى أن الأمير علي بن يوسف بن تاشفين قد جعله على رأس فرقة مختارة لعظائم الأمور تمكنت من التصدي للنصارى وإنزال هزيمة ساحقة بهم[2] ، وقاد ابن جحاف حركة المقاومة الإسلامية عندما حاول النصارى احتلال بَلَنْسِيَة وتمكن من صدهم مرات عدة[3] .

ووصل عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني إلى مناصب متقدمة في الجيش الإسلامي وقاد بنجاح العديد من الحملات العسكرية ضد النصارى[4]، وأيضاً القائد المحنك أبو شجاع أرقم بن ليون[5] صاحب المواقف المشهورة[6]، وقاد أبو الحسن عبد الملك بن سعيد[7] الجيش الأندلسي في إحدى المعارك فقيل فيه:

أيا قائد الأبطال في كل وجهةٍ تطير قلوب الأسد فيها من الذعر
أنشدت والأبطال حولك هالة أبا حسن ما دارَ النجومُ على البدر[8].

ولقد عني الفقيه أبو عمر اللمتوني[9] بالرواية والسماع وجمع الكتب وكانت له رحلات طلباً للعلم، وكان يجلس في المسجد يسمع منه الناس، وكان إلى جانب علمه من كبار قواد المرابطين وعظماء رجالاتهم[10].

ويذكر ابن عذاري[11] قصيدة شعرية أنشدها القائد أبو بكر بن وزير الشلبي [12]وهو من أمراء كتائب إشبيلية قصيدة، وكان مقدماً فيها:

---

[1] المعجب، ص267.

[2] م. ن، ص267.

[3] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص37.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص36 ؛ ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج2، ص84.

[5] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص169 ؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص82.

[6] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج3، ص186.

[7] أحد علماء عصره وأحد مؤلفي كتاب المُغْرِب في حلى المَغْرِب ؛ ينظر: ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص160.

[8] م. ن، ج2، ص167.

[9] هو ميمون بن ياسين الصنهاجي، أصله من صحراء المغرب وسكن المرية. ابن القطان، نظم الجمان، ص71(هامش).

[10] م. ن، ص71(هامش).

[11] البيان المُغْرب، ج3، ص186.

[12] محمد بن سيدراي بن عبد الوهاب، أبو بكر بن القيسي، كان أبوه أبو(محمد سيدراي) أميراً بغرب الأندلس، وكان من رجالات الأندلس رجاحة وشهامة، وكذلك كان ابنه أبو بكر هذا، وولي قصر الفتح المنسوب إلى أبي دانس عند استرجاعه من أيدي الروم في (587هـ = 1190م) بعد احتلال دام خمس سنوات، وأقام والياً عليه سامي الرتبة نامي الحظوة، إلى أن استشهد في صدر المائة السابعة بعد حضوره بوقيعة العقاب، (609 = 1212م). ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج 3، ص166.

ولمّا تلاقَينــا جَــرى الطّعــنُ بينَنــا فمنّـــا ومـــنهُم طـــائحونَ عَديـــدُ
وجـــال غـــرارُ الهنـــدِ فينـــا وفـــيهمُ فمنّـــا ومـــنهمْ قـــائمٌ وحَـــصيدُ
صَبَرْنا ولا كتفٌ سوى البيضِ والقَنُـــا كلانـــا علـــى حَـــرّ الجِـــلادِ جليـــدُ
ولكـــنْ شـــدَدْنا شـــدّةً فتبلّـــدوا ومـــن يتبلّـــدْ لا يـــزال يَحيـــدُ
فولّـــوا وللبـــيضِ الرّقـــاق بِهـــامِهِمْ صـــليلٌ وللـــسّمرِ الطـــوالِ وُرودُ[1]

ولقد مارس بعض العلماء طريقهم الجهادي على الرغم من انشغالهم بمتطلبات الحكم والسياسة مثل الفقيه سعيد بن حكم بن عمر القرشي، كان محدثاً راوياً نحوياً أديباً، ذا حظ وافـر فـي علـم الطب، وبسبب ما اتصف به من سعة الأفق وتعدد ثقافته عين حاكماً لجزيرة منورقة التي شـهدت استقراراً في الأوضاع السياسية وتحسناً في الأحوال الاقتصادية، وتمكن من إنـشاء جـيش قـوي مدرب حتى هابه النصارى، وقد واصل مشواره العلمي بالرغم من انشغاله الشديد بشئون الـسياسة والحرب؛ حيث كان بيته قبلةً يؤمها طلاب العلم والعلماء "انتابه أهـل العلـم وطلبتـه مـن بـلاد الأندلس.. فكان يحسن إليهم ويستجلب ودهم، ويحسن صرف من أحب الانصراف عنـه... وكـان شديد العناية بجمع دفاتر العلم وأعلاق الكتب حتى جمع منها ما لا نظير له كثرة وجودة إذا كـان مقصوداً بها من المسلمين والنصارى، فكان يتخدم بها إليه النصارى، وتوفي الفقيه عام (630هـ= 1233م). [2]

أما عبد الملك بن هذيل بن خلف بن لب بن رزين[3] أحد العلماء الـذين تـصدروا مواقـع سياسية متقدمة[4] فقد كان ذا نجدة وإقدام وشجاعة ظهرت بوضوح فـي وقـائع ومناوشـات مـع النصارى في المناطق الحدودية، وقد سقط يوماً عن فرسه فقال:

إني سقطت ولا جبنٌ ولا خـورٌ وليس يُدْفعُ ما يـأتي بـه القَـدَرُ
هذا الكسوف يُرى تـأثيره أبـداً ولا يعاب به شـمسٌ ولا قمـرُ[5]

والأسر من الأمور التي لازمت حركة الجهاد في الأندلس، فقد سقط الفقيه محمد بن أحمـد الحجري عام (533هـ=1139م) [6]، وأبو العباس الأنصاري(624هـ=1227م)[7] ، وممن عانى

---

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص274 ؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج1، ص382؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص465.

[2] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س4، ص47.

[3] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص51.

[4] ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص428.

[5] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص51.

[6] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س6، ص17.

[7] هو أحمد بن علي بن يوسف الأنصاري محدثاً وراوياً، ولي الإمامة والخطابة في غَرْنَاطَة. ابن الأبار، التكملـة لكتـاب الـصلة، ج1، ص101.

عانى من قيد الأسر من العلماء الفقيه علي بن أحمد العبدري[1]، الذي مات في أسر النصارى سنة (627هـ=1230م) [2] وأبو عمرو الغافقي[3](633هـ =1236م) [4] .

وسقط أبو جعفر القيسي في الأسر عام(643= 1246) [5] وقد تعرض للتعذيب الشديد في أسره[6]، وأيضاً الفقيه إبراهيم بن إسحاق العبدري الميورقي[7] (642هـ= 1245م) وكان يغلب عليه الديانة والنزاهة، وقد وقع في الأسر بعد سقوط مدينة مَـيُورْقَـة بيد النصارى، وتمكن من التخلص من الأسر[8]،

وقد تحدث بعض العلماء عن الأسر الذي وقعوا فيه في ساحات الجهاد، فقد نظم محمد بن سواد الأشبوني قصيدة يبين كيفية أسره ويتطرق لصنوف العذاب التي لقيها في سجنه من تهديد مستمر بالقتل وشدة القيود، ومما قاله:

فجاؤوا بأنواع الكبول ونظموا سلاسل في يدي كما ينظم الدر

وساقوا كلاباً كالفحولة أجسماً لها أعين خضر شزرُ [9]

---

[1] هو علي بن أحمد العبدرى الميورقي فقيه عالم راوي للحديث، تصدر الإقراء وكان خطيباً مفوهاً، رجلاً صالحاً غاية في حسن الوجه. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ص183.

[2] م.ن ، س5، ص183.

[3] هو نصر بن عبد الله بن عبد العزيز بن بشير الغافقي كان من أهل المعرفة بالفقه والرواية ومن أهل الدين المتين وكان مولده عام (535هـ= 1140م) .ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص18؛ الرعيني، شيوخ الرعيني، ص161 .

[4] الرعيني، شيوخ الرعيني، ص161.

[5] هو أحمد بن محمد بن محمد القيسي، محدثاً وراوياً، تصدر لإقراء القرآن والتعليم بالعربية وله مؤلفات عديدة منها كتاب "العباد، تفهيم القلوب، آيات علام الغيوب، تسديد اللسان، مختصر التبصرة، (ت:643هـ=1246م) ؛ ينظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص108.

[6] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص108.

[7] هو إبراهيم بن إسحاق بن علي بن خلف بن محمد العبدرى راوٍ للحديث، (ت:642هـ = 1245م) ؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص222.

[8] م.ن، ج1، ص146.

[9] ابن بسام، الذخيرة، ق2، ج2، ص86 ؛ ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج1، ص412.

المبحث الثاني

علماء استشهدوا في ميادين القتال بالأندلس

ولما كان الجهاد سمة الحياة في الأندلس، والمعارك فيها لا تكاد تتوقف فإنه من الطبيعي أن تشهد ميادين الجهاد سقوط الكثير من الشهداء، وكان للعلماء النصيب الكبير من قوافل الشهداء، وممن ورد اسمه في المصادر الأندلسية من الشهداء، أحمد بن عبد الرحمن بن أيوب من أهل سَرَقُسْطَة، كان واحد زمانه في علم الرؤيا واستشهد عام (473هـ= 1080م)[1] ، والشهيد يعلي المصمودي استشهد في معركة الزلاقة عام (479هـ=1185م) [2]، وقد كان مصاحباً للفقيه عبد الملك المصمودى[3] واستشهدا معاً[4]، كما شارك الفقيه أحمد بن محمد بن فرج القرطبي في معركة الزلاقة[5] ، وكان ابن رميلة قد استيقظ من نومه ليلاً مستبشراً فرحاً فسأله من حوله عن سبب فرحه فأبلغهم أنه رأى رسول الله ﷺ في رؤيا وبشره بالنصر والشهادة له، وفي الصباح توضأ وتطيب، فعندما علم المعتمد بن عباد أرسل إليه وسمع رؤيته[6] .

وبعد المعركة التي انتصر فيها الجيش الإسلامي عثروا على الفقيه شهيداً[7] واستشهد مقبلاً غير مدبر.[8] وممن استشهد في معركة الزلاقة الفضل بن أبي محمد بن حزم[9] واستشهد القائد أبو شجاع أرقم بن لبون[10] عام (481هـ= 10)[11] وأيضاً الفقيه عبد الوهاب بن محمد بن حكم الأنصاري استشهد في معركة وشقة سنة (489هـ =1088م) [12]، وسقط أبو إسماعيل بن يحيى بن سعيد بن سعيد بن عقبة شهيداً ويتصل نسبه بخالد بن الوليد (رضي الله عنه)[13]، واستشهد

---

[1] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص40.

[2] م. ن، ج4، ص238.

[3] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج4، ص283 ؛ الحميري، الروض المعطار ص65.

[4] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص28.

[5] ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص68.

[6] الحميري، الروض المعطار، ص90 .

[7] ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص98؛ الحميري، الروض المعطار، ص94.

[8] ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص118.

[9] م. ن، ج2، ص678.

[10] هو القائد شجاع بن أرقم بن لبون وهو من المولدين، وقد استخدم المولدون حرفي الواو والنون للتعظيم وقد أخذ العرب عنهم ذلك وأضافوها لأسمائهم مثل خلدون، زيدون، عمرون، وكان شجاع بن أرقم حاكم مقاطعة وبذة إحدى مقاطعات طليطلة، وحينما طلب القادر بن ذي النون من أبناء شعبه ضريبة لجمع المال وتسليمه لألفونسو وهدد سكان طليطلة بتسليم رجالهم وأطفالهم إن رفضوا دفع الجزية، فلم يجبه أحد سوى هذا القائد، واعتبر تصريحه هذا بخروجه عن الإسلام ورأى أنه لا تجب عليه الطاعة، سقط شهيداً سنة(481هـ= 1086م). ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص199؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص82 .

[11] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص169 ؛ ابن الكردبوس، تاريخ االأندلس، ص98.

[12] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج3، ص105.

[13] م. ن، ج1، ص158 .

الفقيه أبو عبد الله التدميري في رباطه في ثغر طَلَبِيَرة حيث كان أحد أفراد سرية عبرت الحدود النصرانية فاستشهد هناك[1] .

وفي عام (490هـ= 1089م) قام القمبيطور بحرق العالم أحمد بن عبد الولي البتي البلنسي[2]لأنه كان يحرض المسلمين على الثبات أثناء حصار النصارى لها [3] ، واستشهد الإمام الجزولي في معركة أُقْلِيش عام (502هـ= 1108م)[4] ، كما استشهد العالم يحيى بن محمد الأموي وهو من أهل لاَرِدَة ويعرف بابن قبرون وكان خيراً فاضلاً، صلباً في الحق، استشهد في معركة البورت عام (508هـ= 1114م) [5]، وفي المعركة نفسها استشهد الفقيه أحمد بن ثابت بن عبد الله بن ثابت العوفي[6]، واستشهد في هذه المعركة أيضاً الفقيه محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن الحسين الإشبيلي "أحد رجال الكمال بالأندلس علماً وأدباً وشرفاً ومنصباً"[7] راوياً، محدثاً، فقيهاً وكان أحد طلبة أبي علي الصدفي وكان أحد المقربين منه، استشهد عام (508هـ= 1114م) بالموضع المعروف بالبورت[8].

واستشهد أحمد بن محمد بن أحمد من سكان طَلَبِيَرة، يكنى أبا عمر، كان زاهداً كثير الرباط استشهد أثناء تأدية واجبه الديني في إحدى السرايا التي انطلقت من الرباط فاشتبكوا مع قوة نصرانية استشهد على إثرها[9].

وكان بكر بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان القرطبي غاية في الزهد، "مات في جهاد العدو"[10].

وفي عام(514هـ= 1120م) وقعت معركة قتندة فقد خلالها المسلمون عدداً كبيراً من العلماء[11] كان من أبرزهم على الإطلاق أبو علي الصدفي وهو حسين بن محمد بن فيره بن حيون ويعرف "ابن سكرة الصدفي" من سكان سَرَقُسْطَة[12] وكان عالماً بالحديث وطرقه، عارفاً بعلله

---

[1] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة ، ج1، ص64.

[2] هو أحمد بن عبد الولي بن أحمد البتي البلنسي، كان كاتباً شاعراً بليغاً كتب في النحو واللغة. ينظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص14.

[3] الضبي، بغية الملتمس، ج1، ص241؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص14.

[4] ابن القطان، نظم الجمان، ص66.

[5] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص34 ؛ ابن الأبار، المعجم، ص318.

[6] ابن الأبار، المعجم، ص318.

[7] م. ن، ص142.

[8] م. ن، ص142.

[9] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص22.

[10] ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج1، ص415 ؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص225.

[11] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص298.

[12] الضبي، بغية الملتمس، ج1 ص331 ؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص298.

وأسماء رجاله بصيراً بالمعدلين والمجرحين، وكان يقصده أكثر أهل الأندلس للتعلم على يده،[1] ونظراً لما يمتلكه الفقيه من سعة علوم فقد أوكل إليه والي مُرْسِيَة أن يتولى القضاء فيها، لكنه – وأمام إصرار الوالي – هرب إلى المَرِيَّة واختفي بها ثم تبعه طلابه فلم يجدوه، وطال انتظارهم إياه حتى نفدت مؤن بعضهم، فأخذوا يرحلون في حين انتظر البعض خروجه من مخبئه فما كان من الفقيه إلا أن راسلهم للقاء معهم سراً، وبقي كذلك حتى أعفاه الوالي من منصب القضاء[2]، وعاد إلى مُرْسِيَة وعادت وفود الطلبة تفد إليه، ومما يؤثر عنه أن أحد الوزراء طلب منه التوجه لوالي مُرْسِيَة إبراهيم بن يوسف بن تاشفين ليعلمه، فرفض الفقيه معللاً أن من أراد سماع الحديث فليأتني للمسجد[3].

ومما يذكر عنه أن أحد طلابه قال في حضرته: أصوم غداً لأني أخشى التخمة، فغضب الفقيه وقال: هلا قلت: لا آكل غداً شيئاً، حتى يخف بطني، تمن على الله بمداواة تخمتك[4]، وفي موقف آخر تأخر أحد الطلاب عن درسه اليومي الذي يبدأ بعد المغرب، وحينما وصل سأله الفقيه عن سبب تأخره ؟ فقال: كنت صائماً وأفطرت، ولأجل ذلك تأخرت فقال له الفقيه، "في نفسي شيء إن قلته كنت جافياً، وإن سكت عنه كنت غاشاً، وأهون الأشياء عندي أن أكون جافياً لا غاشاً، أخبرتني أنك تأخرت من أجل صومك، وأنا منذ أيام قد بقيت على صوم... فمنذ صرت تقرأ لا أفطر إلا بعد انصرافك من العتمة، من أجل قراءتك، وأنت لم تترك إفطارك ليلة واحدة، "[5] ويعلق ابن الأبارعلى هذه القصة "وأراد رحمه الله بذلك ترغيبه في العلم، وحضه عليه"[6] .

وفي أثناء سكنى أبي علي الصدفي لمُرْسِيَة كانت ولاية سَرَقُسْطَة تمر في ظروف سياسية صعبة إذ عبرت قوات أوربية إلى الأندلس وتعاونت مع ألفونسو المحارب في حصارها زهاء سبعة أشهر وسقطت المدينة عام (512هـ=1118م) ودخلها ألفونسو وحول مسجدها الجامع إلى كنيسة، وبسقوطها أصبحت الكثير من المدن مهددة أمام قوات النصارى[7] وهنا يتبلور الدور الجهادي للفقيه فقرر الخروج إلى الجهاد لإيقاف الخطر النصراني وبدأ يحث تلاميذه ويرغبهم في الجهاد كما بدأ يستنهض همم الجند المرابطين ويثير الحماسة الدينية عندهم وتمكن من جمع عشرين ألف متطوع للجهاد[8] ، وقبل الخروج للمعركة أوصى أبو علي الصدفي أحد العلماء الأفاضل بإمامة

---

[1] المقري، أزهار الرياض، ج3، ص152.

[2] مؤنس، شيوخ العصر، ص104.

[3] ابن الأبار، المعجم، ص63.

[4] م. ن. ص142.

[5] م. ن، ص143.

[6] م. ن، ص143.

[7] ابن عذاري، البيان المُغْرب، ج4، ص54.

[8] مؤنس، شيوخ العصر، ص105.

الناس بدلاً منه[1]، وانطلق الجيش الإسلامي من مُرْسِيَة إلى شَاطِبَة ثم بَلَنْسِيَة[2] ، وكان الجيش الإسلامي يقف في المدن للتزود بالمؤن والعدة حقبة من الزمن، أما الفقيه فكان لا ينقطع خلال هذه المدة عن عقد الحلقات العلمية، يعلق الدكتور الحجي على مسألة إلقاء أبي علي الصدفي دروس الفقه والحديث[3] والدروس العلمية في المحطات التي توقف فيها الجيش الإسلامي بأن الفقيه "تولى التدريس في حالة انشغال وإعداد الحرب واتجاهه إلى ميدانه، إنه يفترس الوقت، ليقدم ما عنده للمجتمع تطوعاً وتقرباً إلى الله... فالحرب والعلم عنده في نفس المتجه وعين المبتغى، فهما عبادة وإن اختلفا في الصورة... العالم في جهاد مستمر وإن تعددت ميادينه، لذا قام من مجلس الدرس حيث يقيم ليتسلم مقبض السيف حيث يجول"[4] .

وصلت الجيوش الإسلامية إلى قتندة، وهي تضم أعداداً ضخمة من المتطوعين، "ولا يعلل خروج هذا العدد الكبير من المطّوعة إلا بتأثير أبي علي الصدفي فيمن حوله من الناس في مرسيه ونواحيها "[5]، وحدثت معركة قوية سقط فيها أبو علي الصدفي شهيداً، واستشهد من الفقهاء والعلماء عدد كبير[6]، كان منهم محمد بن الفراء الفقيه الزاهد وهو من أهل الورع "وكان مجاب الدعوة متقللاً من الدنيا" [7]، وأيضاً الفقيه عبد الرحمن بن فتح اللخمي[8].

وقد شارك علماء آخرون في الجهاد مثل الفقيه عبد الحق بن غالب بن عطية، فقد كان كثير الغزو في جيوش المرابطين (ت:514 هـ= 1218م) [9].

ومن العلماء الذين قتلوا في ساحات الجهاد عبد الملك بن محمد بن مسعود بن فرج بن أبي الخصال يكنى أبو مروان[10].

كان راوياً، فاضلاً، ديناً من نجباء الأبناء نشأ على صون وعفاف وانقطاع إلى طلب العلم وفنون الخير"[11]، واستشهد في حدود عام (530هـ =1135م) ورثاه والده في قصيدة، ومما قاله:

جزعت وقد كان التجلد بي أحرى ... ولكنَّ زَنْدَ الوجدِ في كبدى أورى

تقسمني ما بين حيّ وميت ... فمنْ مَعْشَر قتلى ومن معشرٍ أسرى

---

[1] ابن الأبار، المعجم، ص197.

[2] م. ن، ص117.

[3] م. ن، ص195.

[4] الحجي، ص431.

[5] مؤنس، شيوخ العصر، ص106.

[6] السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1، ص455 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س6، ص219.

[7] الضبي، بغية الملتمس، ج2، ص146.

[8] م. ن، ج2، ص370.

[9] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص266 .

[10] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ص38.

[11] م. ن، س5، ص38.

وما زال أقــران الظهــورِ مقــاتلاً وكيف توقي الموت من حيث لا يُدْرى
وما ساق ذاك الحتــف إلا شــهادة تركت بها في كــلِّ منزلــة نــشرا[1]

وفي عام (539هـ=1140م) استشهد العالم علي بن عبد الله بن ثابت بن محمد بــن عبــد الرحمن الأنصاري[2]،أحد طلبة أبي علي الصدفي كان راوياً محدثاً فقيهاً[3] ، وفيما بعد أصبح أحــد أكبر علماء عصره يجتمع حوله طلبة العلم ينهلون من علومه[4]،وشيخاً يجيز القراءات، ويذكر أحد طلبته أنه في أثناء تسميعه لما حفظ أخطأ أكثر من مرة فقال علي بن عبد الله له : "يا بني، لعلك لا تقوم بالقرآن من الليل، إنه لا يحفظه من لا يتــنفل به ليلاً"[5] وهكذا فهم علماء الأندلس دينهم فكانوا رهباناً في الليل، ويذكر أنه كان "مأثور الكرامات، مشهوراً بإجابة الدعوات... في غاية التقشف"[6] وكانوا فرساناً في النهار؛ حيث "غزا بلاد العدو غزوات كثيرة على قدميه ابتغاء الأجر".[7]

ومن العلماء الذين نالوا مرتبة الشهادة في ميادين القتال إبراهيم بن أحمــد بــن إبــراهيم المعافري الشاطبي، من رواة الحديث، سقط شهيداً بالقرب من جزيرة شقر عام (523هـ=1129م) وكان شاعراً، ومن نظمه:

اغتنم ركعتــين زلفــى إلــى الله إذا كنـــت فارغـــاً مـــستريحاً
وإذا مــا هممــت يومــاً بنطــقٍ فــاجعلهن فــي مكانــة تــسبيحاً[8]

ومن علماء الحديث الذين التحقوا بكتائب المجاهدين العالم محمد بن عبــد الله بــن علــي الرشاطي، من أشهر علماء الحديث، وله عناية كبيرة في الرجال والرواة والتواريخ صنف كتاباً في الحديث سماه "اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار[9]،ســقط شــهيداً صبيحة يوم الجمعة عام (542هـ=1148م) [10]، وأيضاً الشهيد المحدث سليمان بن عبــد العزيــز

---

[1] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة،، ج5، ص40.

[2] الحميدي، جذوة المقتبس، ص209؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج3، ص190؛ ابن الأبار، المعجم، ص282. ابــن عبــد الملــك المراكشي، الذيل والتكملة، س4، ص73.

[3] الضبي، بغية الملتمس، ج2، ص288.

[4] م. ن، ج2، ص288.

[5] م. ن،ج2، ص288.

[6] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ص222.

[7] م. ن، ج5، ص222.

[8] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص124.

[9] المقري، نفح الطيب، ص2، ص122.

[10] خليفة، كشف الظنون، ج1، ص134 ؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج4، ص207 ؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج4، ص43؛ ابــن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص87.

الذي كان من أهل النبل والمعرفة[1] وكذلك الفقيه محمد بن عبد الحق بن نويل الغرناطي، استشهد بغَرْنَاطَة (557هـ= 1161م) [2]

واستشهد في سنة (558هـ= 1162م) مجموعة من العلماء يقدر عددهم بثلاثين منهم أحمد ابن ثابت بن عبد الله بن ثابت العوفي[3]، والفقيه علي بن محمد بن أحمد بن فيد الفارس الذي[4] كان محدثاً حافظاً ثقة عدلاً... موصوفاً بالذكاء والفضل والتواضع، نزيه الهمة كريم الطبع، جليل القدر واستشهد في عام (567هـ=1172م) [5]، وفي العام الذي تلاه استشهد الفقيه علي بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن يوسف[6]، كان راوياً محدثاً ونحوياً يميل إلى التصوف مؤثراً القناعة موصوفاً بالفضل والصلاح واستشهد عام(568هـ = 1173م) [7]، وفي العام نفسه استشهد الفقيه إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المغربي من سكان بَلَنْسِيَة وكان عالماً صالحاً "اتخذ تلاوة القرآن شعاراً ليلاً ونهاراً لا يسأم ولا يفتر مع الصلاح والذكاء وحسن الأداء "استشهد بظاهر بَلَنْسِيَة[8].

وفي عام (575هـ=1180م) استشهد المحدث الحافظ أبو زيد ابن عباد الأندلسي، له مصنفات عدة في الحديث منها "الكفاية في مراتب الرواية"[9] ، وفي مستهل عام (580هـ= 1184) استشهد عتيق بن أحمد بن محمد بن إسماعيل البلنسي من أهل الذكاء والفهم، وفدت إليه جموع طلبة العلم من كافة أرجاء الأندلس[10].

وممن استشهد من العلماء أيضاً سعد السعود بن أحمد بن هشام بن إدريس بن محمد بن سعيد بن سليمان الأموي[11] "كان محدثاً حافظاً فاضلاً مثابراً على اقتفاء الآثار النبوية... سمحاً هيناً ليناً متواضعاً صليباً في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم... ملازماً الإمامة والأذان بمسجده، كان يؤم بالمسجد"[12] وقال حين احتضر: والله لا أبالي بالموت ثقة بحب رسول الله ﷺ واستشهد عام (588هـ= 1192م). [13]

---

[1] الحميدي، جذوة المقتبس ص209؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س4، ص73.

[2] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س6، ص377.

[3] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ص51.

[4] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ص278.

[5] م. ن، س5، 279.

[6] م. ن، س5، ص171.

[7] م. ن، س5، ص171.

[8] م. ن، س4، ص130.

[9] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص181.

[10] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص19.

[11] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س4، ص19.

[12] م. ن، ، س4، ص19.

[13] م. ن، س4 ص21.

وكان الحافظ الفقيه عبد الله بن بكر بن خلف بن محمد بن كوثر الغافقي "شجاعاً فاضلاً يحضر الغزوات ويبلي فيها البلاء الحسن"[1] وقادته شجاعته وبطولته أخيراً أن ينال وسام الشهداء بعد أن رأى بعض أصحابه رؤيا؛ حيث رأى أحد أصحابه فداناً قد أنبت ريحاناً، لم يُر مثله، فلما قصها على الفقيه عبد الله بن بكر عقب صلاة الفجر فقال في تأويلها : "شهيد يتوفى... عسى الله أن يجعلنيه"[2] وما أن أشرقت الشمس إذ بسرية من النصارى تهاجمهم على حين غرة وتمكنوا من أسر مجموعة من الرجال وهربوا، فلحق بهم الفقيه عبد الله هو وأحد الرجال وتمكنوا من تحرير الأسرى وواصلوا قتالهم للنصارى وحاول صاحبه الفرار، فقال له عبد الله بن بكر: "أين تريد وهذه الجنة"[3] وبقي الفقيه وحده في الميدان فتكاثروا عليه وقتلوه وهربوا.[4]

واستشهد الفقيه علي بن محمد بن لب بن سعيد القيسي[5] بعد أن أبلى بلاءً حسناً، علماً بأنه كان إماماً وخطيب مسجد "وكان مقرئاً حسن القيام على تجويد القرآن، ضابطاً لاختلاف القراء، زاهداً ورعاً فاضلاً"[6]، كما واستشهد الفقيه محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الإشبيلي "وكان محدثاً راوياً للحديث، عدلاً ديناً فاضلاً جميل العشرة براً بإخوانه، كريم العهد وفياً"[7]، استشهد عام (608هـ=1211م) [8] وفي عام (906هـ=1212م) وقعت معركة العقاب التي خسر فيها المسلمون عدداً كبيراً من العلماء منهم أحمد بن هارون النضري الشاطبي، كان أحد الحفاظ للحديث، يسرد المتون والأسانيد، غالباً عليه الورع والزهد على منهاج السلف، يأكل القليل ويلبس الخشن، ومع ذلك كان يؤذن في المساجد وله مؤلفات دالة على سعة حفظه مع النظم والنثر وقد تعلم على يديه جلة علماء الأندلس[9]، ومنهم القاضي إسحاق بن يعمر المجابري، قاضي بلنسية، وكان زاهداً عابداً، ومنهم الفقيه أبو الصبر بن عبد الله الفهري الذي " استوسع في راوية الحديث وكان معروفاً بالزهد[10]، وكان منهم محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خلف الأنصاري[11] الذي كان أحد أقطاب علم الحديث والقراءات في عصره "متقناً ضابطاً، نبيل الخط والتقييد، ديناً فاضلاً، وصنف في الحديث... استمرت حاله على نشر العلم وبثه إلى أن أكرمه الله بالشهادة في وقيعة العقاب... وذكر عنه من الثبوت ذلك اليوم والحض على حصول الشهادة والرغبة في

---

[1] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ص186.

[2] م. ن، س4، ص186.

[3] م. ن، س4، ص186.

[4] م. ن، س4، ص187.

[5] م. ن، س5، ص387.

[6] م. ن، س5، ص387.

[7] م. ن، س6، ص33.

[8] م. ن، س6، ص33.

[9] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص101.

[10] م. ن، ج1، ص202.

[11] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص61 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س4، ص228.

المجاهدة ما دل على إخلاصه وصدق يقينه"[1] ، ومنهم محمد بن إبراهيم الحضرمي، قاضي قُرْطُبَة مضافاً ذلك إلى الخطبة بجامعه، وله تأليف في رجال الموطأ[2]، واستشهد الفقيه تاشفين بن محمد المكتب في معركة العقاب، وكان هذا الفقيه "زاهداً عابداً معلماً بالقرآن له حظ من قرض الشعر"[3] وكان كثير الغزو والالتحاق بالمجاهدين[4]، شجاعاً زاهداً يصحب الزهاد[5]، ويعد هذا الفقيه نموذجاً لعلماء الأندلس الذين لم يكونوا رهباناً بالليل والنهار فينعزلوا عن قضايا مجتمعهم، كما لم يكونوا فرساناً ليلاً ونهاراً مما يفقدهم المد الروحي الذي يدفعهم للشجاعة والثبات، كما واستشهد في الوقيعة ذاتها القاضي محمد بن إبراهيم القرطبي الذي كان محدثاً راوياً للحديث خطيباً مفوهاً أصبح قبلةً لطلاب العلم للأخذ عنه، له تأليف في رجال الموطأ وله مشاركة واسعة في اللغة والأدب[6]، وممن سقط شهيداً في هذه المعركة مطرف بن مطرف[7].

ومن الفقهاء الذين سجلتهم المصادر التاريخية[8] ضمن قائمة الشهداء من العلماء في الأندلس محمد ابن عبد النور بن أحمد السبئي المقرئ، يصفه الرعيني بقوله "كان رحمه الله معتنياً بالقراءات، مبرّزاً في تجويدها، ضابطاً لما رواه، لقي الأشياخ ببلده، ورحل إلى لقائهم وأكثر عنهم، ومالقيت مثله إتقاناً للقراءة وقياماً عليها"[9] .

وقد نظم العديد من القصائد الشعرية والتي منها:

لا شيءَ أجملُ مِنْ علْمٍ ومعرفةٍ ... فكيف إن قُرِنا بالحلمِ والأدبِ

العِلمُ زينٌ ومالٌ لا نَفَادَ لهُ ... شتان ما بين كَسْب العلم والذّهبِ

كم من فقيهٍ بلا مالٍ عرفْتُهم ... صاروا ملوكاً بلا خِيمٍ ولا نسبِ

ومن غَنِيّ ذوي عزّ عرفتهمُ ... من بعد عزّهِمُ صاروا إلى التّعبِ[10]

ولم تكن دروسه العلمية المتواصلة تشغله عن واجب الجهاد فقد كان كثير الغزو وحضور المعارك الحربية، واستشهد في معركة قصر أبي دانس[11] عام (614هـ=1217م)

---

[1] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص61 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س6، ص168.

[2] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص585.

[3] م.ن ، ج1، ص235.

[4] م. ن، ج1، ص235.

[5] م. ن، ج1، ص235.

[6] م. ن، ج2، ص585.

[7] ابن سعيد، المُغرِب في حلى المَغْرِب، ج2، ص120.

[8] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص310 ؛ الرعيني، شيوخ الرعيني، ص14.

[9] شيوخ الرعيني، ص14.

[10] الرعيني، شيوخ الرعيني، ص17.

[11] ينظر: الحميري، الروض المعطار، 161.

الخاتمـــة ونتائـــج البـــحث

تم بفضل الله وعونه الانتهاء من هذا البحث، وقد توصل الباحث إلى العديد من النتائج أهمها:-

- نظر علماء الأندلس إلى بلادهم على أنها أرض رباط، لهذا أصبحت ثغورها قبلة للراغبين في الرباط من العلماء وغيرهم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وكان وجود العلماء بين المرابطين عاملاً أساسياً في رفع الروح المعنوية للمرابطين وزيادة أعدادهم.
- إن علماء الأندلس سعوا إلى وحدتها من خلال إعادتها إلى حكم الأمويين.
- إن علماء الأندلس قد سعوا إلى توحيدها من خلال إصلاح حكام الطوائف وتحريضهم على صد هجمات النصارى.
- إن علماء الأندلس أسهموا بشكل فاعل في وحدة المغرب والأندلس .
- إن علماء الأندلس كانوا وراء فكرة الاستعانة بالدولة المرابطية لحماية بلادهم من الخطر الصليبي الأسباني، وقد تحقق لهم ذلك.
- كان لعلماء الأندلس الدور الرئيس في إقناع يوسف بن تاشفين بضرورة القضاء على حكام الطوائف المتخاذلين.
- إن علماء الأندلس لعبوا دوراً مهماً في التمهيد لدخول المرابطين إلى المدن الأندلسية من خلال تحريض الناس على حكامهم.
- كان لعلماء الأندلس دور رئيس في إقناع الموحدين بالعبور إلى الأندلس وتوحيدها مع المغرب.
- كان للعلماء دوراً بارزاً في تحريض الحكام على الجهاد في عصور الطوائف والمرابطين والموحدين.
- إن بعض علماء الأندلس الذين حرضوا الحكام على الجهاد قد تعرضوا للنفي أو التعذيب أو القتل على أيدي الحكام.
- لعب علماء الأندلس دوراً كبيراً في تحريض المجتمع الأندلسي على الجهاد لصد الغزو الصليبي لبلادهم.
- لوحظ أن تحريض العلماء على الجهاد كان يزداد عقب سقوط المدن والشهداء، وكذلك قبيل المعارك، وبعيد تحقيق النصر.
- إن علماء الأندلس قد تركز ذمهم على حكام الطوائف المتقاعسين، بينما قلَّ نقدهم لحكام المرابطين والموحدين لعدم تقصيرمعظمهم في الجهاد.
- أسهم علماء الأندلس بشكل فاعل في نشر الفكر الجهادي والثقافة العسكرية.
- شارك العلماء مشاركة فعالة في ميادين الجهاد الحربي حيث انخرطوا في صفوف المجاهدين كجنود شجعان وتصدر بعضهم مواقع متقدمة كقادة للسرايا والكتائب.
- وقع عدد من العلماء في أسر النصارى وتعرضوا للتعذيب والترهيب في أسرهم.
- استشهد الكثير من العلماء في ساحات الجهاد وأغلب من استشهدوا كانوا من الفقهاء.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر العربية

ابن الأبـــــار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، (ت: 658هـ = 1269م).

1- أعتاب الكتاب، تح: صالح الأشتر، (دمشق، مطبوعات اللغـــة العربيـــة، ط1، 1380هـ = 1961م).

2- تحفة القادم، علق عليه: إحسان عبـــاس،(بيـــروت، دار الغـــرب الإســـلامي، 1986م).

3-التكملة لكتاب الصلة، جزءان، عني بنشره عزت العطار الحـــسيني، (مـــصر، مطبعة السعادة، ط1، 1956م).

4- الحلة السيراء، جزءان، تح: حسين مؤنس، (القاهرة، الشركة العربية، للطباعة والنشر، ط1، 1963م).

5-المعجم في أصحاب الصدفي، جزءان، تح: أبراهيم الأبيـــاري، (القـــاهرة، دار الكتاب المصري).

الأبشـــــيهي، محمد بن أحمد أبي الفتح (ت: 450هـ= 1446م).

6- المستطرف في كل فن مستظرف، تح: مفيد محمد قميحة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1986)

ابن الأثـــــير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، (ت: 630هـ = 1233م).

7- الكامل في التاريخ، ط8 (بيروت، 1965م).

الإدريســـــي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحمودي، (ت: 560هـ = 1165م).

8- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،(الجزء الخاص بالسودان ومصر والأندلس)، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1409هـ= 1989م).

الأزهـــــــري،أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت: 370هـ =980م).

تهذيب اللغة ، تح: إبراهيم الإبياري، (القاهرة، دار الكاتب العربي، 1967م)

الإصطخـــري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، (ت: 346هـ= 957م)

9- مسالك الممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحيني، (بيروت، دار صادر، طبع في مدينة ليدن، مطبعة بريل،1937).

الأصفهـــاني، أبو عبد الله محمد بن محمد، (ت: 597هـ = 1200م).
10- خريدة القصر وجريدة العصر، تح: أحمد أمـين، (القـاهرة، لجنـة التـأليف والترجمة،1951م).
البخـــــاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، (ت: 256هـ = 869م).
11- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسـلم وسننه وأيامه، تح : مصطفى ديب البغا، (بيروت، دار ابن كثير، ط3، 1407هـ= 1987م)
ابن بســـام، أبو الحسن علي بن بسام، (ت:542هـ = 1147م).
12- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، (لبنـان، دار الثقافـة للنشر والتوزيع،1979م).
ابن بشكـوال، خلف بن عبد الملك الخزرجي الأنصاري، (ت: 678هـ = 1182م).
13-الصلة، قسمان، تح: إبراهيم الأبيـاري، (القـاهرة، دار الكتـاب المـصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1410هـ = 1989م).
البكـــــري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، (ت:487هـ= 1094م).
14-المسالك والممالك، (الجزء الخاص بالأندلس وأوربا)، تـح: عبـد الـرحمن الحجي، (بيروت، دار الإرشاد، 1968م).
ابن بلقـــين، الأمير عبد الله بن باديس بن حبوس بن زيزي ملك غرناطة في عصر الطوائـف، (انتهى حكمه لغرناطة، سنة 483هـ=1090م).
15 - التبيان، حققه ونشره: إ.ليفي بروفنسال، تحت عنوان : مذكرات الأمير عبد الله، آخر
أمراء بني زيري بغرناطة، (القاهرة، دار المعارف، 1955م).
البيـــــذق، أبو بكر الصنهاجي (من أعيان القرن السادس الهجري= الثاني عشر الميلادي).
16 - أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، (طبعة ليفي بروفنـسال، باريس، 1928م).
الترمـــــذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت: 279هـ= 892م).
17- الجامع الصحيح سنن الترمذي، تح : أحمد محمد شاكر وآخرون (دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت).

التســـــــولي، أبو الحسن علي بن عبد السلام بن على (ت: 1258هـــ=1842م).
18- البهجة في شرح التحفة على الأرجوزة المسماة بتحفة الحكام، (بيــروت، دار الفكر، 1998م)
التطيلـــــــي، أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة (ت: 525هـــ = 1129م).
19- ديوان الأعمى التطيلي، تح: إحسان عباس،(بيروت، دار الثقافة، 1963م).
ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، (874هـــ = 1469م).
20-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة، المؤســسة المــصرية العامة، د.ت).
ابن حبـــــــان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البــستي (ت: 354هـــــ =965م).
21- صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرنؤوط، (بيروت، مؤســسة الرســالة، 1414هـــ = 1993م).
ابن حـــــــــــزم، أبو محمد علي بن محمد، (ت465هـــ= 1063م).
22- رسائل ابن حزم الأندلسي، 4ج، تح: إحسان عباس، (بيروت، المؤســسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1401هـــ = 1980م).
23- رسالة أبي محمد بن حزم في فضائل الأندلس، قدم لها ونشرها مع رسائل أخرى: صلاح الدين المنجد، تحت عنوان: فضائل الأندلس وأهلها، (دار الكتاب الجديد، ط1، 1387هـــ= 1968م).
24- طوق الحمامة في الألفة والألاف، حققه وقدم له: صلاح الدين القاســمي، (تونس، دار أبو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م).
25- المحلى بالآثار، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، (بيروت دار الأمــان الجديدة، د.ت).
26- جمهرة أنساب العرب،(بيروت، دار الكتب العلمية، 1403، 1983م).
27- نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تح شوقي ضيف، (القاهرة، مجلة كلية الآداب، 1951، مج 13).
الحمـــــــــوي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت: 626هـــ=1229م).
28- معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، 1404هـــ = 1984م).
29- معجم الأدباء، (دار الفكر، بيروت،د. ت).
الحميـــــــــدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر(ت: 488هـــ = 1095م)
30- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1975)

الحمـــــــيري، محمد بن عبد الله عبد المنعم، (ت: بعد 727هـ= 1326م).
31- الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: ليفي بروفنسال، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ت).
ابن حنبـــــــل، أبو عبدالله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني (ت: 241هـ = 855م).
32- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، (القاهرة، مؤسسة قرطبة، د.ت)
ابن حيـــــــان، أبو مروان حيان بن خلف، (ت: 469هـ= 1076م).
33- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1973م).
34-المقتبس في أخبار بلد الأندلس جزء مختص بخمس سنوات من خلافة المستنصر، تح: عبد الرحمن على الحجي، (بيروت، 1385هـ = 1965م).
أبو حيـــــــان، محمد بن يوسف، (745هـ = 1344م).
35- المعجم المحيط، إعداد: إبراهيم شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ = 1988م).
ابن خاقـــــان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي، (ت: 529هـ= 1134م).
36- قلائد العقيان، تح: حسين يوسف خريوش، (الأردن، مكتبة دار المنار، 1989م).
37- مطمح الأنفس ومسترح التأنس، تح: محمد علي شوابكة، (بيروت، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ط1، 1403هـ = 1983م).

ابن خـــــرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت: 300هـ = 912م).
38- وضع المقدمة: محمد مخزوم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ = 1988م)

ابن الخطـــيب، لسان الدين محمد بن عبد الله التلمساني (ت: 776هـ=1374م).

39-الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنـان، القـاهرة، مكتبـة الخانجي، 1973م).

40- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، حققه ونشره: إ.ليفي بروفنسال، تحت عنوان: تـاريخ أسـبانيا الإسـلامية، (بيـروت، دار المشكوف، ط2، 1956م).

41-اللمحة البدرية في الدولة النصرية، (بيروت، دار الآفاق الجديدة 1400هـ= 1980م).

ابن خفاجـــة، أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة(ت: 533هـ = 1138م).

42- ديوان ابن خفاجة الأندلسي، تح: كرم البستاني، (بيـروت، دار صـادر، 1961م).

ابن خلـــدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت: 808هـ= 1406م).

43-المقدمة، (بيروت، ط3، 1967م).

44-كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربـر ومـن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، طبع مؤسسة جمال للطباعة والنـشر، (بيروت، 1391هـ = 1971م).

ابن خلكـــان، أبو العباس، أحمد بن محمد(ت: 681هـ= 1284م).

45- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة، مكتبة النهضة، 1945م).

خـليـفـــة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت:460هـ= 1067م)

46- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بيروت، دار الكتـب العلميـة، 1992).

أبـــو داود، سليمان بن الأشعت بن إسحاق الأزدي، السجستاني، (ت: 275هـ= 888م).

47- سنن أبي داود، تح : محمد محيي الـدين عبـد الحميـد (بيـروت، دار الفكر،د.ت).

الـــداوودي، محمد بن علي بن أحمد(ت: 945هـ =1528م).

48- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: علي محمد عمـر، (القـاهرة، مكتبة وهبة، 1415هـ= 1994م).

الذهبـــــــي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت:748هـ= 1347م).
49-الأمصار ذو الآثار، تح: قاسم علي سعد، بيروت،(دار البشائر الإسلامية، ط1، 1986م)
50- سير أعلام النبلاء، تح شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط9، 1985م).
51-المعين في طبقات المحدثين، تح: همام عبد الرحيم سعيد، الأردن، دار الفرقان، ط1، 1404هـ= 1984م)
الـــــــرازي، محمد بن أبي أبي بكر بن عبد القادر الرازي(ت: 721هـ =1321م).
52- مختار الصحاح، تح: محمود خاطر، (بيروت، مكتبة لبنان، 1415هـ = 1995م).
ابن رشـــد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، (ت: 520هـ =1125م).
53- البيان والتحصيل، تح: أحمد الحبابي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1408هـ = 1988م).
54- المقدمات الممهدات، تح: محمد حجي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي).
ابن رشد(الحفيد)، أبو الوليد محمد بن أحمد رشد، (ت:590هـ = 1195م).
55- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تح: عبد الله العبادي، (دار السلام).
الرعينـــــــــي، علي بن محمد بن علي الإشبيلي، (ت: 661هـ =1263م)
56- برنامج شيوخ الرعيني، تح: إبراهيم شبّوح، (دمشق، مطبعة إحياء التراث القديم، 1962م).
ابن أبـــي زرع، عبد الله بن محمد بن يوسف الفاسي (ت: 741هـ = 1341م).
57- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، علق عليه: محمد الهاشمي الغيلالي، (الرباط، المكتبة الوطنية،1355هـ=1936م).
ابن الزقاق، علي بن إبراهيم بن عطية البلنسي(ت: 529هـ = 11034م)
58- ديوان ابن الزقاق، تح: عفيفة محمود، (بيروت، دار الثقافة، د. ت)
الزركشـــــي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي، (ت: 894هـ= 1488م).
59- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية تح: محمد ماضورة، (تونس، ط2، 1966م).

السبكـــــــي، أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت: 771هـ = 1370م).
60- طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، (بيروت، منشورات دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ=1999م).
ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك ، (ت: 685هـ = 1286م).
61-اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، اختصار: أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن خليل، تح: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ=1992م).
62- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة، تح: إبراهيم الأبياري، (مصر، دار المعارف، ط2، د.ت).
63- المغرب في حلى المغرب، جزءان، تح وتعليق: شوقي ضيف، (مصر، دار المعارف، ط2، 1964م).
السلفـــــــي، أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي (576هـ= 1178م).
64- معجم السفر، تح عبد الله البارودي، (بيروت ، لبنان، 1414هـ=1993م)
تح: عبد الله عمر البارودي، (مكة، المكتبة التجارية، د.ت).
ابن السماك العاملي، أبو القاسم محمد بن أبي العلاء ، (ت: في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي).
65- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمانة، (الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ط 1، 1979م).
السيوطـــــي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن سابق، (ت: 911هـ = 1505م).
66- طبقات الحفاظ، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1983م).
67- طبقات المفسرين، تح: محمد أمين الخانجي، (القاهرة، مطبعة السعادة).
ابن الشبـــاط، محمد بن علي التووزري، (ت: 681هـ= 1282م).
68 - صلة السمط وسمة المرط في شرح الهدى في الفخر المحمدي، (قطعة منه)، تح: أحمد مختار العبادي، (مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1971م)، نشره ضمن كتاب: "تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، ووصفه لابن الشباط، نصان جديدان".
ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد الباجي، (ت: 594هـ= 1198م).
69- تاريخ المن بالإمامة وتاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي،(بيروت، دار الأندلس، 1963م).

الصفـــــــدي، أبو الصفاء، خليل بن أيبك بن عبـــد الله الـــصفدي الفلـــسطيني (ت: 764هـــ = 1363م).

70- الوافي بالوفيات ، تح أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، (بيروت، دار إحياء التراث، 1420هـ = 2000م).

الضـــــــبي، أحمد بن يحيى بن احمد بن عميرة، (ت:599هـ= 1202م).

71- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتاب المصري، د.ت).

الطبراني،سليمان بن أحمد بن أيوب ، (ت: 360هـ= 970م).

72- المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (الموصل، مكتبـــة العلـــوم والحكم، ط2، 1404هـ = 1983م).

الطبـــــــري، أبو جعفر، محمد بن جرير، (ت: 310هـ = 922م).

73- تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد أبـــو الفـــضل إبـــراهيم، (القـــاهرة، دار المعارف،1964م).

الطرطوشـــي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري (ت520هـ= 1125م).

74 – سراج الملوك، تح: شوقي ضيف، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانيـــة، ط1، 1414هـ = 1994م).

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت:463هـ = 1071م).

75- الاستيعاب، (بيروت، دار الجيل، ط،6، د.ت).

76- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس، تح: محمـــد مرســـي الحوالي، (لبنان، دار الكتب العلمية، د.ت).

77- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، قدم له: عبـــد الكـــريم الخطيب، (القاهرة، دار الكتب الإسلامية، ط2، 1402هـ = 1982م).

78- القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجـــم، تـــح: إبـــراهيم الأبياري، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1405هـ = 1985م).

79- الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)

ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله بن محمد بن محمد، (ت: 703هـ = 1303م).

80- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، الأسفار من 4-6 تح: إحسان عباس،(بيروت، دار الثقافة، ط1،(1368هـ = 1949م).

ابن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي، (ت: بعد، 712هـ = 1175م).
81- البيان المغرب في أخبار أهل الأندلس والمغرب، تح:ج.س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، (بيروت، دار الثقافة، د.ت).
العذري، أحمد بن عمر بن أنس، (478هـ=1085م).
82- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تح:عبد العزيز الأهواني (مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1965م).
ابن العربي، محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري، (ت:542هـ = 1146م).
83- أحكام القرآن، (دار الفكر، 1387هـ= 1958م).
84- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة، علق عليه: محب الدين الخطيب (ط1، 1406هـ = 1986م).
ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت: 571هـ = 1175م).
85- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل واجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تح: سكينة الشهابي، (دمشق، دار الفكر المعاصر، 1982م).
العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي محمد بن حجر الشافعي (ت: 852هـ =1448م).
86- الإصابة في تمييز الصحابة، تح : علي محمد البجاوي
(دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ = 1992م).
87- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تح: محمد سيد جاد الحق، (القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1966هـ).
88- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (بيروت، دار المعرفة، 1379هـ).
ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي (ت:541هـ = 1144م)
89-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ = 1993م).
ابن عماد، أبو الفلاح عبد الحي بن علي بن كثير الحنبلي (ت:1089هـ =1678م).
90- شذرات الذهب في أخبار من ذهب،(بيروت، دار الآفاق الجديدة)
عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض، (ت: 544هـ = 1149م).
91- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مالك، تح: أحمد بكير محمود، (بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت).

ابن غالـــــب، محمد بن أيوب، (من أهل القرن السادس الهجري = الثاني عشر الميلادي)
92- فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تح: لطفي عبد البديع، (القاهرة، مطبعـــة مصر، 1956م)
الفراهيـــــدي، أبو عبد الرحمن خليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 175هـــ =791م).
93- العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط5، 1408هـــ = 1988م).
ابن فرحـــون، إبراهيم بن علي بن محمد (ت: 799هـــ=1396م).
94- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمـــد الأحمـــدي أبـــو النور، (دار التراث للطبع والنشر، د.ت).
ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، (ت: 403هـــ = 1012م).
95- تاريخ علماء الأندلس، (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة،1966م).
ابن قانـــــع، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع، (ت: 351هـــ = 962م).
96- معجم الصحابة، تح: صلاح بن سالم المصراتي، (مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، 1418هـــ).
القرطبـــــي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت: 617هـــ =1221م).
97- الجامع لأحكام القرآن الكريم، (بيروت،دار الكتـــب العلميـــة، 1408هـــــ = 1988م)
98- التذكرة لأحوال الموتى وأمور الآخرة، تح: أبـــو عبـــد الله العـــاملي الـــسلفي(بيروت،ار الفكر، ط1، 2003م)
ابن القطـــان، أبو الحسن علي بن عبد الملك بن يحيى الكتامي الفاسي، (ت: 628هـــ= 1230م)
99 - نظم الجمان، تح: محمود علي كرد، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990).
القلقشنـــدي، أحمد بن علي بن أبي اليمن، (ت: 821هـــ = 1481م).
100- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، د.ت).
ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر، (ت: 367هـــ = 977م).
101- تاريخ افتتاح الأندلس، تح: عبـــد الله أنـــيس الطبـــاع، (بيـــروت، دارالنـــشر للجامعيين،1957م).
الكتبـــــــي، محمد بن شاكر الكتبي(ت764هـــ=1962م).
102- فوات الوفيات والذيل عليها، تح، إحسان عباس، (بيروت، دار صادر،د.ت).

ابن كثـــــير، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء، (ت: 774هـ = 1372م).
103- البداية والنهاية في التاريخ، (القاهرة، مطبعة السعادة، د.ت).
ابن الكردبوس، أبو مروان بن عبد الملك بن الكردبوس التوزري، (ت: بعد 713هـ = 1313م).
104- الاكتفا في أخبار الخلفاء، (قطعة منه، نشر تحت عنوان، تاريخ الأنـــدلس، ابـــن الكردبوس ووصفه لابن الشباط .
الكشنـــاوي، أبو بكر حسن الكشناوي (ت:).
105 - أسهل المدارك وشرح إرشاد السالك في فقه إمام الأئمـــة مالـــك، (بيـــروت، دار الفكر،1420هـ=2000م).
ابن ماجـــة، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، (ت: 273هـ =886م).
106- سنن ابن ماجة، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ،(بيروت، دار الفكر ،د.ت).
مجهـــــول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، تـــح: إبـــراهيم
107- الأبياري، (القاهرة، دار الكتاب المصري، 1401هـ = 1981م).
المـــــرادي، أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي، (ت: 489هـ= 1097م).
108-الإشارة في تدبير الإمارة، تح: محمد حسن محمد إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ= 2003م).
المراكشـــي، عبد الواحد بن علي (647هـ = 1249م).
109- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،1963م).
مسلـــــــم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت261هـ = 874م).
110- صحيح مسلم، تح : محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت، د.ت).
المقـــــري، شهاب الدين أحمد التلمساني، (ت: 1041هـ = 1631م).
111 - أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: مـــصطفى الـــسقا، (القـــاهرة، 1940م).
112- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب، تح: إحـــسان عباس، بيروت، 1968).
ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري،(ت711هـ= 1311م).
113- لسان العرب، (دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ=1994).

الناصـــري، أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، (ت: 1279هـ = 1863م).
114- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تعليق: أبناء المؤلف جعفر ومحمـد الناصري، (الدار البيضاء، دار الكتاب، ط1، 1954م).
النبـاهـي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، (ت: 776هـ = 1374م).
115- تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تح: لجنـة إحياء التراث العربي، (بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1400هـ= 1980م).
ابن النحاس، أحمد بن إبراهيم الدمشقي الدمياطي، (استشهد 814هـ = 1411م).
116- مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد، هذبه وانتقاه: صلاح الخالدي، (الأردن، دار النفائس،1419هـ = 1999م).
النسـائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (303هـ=916م).
117 - المجتبى من السنن، تح : عبدالفتاح أبو غدة، (حلـب، مكتـب المطبوعـات الإسلامية، ط1406،2 = 1986م).
النويـري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت: 733هـ = 1332م).
118 - نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: أحمد كمـال زكـي، (القـاهرة: الهيئـة المصرية العامة للكتاب، 1980م).
ابـن هذيل، علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي (من أعيان القرن الثامن الهجـري= الرابـع عشر الميلادي).
119- حلية الفرسان وشعار الشجعان، تح: محمد عبد الغني حسن، (دار المعـارف للطباعة والنشر، 1369هـ =1949م).
120- عين الأدب والسياسة، وزين الحسب والرياسة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1405هـ= 1985م).
الهيثمـي، أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت:807هـ =1405م).
121 - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (بيروت، دار الفكر، 1412 هـ).
122- موارد الظمآن ، تح: محمد عبد الرازق حمزة، (بيروت، دار الكتب العلميـة، د.ت).
الونشريسي، أحمد بن يحيى، (ت: 914هـ = 1508م).
123- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس. المغرب، تح: محمد حجي، (بيروت، عالم الكتب، 1401هـ= 1981م).

ثالثاً: المراجع العربية والمترجمة.

أدهـــــــم، علي

1- المعتمد بن عباد، القاهرة ، (مكتبة مصر، د.ت).

أرســـــلان، شكيب.

2- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت).

إسماعيـــل، محمود.

3- الأدارسة (172- 375هـــ).حقائق جديدة (القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، 1991م).

أشبـــــــاخ، يوسف .

4- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، (القاهرة، 1945)

أنـــــــيس، إبراهيم .

5- المعجم الوسيط ، (1972م).

الأوســـــي، حكمة علي.

6- الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، (القاهرة، مكتبة الخانجى، د.ت).

بالنثيـــــــا، آنخل جنثالث .

7- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمه عن الأسبانية: حسين مؤنس، (القاهرة، مكتبة النهضة، ط1، 1955م).

بـــروفنسال، ليفي.

8- حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة: ذوقان قرقوط (بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت).

بروكلمان، كارل

9- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: فارس والبعلبعي،(بيرقت، دار العلم للملايين، ط5، 1968).

بـــــــــل، ألفرد .

10- الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي، ترجمة: عبد الرحمن بدوى، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981م).

بيضـــــون، إبراهيم .

11- الدولة العربية في أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (92- 422هـ = 711 – 1031م)، (بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر).

جاســـــم، بنت سعود .

12- ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ ، (القاهرة، دار الوفاء للطباعة، ط2، 1988م).

الجيـــلاني، عبد الرحمن .

13- تاريخ الجزائر العام، (الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، 1994م).

حتاملـــــة، محمد عبده .

14- موسوعة الديار الأندلسية،(الأردن، المكتبة الوطنية، ط1، 1420هـ= 1999م)

حجـــــاب، محمد منير .

15- تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، (دار النشر للطباعة والتوزيع، د.ت)

حجـــــي، عبد الرحمن علي

16- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت)

حومـــــد، أسعد .

17 – محنة العرب في الأندلس،(دمشق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، 1989م).

أبا الخليل، محمد إبراهيم .

18- الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى، دراسة في التاريخ السياسي، (الرياض، مطبوعات كلية الملك عبد العزيز العامة، ط1، 1416هـ).

أبو خليـــل، شوقي

19- معركة الأرك، (بيروت، دار الفكر، ط1، 1998م)

الدايـــــة، محمد رضوان .

20- ديوان أبي إسحاق الألبيري الأندلسي، (دار قتيبة،د.ت).

21- في الأدب الأندلس ،(بيروت، دار الفكر المعاصر، 2000م).

الـــركابي، جودت .

22- في الأدب الأندلسي،(مصر، دار المعارف، ط2، 1966م).

أبو رميلة، هشام .

23-علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس (عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 1984م).

روزنتـــال، فرانز

24- علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، بيروت، ط2، مؤسسة الرسالة، 1402هـ = 1983م)0

الزركلـــــي، خير الدين

25- الأعلام،(بيروت، دار العلم للملايين، ط5، 1980م)

الزهـــــــار، محمود .

26- إشكاليات مجتمعنا المعاصر، دراسة قرآنية (غزة، د.ت).

ســـالـــــم، سحر السيد .

27- شاطبة الحصن الأمامى لشرق الأندلس في العصور الإسلامية (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، 1995م).

السامـــرائي، خليل، وأخرون .

28 - تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس (بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1، 2000م).

29-علاقات المرابطين بالممالك النصرانية الأسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، (العراق، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1985م)

ســـــويـــدان، طارق محمد

30- الأندلس التاريخ المصور، شركة الإبداع الفكري، ط1، 1416هـ = 2005م).

سيســـالـــم، عصام سالم .

31- جزر الأندلس المنسية التاريخ الإسلامي لجزر البليار، (بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1984م).

شـــــرف الدين، محمود .

32- تاريخ السيادة الإسلامية على الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة (القاهرة، مكتبة الآداب، 1996م).

بن شـــريفـــة، محمد .

33- ابن مغاور الشاطبى حياته وآثاره(د.ت)

الشـــكعـــــة، مصطفى .

34- المغرب والأندلس آفاق اسلامية وحضارة إنسانية، ومباحث أدبية، (دار الكتب الإسلامية، ط1، 1957م).

35-الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، (بيروت دار العلم للملايين، د.ت).

الشلبـــــــــي، سعد

36- البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر .

القاهرة، دار النهضة، د.ت)

الشيـــــــــال، جمال الدين .

37- أبو بكر الطرطوش، سلسلة أعلام العرب

(القاهرة، دار الكاتب العربي، 1968م).

الصـــــــلابي، علي محمد .

38- الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين

(القاهرة ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ط1، 2003م).

الطيبـــــــي، أمين .

39- دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس

(الدار العربية للكتاب، 1997م).

عاصـــــــي، ميشال .

40- الشعر والبيئة في الأندلس

(بيروت، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1970م).

العبادلـــــة، عثمان محمد .

41 - دراسات في الأدب الأندلسي (القاهرة، دار النهضة العربية، ط1، 1993م).

42 - صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس

(الإسكندرية – مكتبة المعارف، ط1 ، 2000م).

عبـــــــاس،إحسان .

43 - تاريخ النقد الأدبي عند العرب، (الأردن، دار الشروق، ط2، 1993م).

عتيـــــــــق، عبد العزيز.

44-الأدب العربي في الأندلس

(القاهرة، دار النهضة العربية، ط2، 1976م).

العفـــــــاني، سيد حسين .

45- صلاح الأمة في علو الهمة، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1424هـــ= 2003م)

عنـــــــــان، محمد عبد الله.

46- دول الطوائف، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1969).

عـــــــودات، أحمد .

47- تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري

(مكتبة الدراسات الاجتماعية، دار الأمل للنشر والتوزيع ، ط1، 1989م).

عـــــــويس، عبد الحليم .

48- ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري

(الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1988م)

49- أربعون سبباً في سقوط الأندلس(د.ت)

الغـــــــــزالي، محمد .

50 - دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين (دمشق، دار القلم، ط3، 1998م).

الفاخـــــــوري، حنا .

51- الجامع في تاريخ الأدب العربي، (بيروت، دار الجيل).

أبو الفضـــــل، محمد

52- تاريخ مدينة ألمرية الأندلسية في العصر الأندلسي، (الإسكندرية، دار المعرفة، 1996م).

فكـــــــــرى، أحمد .

53- قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1983م).

فـــــــــون، شاك.

54- الشعر العربي في أسبانيا وصقلية ، ترجمة: الطاهر أحمد مكي (دار المعارف، ط1، 1991م).

القـــــرضاوي، يوسف .

55- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم (1989م).

قطـــــــب، محمد علي .

56- الإمام ابن حزم الظاهري، سلسلة أئمة الفقه الإسلامي (القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت).

كحيلـــــــة، عبادة .

57-القطوف الدواني في التاريخ الأسباني (ط1، 1998م).

محمـــــــود، حسن أحمد .

58- قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى (القاهرة ، دار الفكر العربي، د.ت).

المشينـــــي، مصطفى إبراهيم

59- مدرسة التفسير في الأندلس بيروت، مؤسسة الرسالة، 1406هـ = 1986م)

أبو مصطـفى، كمال .

60- تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية (95- 495هـ = 714- 1102م).

(الإسكندرية ، مركز الإسكندرية للكتاب).

المنجد

61- المنجد في اللغة والإعلام (بيروت، دار المشرق، ط33، 1992م)).

مـــــــؤنس، حسين .

62- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس

(القاهرة، مكتبة مدبولى، ط2، 1986م).

63- شيوخ العصر في الأندلس

(القاهرة، دار الرشاد، ط2، 1997م.).

64- تاريخ المسلمين في البحر المتوسط والأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية

نافـــــــع، محمود .

65-اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري

(بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1990م).

رابعاً: المقالات في الدوريات العربية

البشـــــرى، سعد .

1- جهود البابوية في دعم الحروب الصليبية في الأندلس وإذكائها، مجلة العــصور، (ج1، مج1992،7).

أبو صالــح، وائل.

2- عبرة في حياة الباجي، مجلة الإسراء،(ع18، مج6، جمادى الأولى 1419هــ = 1998م).

عبد الخالــق، غسان .

3- الإمام الباجي شاعراً ولغوياً ومفكراً ، مجلة الثقافة،(ع33،جمادي الأولى1415هــ = أكتوبر 1994) .

الكيـــــلاني، حلمي

4- الخطر الصليبي وأبعاده ومقاومته من خلال شعر معاصريه، مجلة مؤتة، (ع2، مج10 ، مايو1995م).

الكبيســـــي،

5-غارات النورمانيين على الأندلس ، المجلة التاريخية المصرية، (مج2،ع1، مــايو 1949م)

مفتـــــاح، محمد .

6- مفهوم الجهاد والاتحاد ، مجلة عالم الفكر، (ع1، مج12، السنة 198م)

مـــــؤنــس، حسين

7- المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، المجلة التاريخية المصرية، (ع1، م4 ، مايو 1951م) .

8 - غارات النورمانيين على الأندلس ، المجلة التاريخية المصرية، (م2،ع1، مــايو 1949م)

9- الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يــد النــصارى سنة(512هــ = 1118) مع أربع وثائق جديدة، مجلــة كليــة الآداب، (مــج2، ع2، 1949م).

أبو وافيـــة، سهير

10- ابن حزم من أعلام الفكر الإسلامي بالأندلس، مجلة الدراســـــات الإسلامية، (ع 1-2، الربيع والصيف،1991)

خامساً: الرسائل العلمية

بـــن بيـــه، محمد محمود .

1- الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، رسالة دكتوراه منشورة، (السعودية، دار الأندلس الخضراء، ط1، 2000م).

حمـــــدان،

2- أدب الزهد في عصر المرابطين والموحدين بالأندلس،رسالة دكتوراه، (جامعة عين شمس بالإشتراك مع الكلية التربية، غزة، 1998م) .

الخالـــدي، خالد .

3- اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، رسالة دكتوراه منشوره، (غزة، دار الأرقم،2000م)

الفحـــــام،

4- الحياة الأدبية في شرقي الأندلس في عصري المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه غير منشورة، (جامعة عين شمس بالإشتراك مع الكلية التربية غزة، غزة، 2000م).

الكـــبيسى، خليل إبراهيم .

5- دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس (92-422هـــ = 711-1031م) رسالة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، 1980).

الكفـــارنة، محمد نازك

6- النثر الأندلسي في ظل الموحدين، رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة عين شمس بالإشتراك مع الكلية التربية غزة، 2000م)

المجـــالي، سحر عبد المجيد .

7- تطور الجيش العربي في الأندلس (138- 422هـــ = 756 – 1031م)،رسالة دكتوراه منشورة، (الجامعة الأردنية 1996م).

المحتويات

المحتويات

الموضوع	الصفحة
شـــكر وتقـــــــــدير	أ
الإهـــــــــــــداء	ب
قائمة الرموز والمختصرات	ج
المقـــــــــــــدمة	**1**
تمهيـــــــــــــــد	**4**
الفصل الأول: مكانة الأندلس عند المسلمين	**11**
المبحث الأول: تعريف الرباط وفضله	**12**
المبحث الثاني: الأندلس أرض رباط	**14**
المبحث الثالث: تعريف الجهاد وفضله	**23**
المبحث الرابع: الأندلس أرض جهاد	**27**
الفصل الثاني: الدور الجهادي لعلماء الأندلس من أجل الوحدة	**32**
المبحث الأول: دور العلماء في توحيد الأندلس تحت خليفة أموي	**34**
المبحث الثاني: دور العلماء في توحيد المغرب والأندلس في عهد الطوائف الأول	**46**
المبحث الثالث: دور العلماء في إسقاط حكام الطوائف	**49**
المبحث الرابع: دور العلماء في توحيد المغرب والأندلس في عهد الطوائف الثاني	**59**
الفصل الثالث: دور علماء الأندلس في تحريـــض الحكام علـــى الجهـــــاد	**63**
المبحث الأول: دور العلماء في تحريض حكام الطوائف على الجهاد	**66**
المبحث الثاني: دور العلماء في تحريض حكام المرابطين على الجهاد	**75**
المبحث الثالث: دور العلماء في تحريض حكام الموحدين على الجهاد	**81**
الفصل الرابع: دور العلماء في تحريـــض المجتمع الأندلسي على الجهاد	**86**
المبحث الأول: التحريض قبل المعـــــــــارك	**88**
المبحث الثاني: التحريض أثناء المعـــــــــارك	**92**
المبحث الثالث: التحريض عقب الانتصـــــــارات	**95**
المبحث الرابع: التحريض عقب سقوط الشهـــــداء	**101**
المبحث الخامس: التحريض عقب سقوط المـــــدن	**105**

الفصل الخامس: موقــف علمــاء الأندلــس من المتقاعســين عن الجهــاد	**109**
المبحث الأول: موقف العلماء من المتقاعسين عن الجهاد زمن حكام الطوائف	**110**
المبحث الثاني: موقف العلماء من المتقاعسين عن الجهاد زمن حكام المرابطين	**123**
المبحث الثالث: موقف العلماء من المتقاعسين عن الجهاد زمن حكام الموحدين	**126**
الفصل السادس: دور علماء الأنــدلس في نشر الوعي العسكري	**131**
المبحث الأول: دور العلماء في بناء الجندي المسلم	**132**
المبحث الثاني : دور العلماء في بناء القائــد المسلم	**140**
المبحث الثالث: دور العلماء في التعريف بالوسائل القتالية	**164**
الفصل السابع :علماء الأندلس فــي ميادينــن الجهــاد	**153**
المبحث الأول : مشاركة علماء الأندلس في القتـــــــــال	**154**
المبحث الثاني :علماء استشهدوا في ميادين القتال بالأندلس	**162**
الخاتمة ونتائج البحث	**170**
المصادر والمراجع	**172**
المحتويات	**193**